



فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثاني ــ المجلد الثامن والستون

١٤٤٢هـ ــ ٢٠٢١م

(شروط النشر وضوابطه)

١ – تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ – لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ – يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .

٤ – تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ – هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦ – لا تنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا او تنظيما خاصا .

٧ – لا تنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة.

٨ – لا تنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لأي من المؤسسات .

٩ – لا تنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولا يمكن اصلاحها .

١٠ –يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١ –يعطى صاحب البحث (عند نشره) نسخة واحدة من المجلّة مع خمس مستلات من بحثهِ .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي العراقي

iraqacademy@yahoo.com
journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠)الف دينار سنويا .

خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا .

هيأة التحرير

الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين   رئيس المجمع – رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور صبيح حمود التميمي   عضو المجمع– مدير التحرير

الأعضاء

١– الأستاذ الدكتور عبد المجيد حمزة الناصر	عضو المجمع
٢– الأستاذ الدكتور جواد مطر الموسوي	جامعة بغداد – كلية الآداب
٣– الأستاذة المتمرسة نبيلة عبد المنعم داود	جامعة بغداد – مركز إحياء التراث العلمي العربي
٤– الأستاذ المتمرس الدكتور سحاب محمد الأسدي	جامعة بغداد – كلية الآداب
٥– الأستاذ الدكتور طالب مهدي السوداني	جامعة بغداد – كلية الآداب
٦– الأستاذة الدكتورة لطيفة عبد الرسول عبد	الجامعة المستنصرية – كلية الآداب
٧– الأستاذ الدكتور عبد الله حسن حميد الحديثي	الجامعة العراقية – كلية الآداب
٨– الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعيِّن	جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية
٩– الأستاذ المساعد الدكتور علي حسن طارش	جامعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات
١٠– الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم حُوَّر	عضو مجمع اللغة العربية الأردني
١١– الأستاذ الدكتور مأمون عبد الحليم وجيه	عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
١٢– الأستاذ الدكتور نائل حنون عليوي	سلطنة عُمان
١٣– الأستاذ الدكتور فاضل مهدي بَيَّات	الجمهورية التركية

التحرير والمتابعة الفنية

اخلاص محيي رشيد

مدققة اللغة الانكليزية

غادة سامي عبد الوهاب

مدققة اللغة العربية

الدكتورة نادية غضبان

المحتويـــات

الجزء الثاني/ المجلد الثامن والسـتون

الاستقراء الناقص في كتاب سيبويه

الدكتور محمد جمعة الدِّربيّ
باحث معجميّ وعضو اتحاد كتاب مصر

الملخص:

لقي كتاب سيبويه من المنزلة والاهتمام والعناية قديمًا وحديثًا ما لم يلقه كتاب في بابه. وتحاول هذه الورقة البحثيَّة للدكتور محمَّد جمعة الدِّربيّ بعنوان(الاستقراء الناقص في كتاب سيبويه) إلقاء الضوء على الأحكام المبنيَّة في كتاب سيبويه على استقراء ناقص للشواهد العربيَّة؛ وقد اكتفى البحث بأُنموذج واحد وهو استعمال الماضي من الفعل(يَدَع)؛ حيث صرَّحت نصوص المطبوع من كتاب سيبويه بأن الماضي غير مستعمل! وأثبت البحث أن الماضي والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول من الفعل(يدَع) مستعمل في شواهد الشعر والحديث النبويّ والقراءات القرآنيَّة.

ويثير البحث إشكاليَّات كثيرة مثل: مصطلحات كتاب سيبويه، ومرويَّات سيبويه التي لم ترِد في كتابه، والنقْل عن سيبويه بالمعنى، والنقل غير المباشر عن كتاب سيبويه، وحاجة كتاب سيبويه إلى تحقيق جديد.

ولم يخلُ البحث من إشارات تخدم التراث العربيّ المطبوع مثل: القصور في معجم القراءات القرآنيَّة، وإخلال المعجم الوسيط أشهر معجمات مجمع اللغة المصريّ ببعض الاستعمالات اللغويَّة المشهورة، والتصحيف في بعض المعجمات القديمة، وتوثيق الشعر المتعدِّد الرِّواية والمجهول النسبة.

وقد جاء البحث في مقدمة ومحورين:

المحور الأول: موقف كتاب سيبويه من الفعل(ودَع) مخفَّفًا.

والمحور الثاني: إشكاليَّة الرِّواية عن كتاب سيبويه.

ثم النتائج والمقترحات، والمصادر والمراجع.

الكلمات الدَّالَّة: سيبويه- الاستقراء- القراءات القرآنيَّة- الشعر- الحديث الشريف- المعجم.

المقدمة:

إذا كان كتاب الله لا تفنى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الردّ ولا يدانيه كلام مخلوق على وجه الأرض؛ فإن كتاب سيبويه لا تخفى قيمته في التأليف العربيّ، ولا يُنكَر فضله في إثراء النشاط اللغويّ؛ حيث لقي من المنزلة والاهتمام والعناية قديمًا وحديثًا ما لم يلقه كتاب في بابه حتى الكُتُب التي أثارت حولها قدرًا من النشاط العلميّ مثل صحيح البخاريّ(ت٢٥٦هـ)، وفصيح ثعلب(ت٢٩١هـ)، وألفيَّة ابن مالك(ت٦٧٢هـ)!

ولم لا وكتاب سيبويه هو القِبلة التي يحجُّ إليها المعنيُّون بالنحو العربيّ، والأصل الذي تفرَّعت منه المباحث الصرفيَّة والنحويَّة حتى قيل إنه لم يُسبَق إلى مثله؟

بل صار سيبويه نفسه رمزًا للفصحى؛ فوُصِف مَن برع في النحو بين علماء عصره بأنه(سيبويه عصره)، وفي الحق المُرّ للدَّاعية المصريّ الشيخ محمد الغزالي(ت١٩٩٦م):" وكان الساسة القدامى يُحضِّرون خطبهم تحضيرًا

متقنًا حتى جاء الرئيس عبد الناصر[1]؛ فاعتقل سيبويه وحزبه، وأعلن على الفصحى حربًا شعواء"[2]!

ولا عجب أن يقول محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ) الذي خطَّأ سيبويه في بعض المسائل: " كتاب سيبويه يُتعلَّم منه النَّظَر والتفتيش"[3]؛ فقد كانت تخطئته لكتاب سيبويه في فترة مبكِّرة من حياة المبرد، ويقال إنه اعتذر منها[4]! وقد أطبق الناس على تقدير كتاب سيبويه، حتى تورَّط بعضهم في تقديسه؛ وفرقٌ بين التقدير والتقديس؛ ويُحكَى هنا أن رجلًا قيل له: " بكم اشتريتَ هذه السمكة؟ فقال: بِدرهمانِ! فقيل له: لمَ قلتَ: بِدرهمانِ؟ ولم تقلْ: بِدرهمينِ؟ قال: لأن سيبويه قال في كتابه: ثمنُها درهمانِ"[5]!

---

[1] يقصد الرَّئيس المصريّ جمال عبد الناصر(ت١٩٧٠م).

[2] الحق المر للشيخ الغزالي جـ٣/٢١٥، ولحسن كمال محمد محمد كتاب بعنوان(كسرتَ رأس سيبويه، أخطاء شائعة وأغلاط ذائعة)، وللدكتور السعيد بدوي مقال بعنوان: سيبويه وشركاه في مترو أنفاق الجيزة.

[3] طبقات النحويين واللغويين للزُّبيديّ ص٧٥، وخزانة الأدب للبغداديّ جـ١/٣٧١، والمراد بالنظر نظر التفكُّر وهو في الكتاب لسيبويه- تحقيق هارون جـ٤/٩٨، وتحقيق البكاء جـ٥/٤٠٦:" وما أعرِفَه، وأنظرَه، تريد نظرَ التفكُّر".

[4] راجع الخصائص لابن جني(باب في سقطات العلماء) جـ٣/٢٩٠.

[5] النحو بين التجديد والتقليد للأستاذ عضيمة ص١١٣، ولم أجد النصَّ المنسوب إلى سيبويه ولا لفظ:" ثمنها" في المطبوع من كتاب سيبويه؛ وجاء في تحقيق هارون جـ١/١٤٠:" فله درهمانِ"، جـ١/٤٠٣:" وأعطيتُه درهمًا أو درهمينِ... ...وأعطيتُه درهمًا أو درهمانِ"، جـ٢/٢٧:" كلُّ مالِه درهمانِ"، جـ٣/١٠٢، ١٠٣، ٣٢٦:" فله درهمانِ... ... له درهمانِ"، جـ٣/٢٦٨:" ـ قَطْكَ درهمانِ"، جـ ٤/١٢٢: " وقالوا: درهمانِ".

ويعنينا هنا الاستقراء الناقص في كتاب سيبويه، ونكتفي بمثال واحد وهو الفعل (ودَع)؛ إذ يكفي من القلادة ما أحاط بالجِيد ؛ ويأتي البحث في **محورين، المحور الأول:** موقف كتاب سيبويه من الفعل (ودَع) مخفَّفًا. **والمحور الثاني:** إشكاليَّة الرِّواية عن كتاب سيبويه.

ثم النتائج والمقترحات، والمصادر والمراجع.

المحور الأول

موقف كتاب سيبويه من الفعل(ودَع) مخفَّفًا

في المطبوع من كتاب سيبويه:" ويحذفون ويعوِّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمَل حتى يصير ساقطًا. وسترى ذلك إن شاء الله؛ فممَّا حُذِف وأصله في الكلام غير ذلك: لم يكُ، ولا أدْرِ، وأشباه ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنهم يقولون: يَدَع، ولا يقولون: ودَعَ؛ استغنوا عنها[٦] بـ(ترك)، وأشباه ذلك كثير. والعِوَض قولهم: زنادقةٌ وزناديقُ، وفَرازنةٌ وفَرازين، حذفوا الياء وعوَّضوا الهاء"[٧].

وفي المطبوع أيضًا:" جُنَّ، وسُلَّ، وزُكِم، ووُرِد. وعلى ذا قالوا: مجنون، ومسلول، ومزكوم، ومحموم[٨]، وموروود. وإنما جاءت هذه الحروف على

---

[٦] أي عن صيغة الماضي.

[٧] الكتاب لسيبويه- تحقيق هارون جـ١/٢٥، وراجع تحقيق البكاء جـ١/٧٠: ٧١، وطبعة بولاق جـ١/٨ بلا تعليق!

[٨] هل سقط الفعل(حُمَّ) من المطبوع؟ ولم يعلِّق الأستاذ هارون ولا الدكتور البكاء!

جَننتُه وسَللتُه وإن لم يُستعمَل[٩] في الكلام، كما أن يَدَع على ودَعتُ، ويَذَر على وذَرتُ وإن لم يستعملا؛ استُغني عنهما بتركت[١٠]... ...وكذلك أحزنتُه وأحببتُه؛ فإذا قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحببتُ، وقد قال بعضهم: حببتُ؛ فجاء به على القياس"[١١].

وفي المطبوع كذلك:" هذا باب يُستغنَى فيه... ...كما استُغني بتركتُ عن ودَعتُ، وكما استغني بنسوةٍ عن أن يجمعوا المرأة على لفظها... ...وكذا كما قالوا: تركتُ، ولم يقولوا: ودعتُ"[١٢].

ثم جاء في موضع رابع من المطبوع:" وقالوا: ليسَ، ولم يقولوا: لاسَ؛ فكذلك: يحِبّ، ولم يجيء على أفعلتُ؛ فجاء على ما لم يُستعمَل، كما أن يدَع ويذَر على ودَعتُ ووذَرتُ، وإن لم يُستعمَل[١٣]، وفعلوا هذا بهذا لكثرته في كلامهم"[١٤].

---

[٩] أي: لم يُستعمَل التركيب المتعدِّي إلى الضمير.

[١٠] في المحتسب لابن جني جـ٢/٣٦٤: " قال سيبويه: استغنوا عن وَذَرَ ووَدَعَ بقولهم: ترك"، وهو من الرواية بالمعنى!

[١١] الكتاب لسيبويه– تحقيق هارون جـ٤/٦٧، وراجع تحقيق البكاء جـ٥/٣٧٧، وطبعة بولاق جـ٢/٢٣٨ بلا تعليق!

[١٢] الكتاب لسيبويه – تحقيق هارون جـ٤/٩٩، وراجع تحقيق البكاء جـ٥/٤٠٧، وطبعة بولاق جـ٢/٢٥١ بلا تعليق!

[١٣] أي لم يُستعمَل الماضي منهما.

[١٤] الكتاب لسيبويه – تحقيق هارون جـ٤/١٠٩، وراجع تحقيق البكاء جـ٥/٤٣٢، وطبعة بولاق جـ٢/٢٥٦ بلا تعليق!

وظاهر كلام سيبويه في الموضع الرابع أن الثلاثيّ(حَبَّ) لم يُستعمَل في كلام العرب؛ وهذا يتناقض مع قوله في الموضع الثاني:" وقد قال بعضهم: حَبَبْتُ؛ فجاء به على القياس"؛ ولم يُعلِّق مُحقِّقو كتاب سيبويه؛ فهل مصطلح الاستعمال عند سيبويه يراد به أحيانًا الكثرة والشيوع؟!

ويُفهَم من نصوص المواضع الأربعة أن الفعل(ودَع) ممات أو غير مُستعمل في كلام العرب! وهذا قول مبنيّ على استقراء ناقص أشار إليه إشارة عابرة سريعة الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه؛ حيث ذكر في الموضع الأول فقط شاهدًا حديثيًّا وشاهدين شعريَّيْن[١٥]! والحقّ أن الفعل مُستعمَل في شواهد أخرى؛ ففي المحتسب لابن جنِّي(ت٣٩٢هـ): " قرأ (مَا وَدَّعَكَ) (الضحى: ٣) خفيفةً النبيُّ -صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم- وعُروة ابن الزبير. قال أبو الفتح: هذه قليلة الاستعمال"[١٦].

وفي مشارق الأنوار للقاضي عياض(ت٥٤٤هـ): " **وأهل العربية يقولون إنهم أماتوا** من (يَدَع) ماضيه ومصدره، واستغني عنه بترك! وقد جاء في هذه الأحاديث الصحيحة مستعملًا. وقد قرأ بعضهم: (ما ودَعك ربك) بالتخفيف. وطواف الوَداع - بفتح الواو- لأنه مفارقة البيت؛ وأصل الوَداع الفِراق والتَّرك"[١٧].

---

[١٥] والاقتصار على الموضع الأول قصور، وأمَّا الدكتور محمد كاظم البكاء فلم يذكر شاهدًا في أيٍّ من المواضع! ويُربَط هذا ببحثي: حاجة كتاب سيبويه إلى تحقيق جديد.

[١٦] المحتسب لابن جني جـ٢/٣٦٤، وأبو الفتح هو ابن جني.

[١٧] مشارق الأنوار (و د ع) جـ٢/٢٨٢، وفي إكمال المعلم للقاضي عياض- كتاب الجهاد- باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين-

وفـي النهايـة لابـن الأثيـر (ت٦٠٦هـ):" لينتهـيَنَّ أقـوام عـن وَدْعِهـم الجُمُعات أو ليُختمَنَّ على قلوبهم[١٨]؛ أي: عن تركهم إيَّاها والتخلُّف عنها، يقال: وَدَعَ الشيءَ يَدَعُه وَدْعًا، إذا تركه، **(والنحاة يقولون: إن العَرَب أماتوا)** ماضي (يَدَعُ) ومصدره، واستغنوا عنه بـ(ترك)! والنبي- صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم- أفصحُ، وإنما يُحْمَل قولهم على قلة استعماله، فهو شاذٌ في الاستعمال، صحيح في القياس، وقد جاء في غير حديث[١٩]، حتى قرئ به قوله تعالى (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى) (الضحى: ٣) بالتخفيف"[٢٠].

وفي المُغرب للمطرزي(ت٦١٠هـ): " قال شمر: زعمَت النحويَّة أن العرب أماتوا مصدر (يدع)! والنبيّ- صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- أفصح العرب؛ وقد رُويت عنه هذه الكلمة"[٢١].

حديث ١٧٩٧- جـ٦/١٧٠: " وأهل النحو ينكرون أن يأتي منه ماض أو مصدر!"، ومثله بتصرُّف يسير في مطالع الأنوار لابن قرقول(و د ع) جـ٦/١٨٧.

[١٨] حديث نبويّ، وفي صحيح مسلم- كتاب الجمعة- باب التغليظ في ترك الجمعة- حديث ٨٦٥- جـ٢/٥٩١: " أو ليختمَنَّ الله على قلوبهم، ثم ليكونُنَّ من الغافلين". وفي سنن ابن ماجه- كتاب المساجد والجماعات- باب التغليظ في التخلف عن الجماعة- حديث ٧٩٤- جـ١/٢٦٠ بلفظ: " وَدْعهم الجَماعات".

[١٩] منها حديث البخاريّ: " إنَّ شرَّ الناس من تركَه الناسُ أو وَدَعَه الناس اتقاءَ فُحشه"، راجع: فتح الباري لابن حجر -كتاب الأدب- باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والرِّيَب- حديث ٦٠٥٤-جـ١٠/٤٧١، باب المداراة مع الناس- حديث ٦١٣١- جـ١٠/٥٢٨.

[٢٠] النهاية لابن الأثير(و د ع) جـ٥/١٦٥، ١٦٨.

[٢١] المغرب للمطرزي(و د ع) ص٤٧٩.

وفي المصباح المنير للفيوميّ(ت٧٧٠هـ): " وَدَعْتُه أَدَعُه وَدْعًا: تَرَكْتُه، وأصل المضارِع الكسر، ومِن ثَمَّ حُذفت الواو، ثم فُتح لمكان حرف الحلق، قال بعض المتقدِّمين: **(وزعمتِ النحاة أن العَرَب أماتتْ)** ماضي (يَدَع) ومصدرَه واسمَ الفاعل، وقد قرأ مجاهد وعُروة ومُقاتل وابن أبي عَبلة ويزيد النحويّ (ما ودعك ربك) (الضحى: ٣) بالتخفيف[٢٢]، وفي الحديث: لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهِمُ الجُمُعاتِ؛ أي عن تركهم، فقد رُوِيَتْ هذه الكلمة عن أفصَحِ العَرَبِ، ونُقِلَتْ من طريق القُرَّاء؛ فكيف يكون إماتة وقد جاء الماضي في بعض الأشعار؟ وما هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال، ولا يجوز القول بالإماتة"[٢٣].

وفي شرح شواهد شرح الرضيّ والجاربرديّ على شافية ابن الحاجب لعبد القادر البغداديّ(ت١٠٩٣هـ): " وأنشد بعده، وهو الشاهد العشرون (من الرَّمَل):

ليتَ شِعْرِي عن خليلِي ما الذي غالَهُ في الحُبِّ حتى وَدَعَهْ

على أن ماضي (يَدَعُ)، وهو(وَدَعَ)، لم يُستعملْ إلا ضرورة، **وبالغ سيبويه فقال:** أماتوا ماضي (يَدَعُ)؛ أي لم يستعملوه، لا في نثر ولا في نَظْم، وقالوا أيضًا: لم يُستعمَل مصدرُه ولا اسمُ فاعله ولا اسمُ مفعوله، مع أن الجميع قد وردَ؛ فالأقرب الحكم بالشذوذ، لا بالإماتة، ولا بالضرورة... ...وقد

---

(٢٢) في معجم القراءات القرآنيَّة: " عروة بن الزبير وهشام بن عروة وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وابن عباس"؛ فانظر إلى الاختلاف في إحصاء القرّاء!

(٢٣) المصباح للفيومي(و د ع) جـ٨٩٩/٢، والكلمة الأخيرة وقعتْ بألف وصل؛ فيضاف إلى: أثر التصحيف في بناء المعجم العربيّ.

رُوي الماضي في أبياتٍ أُخَر[٢٤]: قال سُويد بن أبي كاهِل اليَشكُرِيّ يصف نفسَه(من الرَّمَل):

ورِثَ البِغْضَة عن آبائـــه	حافظُ العَقل لِما كان اسْتَمَـعْ
فسَعَى مَسْعَاتَهُمْ في قَوْمِـه	ثم لم يَظْفَر[٢٥] ولا عَجْزًا وَدَعْ

ويُروَى:

* ولا شيئًا ودَعْ *

وقال آخر(مِن المنسرح):

وكان[٢٦] ما قدَّموا لأنفسهم	أكثرَ نَفْعًا من الذي وَدَعُوا

وأما اسم الفاعل فقد جاء في شعر رواه أبو عليّ في البَصْريَّات، وهو(من الطويل):

فأيَّهُما[٢٧] ما أتْبَعَنَّ فإنَّني	حزينٌ على تَرْك الذي أنا وادِعُ

وأما اسم المفعول فقد جاء في شعر خُفَاف بن نُدْبَة الصحابيّ، وهو(من الطويل):

إذا ما اسْتَحَمَّتْ أرضُهُ من سمائه	جرَى وهْو مودوعٌ وواعدُ[٢٨] مَصْدَقِ

---

[٢٤] البيت السابق أحد أبيات لأنس بن زنيم قالها لعبيد الله بن زياد بن سُمَيَّة. وقد شرحها البغداديّ مع ترجمة قائلها في الشاهد (٤٨٩) من خزانة الأدب جـ٦/٤٧١: ٤٧٣.

[٢٥] هذه رواية المفضليات ص١٩٩، وفي خزانة الأدب جـ٦/٤٧٢: " لم يدرك".

[٢٦] في خزانة الأدب جـ٦/٤٧٢: " فكان ".

[٢٧] في المطبوع بألف وصل وبضم الياء! والتصويب من خزانة الأدب جـ٦/٤٧٢.

[٢٨] في خزانة الأدب جـ٦/٤٧٢: " ووادِع "!

أي: متروك لا يضرب ولا يزجر"[٢٩].

وقد صدق البغداديّ في الدفاع عن ماضي الفعل(يَدَع) ومشتقاته؛ وهو دفاع يجعلنا نقدِّر كلام سيبويه ولا نقدِّسه؛ وفرقٌ بين التقدير والتقديس؛ ولا يخفى تفوُّق البغداديّ وتمكُّنه ودرايته بالشواهد اللغويَّة، ولكن يُفهَم من كلامه- وإن لم يُصرِّح- أن بيت أنس بن زنيم الذي أوله(ليت شعري) له رواية أخرى بلفظ[٣٠]:

سل أميري ما الذي غيَّرهُ عن وصالي اليوم حتى ودَعَهْ

وعدمُ التصريح يُشبه صنيع بعض العلماء الذين استشهدوا قبل البغداديّ وبعده بالروايتين في سياق واحد على أنهما لشاعرين مختلفين[٣١]!

ويؤخذ على البغداديّ كذلك أنه لم يذكر قول الشاعر[٣٢]:

---

[٢٩] شرح شواهد شرح الرضي والجاربردي لعبد القادر البغداديّ جـ٤/٥٠: ٥٣، وراجع جـ١/١٣٠: ١٣٢.

[٣٠] وأكَّد البغداديُّ ذلك في الشاهد(٤٨٩) من خزانة الأدب جـ٦/٤٧١: ٤٧٣.

[٣١] عمدة الحفاظ للحلبيّ(الضحى:٣)جـ٤/٣٣٩، وتاج العروس للزَّبيديّ (و د ع) جـ٢٢/٣٠٤: ٣٠٥. وفي الخصائص جـ١/١٠٠، ٢٦٧ نسَب ابن جني إحدى الروايتين إلى أبي الأسود الدؤليّ. وفي لسان العرب لابن منظور (و د ع) نُسبت الروايتان لأبي الأسود. وفي مصادر أخرى نُسبت إحدى الروايتين إلى سويد بن أبي كاهل!

[٣٢] فتح الباري لابن حجر جـ١٣/٢٦٠، وتاج العروس للزَّبيديّ جـ٢٢/٣٠٥. ووقع الشطر الأول في موضع (الضحى:٣) من الدر المصون للحلبي جـ١١/٣٦، وروح المعاني للألوسي جـ٣٠/١٥٦ بلفظ: وثَمَّ وَدَعْنا آلَ عمرو وعامر! وكذا في بعض

ونحنُ ودَعْنا آلَ عمرو بنِ عامر   فرائسَ أطرافِ المثقَّفةِ السُّمْرِ

ويبدو أن البغداديّ لم يستشهد بهذا البيت لعدم معرفة قائله! وإذا صحَّ التماس العذر للبغداديّ في هذين الموضعين فإننا نفتقد العذر في إهمال ما أنشده ابن الأنباريّ(ت٣٢٨هـ) لمعن بن أوس[٣٣]:

عليه شَريبٌ ليِّنٌ وادعُ العصا   يساجِلُها جَمّاتُه وتُساجلُه

وقد استشهد البغداديّ في دفاعه بقول خفاف:

إذا ما اسْتَحَمَّتْ أرضُهُ من سمائه   جرَى وهْو مودوعٌ وواعدُ مَصْدَقِ

ولابن جني رأي آخَر في البيت؛ حيث رأى أن (مودوع) اسم مفعول من (أودعَه) بمعنى: جعله في دَعَةٍ[٣٤]، ويبدو أن ابن برِّي(ت٥٨٢هـ) تبعه في بعض رأيه! وقد انتقد البغداديّ ابنَ برِّي فقال:" وقول ابن بري إنَّ مودوعًا هنا من الدَّعَة التي هي السكون لا من التَّرك، يُرَدُّ عليه أن (ودَعَ) بمعنى سكَن غير متعدٍّ؛ يقال: ودَعَ في بيته"[٣٥].

ويمكن القول إنَّ البغدادي لم يطَّلع على رأي ابن جني؛ فوجَّه نقده لابن برِّي فقط! ويبدو كذلك أنه لم يطَّلع على حديث: " من تعلَّق وَدَعةً

المراجع مثل: التفسير البيانيّ للقرآن الكريم لبنت الشاطئ جـ٣٢/١، وتتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم جـ١٣٣/٩، وفي جميع هذه المصادر والمراجع بلا نسبة، وفي بعضها: " وثُمَّ " بالضم!

[٣٣] الزاهر جـ٣٠٠/١. وفي تاج العروس(و د ع) جـ٣٠٥/٢٢:" حماته" بالحاء.

[٣٤] بقيَّة الخاطريَّات لابن جني ص٢٩: ٣٠، وراجع تاج العروس(و د ع) جـ٢٩٨/٢٢.

[٣٥] خزانة الأدب جـ٤٧٢/٦.

لا ودَعَ الله لـه"[٣٦]؛ والفعل هنا- وهو متعدٍّ بحرف الجرّ- قد يكون من الدَّعَة؛ أي: لا جعله الله في دَعَة وسكون؛ فيصلح حجة لابن برِّي! وقد يكون من الوَدْع بمعنى التَّرْك؛ أي: لا تركَ الله له خيرًا ولا خفَّف عنه ما يخافه؛ فيجب أن يضاف الحديث إلى شواهد البغداديّ، بل يُستدرك عليه أن الوَدَعة " اسمها مشتقّ من ودَعتُه بمعنى تركتُه؛ لأن البحر ينضُب عنها ويدعها"[٣٧]. وأن(الوداع) اشتُهر في بعض المصاحبات اللفظيَّة أو التعابير السياقيَّة أكثر من (التَّرْك)؛ ويمكن التمثيل بتركيب (ثَنيَّة الوداع)، وتركيب (حَجَّة الوداع)، وتركيب (طواف الوداع)[٣٨]. وفي القاموس المحيط للفيروزابادي(ت٨١٧هـ): " ودَعَه كوضَعه وودَّعه بمعنى، والاسم الوداع"[٣٩].

---

[٣٦] كذا في النهاية لابن الأثير (و د ع) جـ٥/١٦٨. وفي تاج العروس(و د ع) جـ٢٢/٢٩٤ بلفظ: " فلا ودعَ".

[٣٧] تاج العروس(و د ع) جـ٢٢/٢٩٤.

[٣٨] وغفلَت الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط أشهر معجمات مجمع اللغة المصريّ عن (طواف الوداع)! راجع(ط و ف) جـ٢/٥٩١، (و د ع) جـ٢/١٠٦٣.

[٣٩] القاموس للفيروزابادي(و د ع) جـ٣/٩٥.

المحور الثاني

إشكاليَّة الرِّواية عن كتاب سيبويه

لا إشكال فيما رُوي عن سيبويه بالمعنى الذي لا يتعارض مع الكتاب؛ لأن الرواية بالمعنى كثيرة، وهي ظاهرة لا يتفرَّد بها سيبويه وكتابه[٤٠]، ولا إشكال كذلك فيما نُسب إلى سيبويه ممَّا تبنّاه في الكتاب عن الخليل وغيره دون مخالفة، ويمكن التمثيل بقول المبرد:" وذكر سيبويه واتبعه قوم كثير أنه لو سمَّى رجُلًا ذراعًا لصرفه في المعرفة، وحجَّتُه أنه قال: كثرت تسمية الرجال به؛ فكأنه اسم صيغ للمذكر"، وقوله بعدُ في نصّ آخر:" وإن كان شيء من ذلك مذكر الأصل وأوقعته على مؤنث نحو امرأة سمَّيتها بزيد أو عمرو، فإن أكثر النحويِّين وهم سيبويه والخليل ومن كان من قبيلهما– وهو القول الفاشي– أن لا يصرفوا شيئًا من ذلك في المعرفة"[٤١]؛ ورأيُ النص الأول حكاه سيبويه في الكتاب عن الخليل، ورأيُ النص الثاني حكاه سيبويه عن يونس عن ابن أبى إسحاق وأبي عمرو.

وفي نصوص المواضع الأربعة التي نقلناها في مفتتح المحور الأول عن مطبوع كتاب سيبويه نفتقد لفظ (الإماتة) الذي نسبه البغداديّ إلى سيبويه بلفظ:" وبالغ سيبويه فقال: **أماتوا** ماضي (يَدَعُ)؛ أي لم يستعملوه، لا في نثر

---

[٤٠] راجع مثلًا تاج العروس للزبيدى (د و ل) جـ٢٨/٥٠٧.

[٤١] راجع المذكر والمؤنث للمبرد ص١٠٥، ١٢٦، وقارن بالكتاب لسيبويه جـ٣/٢٣٦، ٢٤٢.

ولا في نَظْم"[٤٢]! ولا يعني هذا أن سيبويه لم يستعمل لفظ الإماتة مُطلقًا؛ ففي مطبوع الكتاب:" وجاؤوا بالمصدر على فَعْلة؛ لأنه كان في الأصل على فَعَل كما كان العطش ونحوه على فَعَل، ولكنهم أسكنوا الياء وأماتوها كما فعلوا ذلك في الفَعْل؛ فكأن الهاء عِوَض من الحركة"[٤٣].

وربما كانت نسبة اللفظ من قبيل الرواية بالمعنى؛ ونستأنس بقول البغداديّ في كتاب خزانة الأدب، وهو أسبق من شرح شواهد شرح الرضيّ والجاربرديّ على شافية ابن الحاجب: " قال سيبويه: استغنوا عن وَذَرَ ووَدَعَ بقولهم: ترك"[٤٤]!

وقد تكون نسبة لفظ الإماتة إلى سيبويه من قبيل الخلط بين مصطلحات سيبويه ومصطلحات غيره من العلماء، وقد رأينا القاضي عياضًا وابن قرقول وابن الأثير والفيوميّ- وهم أسبق من البغداديّ- ينسبون لفظ (الإماتة) إلى النحاة عامَّة من غير تخصيص بسيبويه!

وتبقى الإشكالات: لماذا نسب البغداديّ إلى سيبويه لفظ(الإماتة) مع غلبة الدقة على نُقوله؟ فهل اطَّلع البغداديّ على نصوص أخرى لسيبويه غير النصوص التي في المطبوع بين أيدينا؟ وكيف خَفيتْ على سيبويه شواهدُ الفعل (ودَعَ) في الشعر والحديث النبويّ والقراءات القرآنيَّة؟ فهل مصطلحات

---

[٤٢] شرح شواهد شرح الرضي والجاربردي لعبد القادر البغداديّ جـ٤/٥٠.

[٤٣] الكتاب لسيبويه جـ٤/٢٤.

[٤٤] خزانة الأدب للبغداديّ جـ٦/٤٧١، ويبدو أن البغداديّ نقَل هذا عن المحتسب لابن جِنِّي!

سيبويه غامضة تحتاج إلى إعادة دراسة أو أن النصوص الكاملة لسيبويه لم تصل إلينا؟ لعلَّ هذه التساؤلات تدعونا إلى دراسة جميع ما نسبه عبد القادر البغداديّ إلى سيبويه من مرويَّات نثريَّة أو شِعريَّة، ولا شكَّ أن هذه الإشكالات تؤكد أهميَّة جمع مرويَّات سيبويه إمام النحاة وأحد مفاخر الحضارة الإسلامية.

وقد نشرتُ بضعة مقالات عن مرويَّات سيبويه التي لم ترد في كتابه[٤٥]؛ وذكرتُ في المقال الأول نماذج نثريَّة من مرويَّات سيبويه التي لم ترد في المطبوع من كتابه باللفظ ولا بالمعنى، وأضفتُ في المقال الثاني مروياتٍ شعريَّة منسوبة إلى سيبويه ولا أثر لها في المطبوع[٤٦]، ثم ذكرتُ في المقالين الثالث والرابع بعض المرويَّات المتناقضة مع المطبوع مستدركًا على الدراسات التي اهتمَّت بتناقض الآراء النحويَّة[٤٧]. وفي المقال الخامس أشرتُ إلى أهميَّة مرويَّات الأندلسيِّين عن سيبويه وقيمة النُّسَخ الأندلسيَّة من مخطوطات الكتاب. وأمّا المقال السادس فكان التركيز فيه على كتاب القوافي

---

[٤٥] نُشرتْ المقالات في مجلة الأزهر بمجمع البحوث الإسلاميَّة بالقاهرة، وكان المقال الأول في عدد جمادى الآخرة عام ١٤٣٩هـ، وكان المقال السادس في عدد ذي الحجة عام ١٤٤١هـ.

[٤٦] نقصد جميع الطبعات لا سيما المعتمدة مثل بولاق وهارون والبكّاء، ولكني أكتفي بالإحالة إلى طبعة هارون لشهرتها العريضة.

[٤٧] مثل: الخلل في نسبة الآراء النحوية للباحث حسن محمد محمد علي، ولم يستوعب الباحث كلَّ آراء القرون العشرة، بل توقَّف عند آراء ابن مالك(ت٦٧٢هـ)؛ فانظر!

لسيبويه وعلاقته بالكتاب الأمّ مع الإشارة إلى إشكاليَّة الرواية عن سيبويه بالمعنى أو بالوسيط.

ولا أزال أدعو إلى ضرورة مراجعة النُّسَخ الخطيَّة لكتاب سيبويه وللمؤلَّفات التي روتْ عنه، وحاجة كتاب سيبويه العظيم إلى تحقيق جديد يليق بمكانته التي نقدِّرها ولا نقدِّسها؛ وشتَّان ما بين التقدير والتقديس.

النتائج والمقترحات

١ -يُفهَم من نصوص مطبوع كتاب سيبويه أن الفعل(ودَع) غير مُستعمل في كلام العرب! وهذا قول مبنيّ على استقراء ناقص للنصوص العربيَّة في الشعر والحديث النبويّ والقراءات القرآنيَّة، ولم يعلِّق الأستاذ عبد السلام هارون محقِّق كتاب سيبويه التعليق الكافي على هذا الاستقراء الناقص؛ حيث اكتفى بشاهد حديثيّ وشاهديْن شِعريَّيْن؛ في حين مرَّ الدكتور محمد كاظم البكاء على نصّ سيبويه بلا تعليق!

٢ -رُوى عن سيبويه في مواضع كثيرة من التراث العربيّ بالمعنى الذى لا يتعارض مع مطبوع كتاب سيبويه، ولكن تبقى روايات يتداخل فيها رأي سيبويه مع رأي غيره، أو يتعارض ظاهرها مع المطبوع، أو لا تتضح فيها وجهة نظر سيبويه؛ ويجب جمع هذه الرِّوايات ودراستها بعد إحصاء النُّسَخ الخَطِّيَّة للكتاب.

٣ -نقَل بعض العلماء عن سيبويه نقلًا غير مباشر بالاعتماد على مصدر وسيط؛ وهذا محلّ دراسة!

٤ -عند الحكم على استعمال مُعيَّن يجب ضبطُ الحكم بالتفريق بين الحكم بالشذوذ، والحكم بالضرورة، والحكم بالإماتة.

٥ -ورد في الشواهد العربيَّة ماضي الفعل (يَدَعُ)، ومصدره، واسمُ فاعله، واسمُ مفعوله.

٦ -اشتُهر لفظ (الوداع) في بعض المصاحبات اللفظيَّة أو التعابير السياقيَّة أكثر من لفظ(التَّرْك).

٧ -لا يصحّ الاعتماد على معجم القراءات القرآنيَّة وحده في إحصاء القراءات والقُرَّاء؛ وقد بيَّن البحث تقصيره في إحصاء القُرَّاء الذين قرأوا في سورة الضحى: (ما ودَعك) بالتخفيف.

٨ -وقعتْ تصحيفات في المطبوع من المعجم العربيّ؛ فيجب الانتباه إليها، بل يجب التنبيه؛ لاستدراكها في الطبعات الجديدة.

٩ -لم تذكر الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط أشهر معجمات مجمع اللغة المصريّ تركيب(طواف الوداع) على الرَّغم من شهرته!

١٠ -وقع في كتاب خزانة الأدب للبغداديّ روايات شعريَّة مختلفة عن روايتها في كتب أخرى للبغداديّ! وهذا الاختلاف في الرِّواية يحتاج إلى دراسة؛ فهل اختلفت مصادر عبد القادر البغداديّ في الكتابين؟ أو أن الاختلاف من أيدي النُّسَّاخ؟

١١ -يجب الحذر في التعامل مع الشعر المتعدِّد الرِّواية، والشعر المجهول النسبة؛ ويحسُن التوثيق من مصادر مختلفة.

المصادر:

١ - أثر التصحيف في بناء المعجم العربيّ- الدكتور محمد جمعة الدِّربيّ- العدد ٥٩٥- مجلة البيان- رابطة الأدباء الكويتيِّين- الكويت ط١/٢٠٢٠م.

٢ - إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض(ت٥٤٤هـ)- تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل- دار الوفاء بالمنصورة بمصر ط١/١٩٩٨م.

٣ - بقيَّة الخاطريَّات لابن جني(ت٣٩٢هـ)- تحقيق الدكتور محمد الدالي- مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- سوريا ط/١٩٩٢م.

٤ - تاج العروس للزَّبيديّ(ت١٢٠٥هـ) – تحقيق مجموعة من الأساتذة – سلسلة التراث العربيّ(١٦) – مطبعة حكومة الكويت- الكويت ط١/١٩٦٥-٢٠٠١م.

٥ - تتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم- تحقيق هاني الحاج- المكتبة التوفيقية- القاهرة- مصر(د.ت).

٦ - التفسير البيانيّ للقرآن الكريم لبنت الشاطئ- دار المعارف- القاهرة- مصر ط٥/١٩٧٧م.

٧ - حاجة كتاب سيبويه إلى تحقيق جديد- الدكتور محمد جمعة الدِّربيّ- جـ١، ٢- مجلة العرب- مركز حمد الجاسر- دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع- السعودية ط/٢٠٢٠م.

٨ - الحق المر للشيخ الغزالي- مكتبة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة- مصر ط٤/٢٠٠٥م.

٩ - خزانة الأدب- عبد القادر البغداديّ(ت١٠٩٣هـ)- تحقيق عبد السلام هارون- الهيئة المصرية العامة للكتاب ومكتبة الخانجي- القاهرة- مصر، ودار الرفاعي بالرياض- السعودية ط/٧٩-١٩٨٦م.

١٠ -الخصائص لابن جني(ت٣٩٢هـ)- تحقيق محمد علي النجار- مركز تحقيق التراث- الهيئة المصريَّة العامة للكتاب- القاهرة- مصر ط٣/٨٦-١٩٨٨م.

١١ -الخلل في نسبة الآراء النحوية مظاهره وأسبابه وآثاره: دراسة تحليليَّة للتراث النحويّ حتى القرن العاشر الهجريّ – حسن محمد محمد علي- ماجستير- كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- مصر ط/٢٠١٥م.

١٢ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبيّ(ت٧٥٦هـ)- تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط- دار القلم- دمشق- سوريا ط١/٨٦-١٩٩٤م.

١٣ -روح المعاني للألوسي(ت١٢٧٠هـ)- دار الفكر- بيروت- لبنان ط/١٩٨٧م.

١٤ -سنن ابن ماجه(ت٢٧٥هـ)- حقَّق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي- مصوَّرة المكتبة العلميَّة- بيروت- لبنان(د.ت).

١٥ - الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر بن الأنباري(ت٣٢٨هـ)- تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن- اعتنى به عز الدين البدوي النجار- مؤسسة الرسالة- بيروت- لبنان ط١/١٩٩٢م.

١٦ -سيبويه وشركاه في مترو أنفاق الجيزة- الدكتور السعيد بدوي- مقال بجريدة الأهرام المصريَّة- القاهرة ١١/ ٤/ ٢٠٠٧م، وأعده السيد شعبان جادو على موقع حماسة: https://www.hamassa.com/

١٧ - شرح شواهد شرح الرضيّ والجاربردي على شافية ابن الحاجب لعبد القادر البغداديّ- تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ط١/١٩٧٥م.

١٨ -صحيح مسلم (ت٢٦١هـ)- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي- دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- مصر.(د.ت).

١٩ -طبقات النحويين واللغويين للزُّبيديّ(ت٣٧٩هـ)- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ذخائر العرب(٥٠)- دار المعارف- القاهرة- مصر ط١/١٩٧٣م.

٢٠ -عمدة الحفاظ للسمين الحلبيّ(ت٧٥٦هـ)- حقَّقه الدكتور محمد التونجي-عالم الكتب- بيروت- لبنان ط١/١٩٩٣م.

٢١ -فتح الباري لابن حجر(ت٨٥٢هـ)-عناية ابن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب- دار المعرفة- بيروت- لبنان(د.ت).

٢٢ -القاموس المحيط للفيروزابادي(ت٨١٧هـ)- طبعة مكتبة مصطفى الحلبي- القاهرة- مصر ط١/١٩٥٢م.

٢٣ - الكتاب لسيبويه(ت١٨٠هـ)- تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون- مكتبة الخانجي- القاهرة- مصر ط٣/١٩٨٨م، وتحقيق الدكتور محمد كاظم البكاء- منشورات زين الحقوقيَّة والأدبيَّة- بيروت- لبنان ط١/٢٠١٥م، وطبعة بولاق- القاهرة- مصر ط١/١٦- ١٣١٧هـ.

٢٤ - كسرتَ رأس سيبويه: أخطاء شائعة وأغلاط ذائعة- حسن كمال محمد محمد- مكتبة العبيكان - الرياض- السعودية ط١/٢٠١٤م.

٢٥ -لسان العرب لابن منظور(ت٧١١هـ)- دار صادر- بيروت- لبنان ط٣/١٩٩٤م.

٢٦ -المحتسب لابن جني(ت٣٩٢هـ)- تحقيق أ.علي النجدي والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح شلبي – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة- مصر ط/١٩٩٩م.

٢٧ -المذكر والمؤنث للمبرد(ت٢٨٦هـ)- تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور صلاح الدين الهادي- مركز تحقيق التراث- دار الكتب- القاهرة- مصر ط١/١٩٧٠م.
٢٨ -مرويَّات سيبوية التي لم ترِد في كتابه- الدكتور محمد جمعة الدِّربيّ- عدد جمادى الآخرة- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسلاميَّة- القاهرة- مصر ط/١٤٣٩هـ.
٢٩ -مرويَّات سيبويه ممَّا لم يرِد في كتابه- الدكتور محمد جمعة الدِّربيّ- عدد ذي الحجة- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسلاميَّة- القاهرة- مصر ط/١٤٤١هـ.
٣٠ -مشارق الأنوار للقاضي عياض(ت٥٤٤هـ)- المكتبة العتيقة- تونس، ودار التراث- القاهرة- مصر ط١/١٣٣٣هـ.
٣١ -المصباح المنير للفيوميّ(ت٧٧٠هـ)- دار القلم- بيروت- لبنان(د.ت).
٣٢ -مطالع الأنوار لابن قرقول(ت٥٦٩هـ)- دار الفلاح- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- قطر ط١/٢٠١٢م.
٣٣ -معجم القراءات القرآنيَّة- الدكتور أحمد مختار والدكتور عبد العال سالم- عالم الكتب- القاهرة- مصر ط٣/١٩٩٧م.
٣٤ -المعجم الوسيط- مطبوعات مجمع اللغة العربية- القاهرة- مصر ط٣/ ١٩٨٥م.
٣٥ -كتاب المُغرب في ترتيب المُعرب للمُطرزي(ت٦١٠هـ)- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان(د.ت).
٣٦ -المفضليَّات للضبيّ(ت١٧٨هـ)- تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون- دار المعارف- القاهرة- مصر ط٣/١٩٦٤م.
٣٧ -النحو بين التجديد والتقليد- للأستاذ عبد الخالق عضيمة- ضمن: مقالات نديَّة في اللغة العربيَّة من تراث مجلة الأزهر- إعداد أسرة تحرير مجلة الأزهر- هديَّة عدد جمادى الآخرة- مجلة الأزهر- مجمع البحوث الإسلاميَّة- القاهرة- مصر ط/١٤٤٢هـ.
٣٨ - النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير(ت٦٠٦هـ)- تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي- دار الفكر- بيروت- لبنان(د.ت).

الدكتور محمود البستاني
قراءة في منجزه النقدي النظري والتطبيقي

الأستاذ الدكتور عليّ كاظم أسد
كلية التربية للعلوم الإنسانية
ابن رشد
جامعة بغداد

الملخص:

يقدم هذا البحث قراءة للأستاذ الدكتور محمود البستاني في منجزه النقدي النظري والتطبيقي كأول ناقد عربي قدم نظرية في كتابة (النظرية النقدية) ورائد نظرية (اسلمة الفن والادب) في بناء خطاب عقائدي إلى ضوعه منهجاً بنائياً خاصاً لدراسة معمار القرآن البنائي إلى كونه من الأساتذة الاكاديميين العرب الذين وقفوا ازاء النصوص الأدبية والفنية والقرآنية بتحليل مستوياتها الدلالية بمناهج متطورة، بعيداً عن مفاهيم النقد التقليدية.

المقدمة:

يتيح الدكتور البستاني لقارئه أن يقرأه حياة فكرية على هيأة حلقات يرفد بعضها بعضا، باحثا في النقد كحلقه أولى، عززها برسالتيه للماجستير وللدكتوراه المقدمتين إلى جامعة القاهرة في الستينيات وأوائل السبعينيات، وكلتاهما في النقد الأدبي ومناهجه، معززا شخصيته النقدية

بتعيينه في كلية الفقه، وإلقائه محاضرات في تخصصه، ثم سلط أضواءه على النص القرآني، باحثا عن مدخل يدلف منه لدراسته، فجرب كيفيه دراسة النص الأدبي عامة والنص القرآني خاصة، فدراسة القصة القرآنية، ثم اهتدى إلى المدخل الرئيسي الذي رآه مناسبا لدراسة هذا النص العظيم ألا وهو دراسة معماره البنائي، فوضع منهجه البنائي تعينه أداته المرهفة في دراسة النصوص وهي التحليل الذي عرف به ؛ هذا من حيث الجانب التطبيقي النقدي في شخصيته النقدية. أما جهده النظري فقد أيّده بكتابه المهم (النظرية النقدية)، ثم المرحلة الأخيرة التي رفدتها المراحل السابقة وهي التي حشّد لها كل معارفه وجهوده في تنظيره وتطبيقه لأسلمة الفن والأدب؛ لبناء خطاب عقائدي سخرله إمكاناته.

تمرُّ هذه الأوراق على واقع النقد الذي عاصره في العراق، وعلى مكانته النظرية النقدية والتطبيقية وتفاصيل أُخرى .

١ – واقع النقد الذي عاصره في العراق :–

لابد من المرور على النقد الذي عاصره ؛ واقتبس أبرز الآراء التي وصفت هذا الواقع:–

نشرت مجلة الكلمة مقالا لطّراد الكبيسي واصفا النقد: " إن أغلب الذين يمارسون النقد عندنا اليوم بعيدون عن العصر بعدا سحيقا ولا أقصد بالعصر العصر، والعصرية هنا الزمن أو الزمنية، أنما اقصد الرؤية والوعي الحضاري ... "[١].

---

[١] تخطيط مشروع عن نقد الشعر، طراد الكبيسي، مجلة الكلمة العدد (٣)، ١٩٧١ : ٧ .

ونشرت المجلة نفسها وصفا للنقد الأدبي في العراق للكاتب هادي عبد : " .... ربما لأن النقد عندنا أكثر اشكال الأدب تخلفا، فإن أزمته تبدو بارزة وتبعث على الأسى حقا وهذه الازمة المزمنة تتخذ وجوها متعددة، فتارةً تبدو في الضحالة الفكرية التي تصل الى حدِّ الأمية (الجهل بالمدارس الادبية وعدم استيعاب التراث الفني، وفهم موقع الأديب من العصر وتياراته)، وتارة تبدو في اطلاق التعميمات والخطوط العامة لما يصلح آنذاك لكل كاتب في كل زمان ومكان وهذه الوجوه المتعددة لأزمة النقد عندنا وضعت الناقد الأدبي في موضع خلو من أي تأثير على الجو الأدبي، بينما تجد الناقد في البلدان الأخرى لا يحظى بالتقدير والاحترام فقط، بل إنه يكون في كثير من الأحيان مصدر خوف أيضا .... أما عندنا فقد دفع الاستخفاف بالناقد الأدبي إلى عزله تماما عن الوسط الأدبي، وجزء كبير من هذا الشعور المضاد يتحمّله الناقد نفسه إذ إن كثيرا ممن حملوا على اكتافهم مهمة النقد الادبي عندنا فقراء الى الثقافة الى حدِّ اللعنة تسيرهم تيارات شخصية واهواء فردية وتحيز لا علاقة له بالأدب .... أن هناك نقادا جيدين استطاعوا أن يقدموا بعض العطاء الفني لكن لم ترتكز على رؤية شاملة بحيث تساعد النص والمؤلف على التطور، أن الوسط الادبي بحاجة الى الناقد الكاشف الذي يصدر رأيه عن رؤية فنية ذات بعد منهجي في الأقل "[٢]. وكتب عباس توفيق في رسالته للماجستير " .... ولكن بحث العراقيين عن مناهج لنقد الشعر لمواكبة محاولاتهم النقدية حركة الشعر بالرغم من كثرة آرائهم

---

[٢] على هامش النقد الادبي، هادي عبد، مجلة الكلمة العدد (٦) ١٩٧١: ١٠٩ .

النقدية في قضايا الشعر بقي دون الشعر نوعا وكما ولكنهم دفعوا بالنقد بعد ثورة تموز ١٩٥٨ خطوات ورسخت الاحساس بوجوب حضور النقد"[٣] .

وكتب فاضل العزاوي في مقال له في مجلة الكلمة واصفا الكتابات النقدية " ان معظم هذه الكتابات النقدية (الخواطر الصحفية في أحيان كثيرة) ليست سوى دفاع عن مواقع معينة في مجال الأدب، محكومة بالاكتساح والاحتضار بسبب من عدم قدرتها على وعي شرطها التاريخي ككتابة خاضعه للجدل"[٤].

وإذا حاولنا أن نحدد السطور لفرقنا بين نقد تقدم وصفه وسنضيف اليه، وهذا ما كان قبل العقد السادس من القرن العشرين وأوائل هذا العقد، وثمة وعي نقدي تأثر بالمجلات اللبنانية والمصرية وصيحات الحداثة ومعارك المحافظين والمجددين وحملة الشهادات العليا ممن عاد من الجامعات الغربية وقد درس النقد ووقف على أهم المدارس النقدية وشهد سلطة النقد وهذا ما شهده منتصف العقد السادس في العراق، ويتمثل في وجه أكاديمي يمثله خريجو الجامعات البريطانية والفرنسية وغيرها، ومنهم: الدكتور عبد الجبار المطلبي والدكتور ناصر الحاني والدكتور ناصر حلاوي والدكتور داوود سلوم والدكتور جلال الخياط والدكتور عناد غزوان والدكتور جميل نصيف (من موسكو) وآخرين، وتخرج بعدهم من الجامعات المصرية حاملا تخصص النقد ومنهم: الدكتور عبد الإله أحمد والدكتور عليّ عباس علوان والدكتور عمر الطالب وقبل هؤلاء الدكتور البستاني وتخرج من الجامعة العراقية

---

[٣] نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠ – ١٩٥٨، عباس توفيق : ٣٢٩ .

[٤] لمن نكتب، فاضل العزاوي، مجلة الكلمة العدد (٣)، ١٩٧٤ : ١٠ .

آخرون ومنهم: محمد حسين الأعرجي ومحسن أطيمش وعباس توفيق ويوسف الصائغ، وتسبق الوجبة الثانية نازك الملائكة من بريطانيا وسبقها جبرا ابراهيم أما الوجه غير الاكاديمي فمنهم حسين مردان وحسين مروة وحميد المطبعي وفاضل ثامر ومحمد جزائري ومحمد الخالدي وغازي العبادي وياسين طه حافظ وغانم الدباغ وعبد الرزاق حبيب ورزاق ابراهيم وعزيز السيد جاسم وفاضل العزاوي وطراد الكبيسي وياسين النصير وعبد الجبار البصري وحاتم الصكر وغيرهم آخرون ممن كان اكاديميا ولكنه آثر الكتابة الصحفية .

فقد مارسوا انواعا من النقد لكل أجناس الأدب المعاصرة والتراثية والعراقية وغيرها وممن أسهم في ترجمة التراث النقدي الغربي فهؤلاء يمثلون الجانب الآخر من النقد، فأما الوجه الاكاديمي فالغالب على نشاطهم النقدي أنهم مدرسون للنقد وليسوا نقادا، بل هم مثقفون نقديا أي وقفوا على المدارس النقدية والمذاهب الادبية واستوعبوا التراث الادبي بحكم دراستهم ووازنوا في أنفسهم وفي بعض كتاباتهم بين واقع الأدب العراقي والنقد وواقع الادب العربي والعالمي وواقع النقد، لكنهم لم يقِّدموا شيئا كثيرا يدفع الأدب والنقد في العراق بعيدا عن الفوضى والضحالة والتخلف والتبعية والتقليد ولم ينتخبوا لهذا الواقع في ترجمات بعضهم ما يناسب ذلك بأنهم شغلوا بالجانب الاكاديمي من تدريس او ما تفرضه الجامعة عادة من واجب ولم يوهبوا الموهبة النقدية التي تجعلهم مؤهلين للوقوف ازاء النصوص ولم تكن هممهم النقدية بمستوى الرقي الى التفكير التنظيري الذي يؤسس لمفردات اطار شامل يستلهم التراث او يستوعب الفكر الغربي.

أما الذين مثّلوا الوجه غير الأكاديمي أو الصحفي وهم: كُتّاب المقالات والعمود الصحفي الأدبي المتابع للواقع وروّاد المهرجانات والمحافل الأدبية فهؤلاء كانوا يتابعون كل شيء من موضات أدبية، وما يقع في اتحاد الأُدباء ومواكبة المواهب الجديدة في كتابة القصة والشعر الجديد والتقليدي والتنبؤ الناجح أو الفاشل لمصير الادباء أو الناشئين أو التيارات الادبية .. فهؤلاء ضاعوا في فوضى الاضطراب المصطلحي بين مفاهيم المصطلح الاجنبي وضبابية فهم الترجمة أو قصورها، فلم يقدّموا ايضا ما يرقى بالحياة الادبية الا اضطرابا وهم بين كتابه الشعر او القصة و الاقلاع عنهما الى النقد الذي لقنوه من المجلات الاجنبية والترجمات التي تفاوتت بين الرداءة وسوء الفهم لعمل المترجم: أيسلك الترجمة الحرفية أم يتصرف بحسب فهمه وعلمه وامكاناته وهم ايضا بين سوء الاختيار لما يصلح والتعصب للحداثة التي هي في خير أحوالها لا تلائم الذوق العام .

ولكن البستاني زود نفسه بما انتقاه لها حين غذّى ذائقته باطلاعه على انجازات النقد الامريكي الجديد وقبله لكبار الانطباعيين والرومانسيين وعلماء الجمال وفلاسفته في لغتها او الاعتماد على التراجمة المصريين المجيدين ونأى عمّا يدور من نقد .

وكلا الوجهين أراد أن يحقق، كلاً على حده شيئا لنفسه، فالأول أراد ان يحقق تخصصه الاكاديمي فكتب في النقد نظرية وتطبيقا شيئا محدودا على فائدته العلمية، والثاني هيّأت له الصحافة ونشاط الاتحاد مجالا، وكانوا يريدون ان يحققوا شيئا فحققوا نشاطا ادبيا في حدود مواهبهم، ولكن انتماءهم الأيدلوجي الذي لم يكد يخلو منه أحد وتقليد التجارب الوافدة وعدم الارتفاع

على الفردية لمناقشة الواقع الادبي بجدية قصر من خطى النقد؛ فدارت كلمة (نقد) بكل معانيها السطحية خواطر صحفية وانطباعات ذوقية خاصة واحكاما سريعة، او انتقادا او تقريضا أو تجريحا... الى ما هنالك، بدون ترسيخ لمفهوم يوازي حجم الابداع، الذي عُرِفَ به العراق، ونوعه، منذ الفتح الى الآن، ولم تأخذ هذه الكلمة دورها في توجيه الأدب وصقل الذوق العام؛ لان النقد لم يكن مستقرا على أُسس واضحة ولم يصدر عن إيمان بدوره ولاعن رؤية منهجية ولم ينطلق من مفاهيم أو أهداف؛ ولذلك تجد الإبداع، وهو يصدر إما عن تقليد أو عن حداثة وعلى الرغم من تناقض هذه المفاهيم فيه يظل مشروعا بنظر هذا النقد، على حين ان صدوره عن كلا المصدرين تقليد، فمن حيث التقليد كانت التجارب تنطلق من التراث شكلا ومضمونا ولم تنطلق من الواقع، مثلا، باستلهام روح التراث، ومن حيث الحداثة تقليد ايضا، للتجارب الغربية ولا حضور للواقع الذي يجب ان يكون مادة الابداع، ولا يجد المتلقي كلمة فصل، على حين تمتع النقد في الغرب بكل سلطته في التوجيه والتنظير والحكم بين وجهات النظر المتباينة والحكم بالقيمة، وتمتع بالغنى الفكري والحضور واتصف بالمنهجية ووضوح المفاهيم وثراء الاصطلاح والانجاز ورصد التيارات الادبية وذلك بالإفادة من النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر والافادة من الكشوف والتطور في الحقول الفكرية والثقافية والعلمية، عدا بعض الفوضى في نزعات بعض التيارات الأدبية وهي نابعة من طبيعة المجتمعات الاوربية بحكم التسارع الكبير في التطور العلمي، ومن الغريب اننا لا نستورد من ذلك الوضوح والاتساق الا الفوضى والتجريب الذي ينبع من طبيعة تلك المجتمعات وملابستها ولا علاقة لها بالمجتمعات العربية

واذواقها، والا فلكل مجتمع مشاكله وفوضاه، ومن الطبيعي ان تنتاب بناه الفكرية والأدبية فوضى نابعة منه، وليس بالضرورة ان تتطابق البيئات بحيث يلائمها ما لا يلائم بيئة اخرى وتلغى الخصوصيات والتفاصيل والمعايير والقواعد، ومن العجيب ان يتجاوز نقاد كثيرون وأدباء هذا المعنى اليسير ويتبنون لمجتمعهم ما لا يناسبه .

وقد تبدو بعض أسباب هذا التأثر أو هذا التبني ان الناقد لا يعي دوره المهم في صقل ذوق المتلقي من جهة وتوجيه المواهب الأدبية بما يفكر فيه، وينتجه من فكر وبما يستورده لهاتين القبلتين من زاد، وسبب آخر ضعف رؤية النقاد وبصائرهم وإيمانهم المطلق بضرورة تبعيتهم للمفكرين والنُّقاد الغربيين للحد الذي يجعلهم مستعدين تمام الاستعداد لان ينزلوا عن ادوارهم وخصوصياتهم ورؤاهم حتى لو كانوا مقتنعين بهذه الادوار وهذه الخصوصيات وهذه الرؤى.

فضلا عن أسباب اخرى كغياب المنهجية في الانتقاء والترجمة الفردية اي غير المنطلقة من المؤسساتية وعدم اتصاف المترجمين بالتخصص الصحيح بالنقد ففي مصر مثلا ثمة مؤسسات كمؤسسة التأليف والنشر والترجمة والمجلس الأعلى للثقافة والهيأة المصرية العامة للتأليف والنشر، والمشروع القومي للترجمة، وحتى في الكويت ثمة عالم المعرفة الكويتية التي أشرف عليها الدكتور فؤاد زكريا، وثمة مترجمون منهم: ماهر شفيق فريد الذي ترجم تراث اشهر ممثلي النقد الامريكي الجديد توماس صموئيل أليوت كمتخصص بالنقد الانكليزي، ومحمد برادة ومحمود عياد، ومحمد حافظ دياب، ونهاد صليحه وحسن البنا، وفؤاد كامل وعبد الغفار مكاوي، ومصطفى

بدوي وعبد الرحمن بدوي، وعبده بدوي الذين ترجموا كثيرا من التراث الفكري والفلسفي وآخرين يندون عن الحصر .

فضلا عن ان المتلقي العراقي يقرأ ما يصدر عن الغرب من أجناس ادبية ودراسات نقدية ومنجزات فكرية، وهو قابل لأن يتبنّى ما يقرأ بصرف النظر عن قواعده التي انطلق منها وخلفياته الخفية وتحتيات خطابه، بلا تحكيم درس او تحليل او انتقاء لما يلائمه ولما لا يلائمه أو حسبان لنتائج هذا التأثر كإلغاء الخصوصية وضياع الهوية، فالنقد والأدب ليسا كالعلوم المجردة كعلوم مادية بشرية عامة لا تحمل الخصوصيات بل هما شأن روحي ذو خصوصية فردية واجتماعية .

لذا ينزل المثقف العراقي (والعربي أيضا) غالبا عن خصوصية لغته ومجتمعه وواقعه بكل يسر، لان الانبهار بالغرب عمقه الاخر .

وهذا كله يدعو الى وجوب حضور النقد في مفاهيمه الحديثة ليكون مرجعا بين المبدع وما يبدع في الاقل .

نعم كان ثمة مثقفون واكاديميون وكُتّاب ولهم اساليبهم ورؤاهم ومواهبهم ولكن جهودهم لم تكن تصب في نسق واضح واحد، ولا حتى على صعيد مجموعات لكل مجموعة رأي أو منهج تؤلف تيارا او مذهبا تنطلق منه رؤى كالشكلانيين مثلا او مدرسة النقد الامريكي الجديد ... الذين كانوا ينطلقون في رفد تيار واحد او مذهب محدد ينهض مع المذاهب الاخرى كواجهة للفكر الغربي يمتح منه الادب ويرقى ....، نعم كان في العراق مثقفون ولكن النزعة الفردية ومنطق التدابر والتحاسد والمنافسة هو السائد : كالسياسيين لا يكادون يجتمعون على اتجاه وقرار واحد بل يغلبهم منطق رفض الاخر رفضا ادى

الى التقاطع؛ واستثني اجتماع اربعة على اطلاق بيان شعري في الستينيات وهم فاضل العزاوي وخالد علي مصطفى وسامي مهدي وفوزي كريم، ولم يشهد حتى اتحاد الادباء العراقي الذي اسسه الجواهري وعبد الرزاق عبد الواحد واخرون مثل هذا التوحيد في الرؤية والانطلاق مع تنوع الرؤى التي تصب في مصب واحد طبعا، فمثل هذا لم يشهد النقد العراقي .

وكان ثمة جانب من وعي نقدي في منتصف عقد الستينيات بقراءة الخطاب النقدي الغربي جزءا من الثقافة الانسانية مع محاولات هنا وهناك في محاولة اعادة التراث بمنبهات كحركات التجديد وعودة المبتعثين ... الى ما هنالك، ولكن هذا لم يغير من واقع الأدب والنقد كثيرا، ولم يدفع بالنقد الى ما ذكرنا من منهج أو نظرية، بل كان الخلط سائدا بين من مارس النقد واتصف بالناقد خطأ؛ لأنه محض مدرس أكاديمي للنقد فقط، وبين من هو ناقد فطرة ورؤية وهدفا، وفي خضم هذا الاضطراب ينتحي الدكتور البستاني ناحية مميزة في درسه النقدي النظري والتطبيقي من حيث اسلوب التأليف والنتائج التي حققها والمنهج الذي اتبعه بما وهب من قدرات متنوعة وثقافة واسعة باطلاعه على النتاج العالمي وعلى الدرس العربي القديم للأدب والبلاغة والتفسير فألّف هذا نسيجا فاعلا في تكوين رؤية نقدية عززها بمعاصرته للنقد ودراسته إيّاه برسالتيه فحدد مواطن الضعف والقوة في هذا الواقع وطمح الى ما ينتشله من ضعف، فضلا عن موهبته في الوقوف ازاء النصوص، فاستطاع ان يؤسس للمنهج التحليلي الذي عرف به في دراسة النص الادبي عامة والنص القرآني خاصة.

فاذا كان المثقف العراقي والعربي يتأثر بما يدور في الغرب، لكنه في خير أحواله محض تأثر قصاراه التقليد لا الاضافة أو الإفادة أو النقد – في الأقل – فان البستاني وقليلا مثله زاد على التأثر بان وعي النتاج الغربي، وانطلق الى تكوين وجهته الخاصة في بلورة نظرية نقدية في بواكير وعي جيله النقدي، على حين عانى كثيرا مجايليه من النقاد والمثقفين العرب والعراقيين من قصور الادراك المنهجي لوجهات نظر مفكرين غربيين ربما هم في طور التجريب ولكن من هؤلاء العرب أو العراقيين يتبنون وجهات نظرهم، وكأنها الكمال بعينه وينتمون اليها لحد البراءة من جلودهم وحتى من اعتقادهم الديني والاجتماعي، وهذا يدلّ على عدم ارتقاء تطبيقاتهَم أو حتى قراءاتهم لما قرأوه منهم الا ما ندر على حين نجد البستاني، بالرغم من سلطة النتاج الغربي لم يزده إلّا قوة ايمان بخصوصيته وإصرارا على تغيير واقع الفكر والنقد في بيئته، ولم يتنكر أو يبرأ من اعتقاداته، ذلك بأن الاطلاع على الفكر العالمي، عنده، يعني جلاء البصيرة ورفد الوعي، لا الانتماء، والاضافة عليه بحسب الخصوصية، ولابد من الاشارة الى هذه الناحية المهمة من شخصيته وهي موقفه من الإفادة من التراث العالمي والعربي ومدى هذه الافادة وصياغتها لثقافته ورؤيته.

٢ – فاذا ما أردنا ان ننّوه بناقد أو مفكر أشرنا، عادة، الى مدى اطلاعه على الانجاز المعرفي الانساني، ولكننا بصدد البستاني نتجاوز هذا؛ لأنه عتبة يسيره الى عالم من التمثل والتأمل والوعي والاضافة والتطبيق لما وعاه بعد ان انتقى ما يلائم أبحاثه ورؤاه النظرية واستنباط الجديد من المفاهيم والرؤى، بل الأُسس والمعايير الخاصة من تجاربه التطبيقية الى الجانب

النظـري مؤسسـا لشخصـية حاضـرة ترقـى الـى كثيـر مـن الأعـلام العـرب المعاصرين، وكثير منـهم لا يستوي معه الا فـي مستوى التطبيق فقط، ولكنـه متميز، لنظريات النقد الغربية كالدكتور شكري محمد عياد والدكتور محمد الربيعي والدكتور محمد فتوح أحمد والدكتورة نبيلة إبراهيم والدكتورة بنت الشاطي والدكتور احسان عباس والدكتور عبد السلام المسديّ والدكتور محمد النويهي والدكتور حمادي صمود والدكتور بدوي طبانه والدكتور محمد مصطفى هدارة والدكتور جابر عصفور والدكتور محمد زكي العشماوي والدكتورة سيزا قاسم وسامية أسعد وهدى وصفي والدكتور عبد العزيز حمودة والدكتور سعد مصلوح وآخرين كثير لا تفي بذكرهم هذه العجالة، ولم اذكر الدكتور عز الدين اسماعيل فهو أقل شأنا ممن ذكرت في حيز التطبيق ولا الدكتور محمد عبد المطلب، لتذبذبه في قدراته التطبيقية ولا الدكتور صلاح فضل ولا الدكتور كمال أبو ديب، لشبهة افادتهما من غيرهما لحد الشبهة ولا الدكتور غالي شكري، لإيمانه المفرط بانتمائه الايدلوجي وغلوه بهذا الايمان في مجال التطبيق، وهو أمر يجعله في حدود هذا الانتماء الذي يخصّه، ولا الدكتور محمد مندور؛ لإفادته من التراث الفرنسي ونسبته إلى نفسه، ولا الدكتور عبد القادر القط؛ لعمق عداوته للتراث عداوة تجعله في معزل عن الأخذ بآرائه.

بل أعدّه في مصاف الدكتور محمد شكري عياد في قراءاته الدقيقة للتراث من جهة وللأفكار النقدية الأكثر شهرة كالبنائية ونظريات التلقي والتفكيك ونظراته الفاحصة في هذه الأفكار من جهة ثانية، وعمله في التوجيه

الى درس اسلوبي نقدي حديث في دراسته للبلاغة العربية تواصلا مع جهود الشيخ امين الخولي رحمه الله في هذا الجانب.

وفي مصاف الدكتور مصطفى ناصف في إعادة قراءته للتراث، وبلورة فهم جديد واستيعاب للإنجاز المعرفي العالمي، ولكن عيادا وناصفا لم يقدما نظرية، بل كلاما نحو مشروع نظرية نقدية لا يتجاوز العنوانات عند الدكتور ناصف مثلا، وهؤلاء كلهم مع قوة التنويه بهم وتفاعلهم الأكاديمي والفكري والثقافي وقوة الاضواء الاعلامية المسلطة على إنجازاتهم ونشاطاتهم في المجلات المقروءة عربيا وعالميا وكونهم في مصر البلد الذي يجعل من البيضة صقرا، قياسا على بلد كالعراق لا يحتفل بأعلامه، بل يحيل الاحياء الى أموات، ويبكي عليهم، فضلا عن ضعفه الإعلامي، جعل هذا كله من مفكر كالبستاني في بقعة معزولة مظلمة في نظر غير المميزين، وهذا مع زهده – رحمه الله – بالأضواء وتجنبه للشهرة، ولولا هذا لنال مكانته العالمية لمحض نشره ابحاثه في الصفحات العالمية المقروءة، وان نال في ايران اهتماما في مراكز دينية وفقهية وتفسيرية وعقائدية وفكرية، ولكننا كنا نتمنى ان يدور الاهتمام به في الوسط العربي والعراقي لا للاحتفال به فقط، بل للإفادة من منجزه المهم في الأدب والنقد أيضا.

ولذلك ارى ان ظهور البستاني في الواقع النقدي العراقي في عقود الستينيات والسبعينيات كظهور بيلينسكي في الواقع النقدي والأدبي الروسي في الثلث الاول من القرن التاسع عشر .

ولا يفوتني ان اذكر اسماء اخرى كالدكتور جابر عصفور وأدونيس ... فقد اشتهرا بالدعوة الى إعادة قراءة التراث واستنباط الزوايا التي لم يحتفل

القدماء بها وهي الان تعدُّ من جديد المنجز الغربي، ولكن هؤلاء على الرغم من جهودهم لا يصطفون معه وهو بوجوهه المتنوعة وهم بوجه واحد وان تعددت ملامحه .

أما الدكتور نصر حامد أبو زيد فقد وّجه الى قراءة التراث العقدي في ضوء التفكير الاسلامي فأتهم بالجرأة على محترمات كثير من المحافظين الذين لا يجرؤون على ما جسر عليه في نظرهم، وليس على العقيدة الجوهرية للدين، بل على آليات التأويل وما تؤدي الى خلل في التطبيق، ولكن الدكتور البستاني طمح الى نظرية أدبية اسلامية في إعادة قراءة تراث المعصومين وفي حدود توجيهاتهم وقراءة خطابهم لبلورة خطاب عقائدي ينهض ازاء الخطاب الاخر مهما كان توجهه وأصوله من داخل الملة أو من خارجها بتصور أكاديمي حديث ومتطور لا يزيح شيئا من اصول الاعتقاد أو فروعه أو شيئا من المحترمات في النفوس، بل هي باقية في حيزها ، بل ولا يجعلها في مهب الشك أو الشّبهة، بل في فضاء قابل للحوار بتوازن غير متكلف لا يفرط بشيء ولكن يستفيد من وجوهه الممكنة إفادة لا تثير محافظا ولا تغري متحررا، بحيث استطاع ان يطلق المخبأ من الأماني المكبوتة في صياغة خطاب امامي .

وهذا لم يتسنَ (لحامد أبو زيد) ولا لكثيرين من المجددين كالدكتور طه حسين وغيره ممن وقعوا في الإفراط او التفريط أو في كليهما معا، ولم يقع هو فيما وقعوا فيه بل نهد الى منهج دقيق في الأدب والفن وعلم الاجتماع وعلم النفس.

اذن ما ينوه به في شخصيته النقدية هذا التوازن في استلهام التراث والافادة من المنجز الغربي على انه تراث إنساني عام في الحين الذي نجد فيه الجيل الذي عاصره شهد تحولات كثيرة في مسار الأدب والنقد في التطلع الى النقد الغربي وتمثل الحياة الاوربية بكل ما فيها من تفاهة وانحلال أو خير وشهدت صراعا بين المقلدين والمجددين .

إنّ الدعوة الى أسلمة الفن والأدب جاءت منه في ظل جدب الواقع العقائدي من خطاب إمامي على حين ان مصادره وأصوله مبثوثة بين أشكال الادب، ومع هذا لم ينهض به أهله في حين نهضت أشكال الخطاب المنحرف التي فرضتها السياسة من بعد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الى الآن بتحييد خطاب الائمة ومحاربته واخفائه والتعمية عليه حتى صار محض التفكير فيه ضربا من الكفر والشرك أو الطائفية أو التحريض على التمرد والثورة يعاقب عليه بالإعدام والقصف كما يحصل الآن .

٣ – أما على صعيد التنظير فقد نال سوء الفهم من النشاط النقدي فهبط الى مستويات التصور الديني؛ لأنه وقع بين الفضول، أو التبعية للإبداع أو التعقيب الفارغ عليه أو مجاملته أو التبعية للإنجاز المعرفي غير العربي، فاختلاط أمره على المتلقي جعل من قيمته كنشاط فكري ابداعي معدوما او كالمعدوم وهو أمر ادى الى اختلاط شخصية الناقد بغيرها، والى تزايد الغموض حولها، فثمة من لا يفرق بين الناقد ومدرس النقد، أو المؤرخ، أو الذي يجول بين النصوص بانطباعاته ويسجل مغامرات روحه بينها – كما يقول النقد الانطباعي – وهذا الاختلاط لا يقع في بيئات الفكر الغربية؛ لأنهم مصادر النقد الحديث، بل ثمة خلط بين من يمارس النظرية النقدية،

والذي يقف ازاء النصوص؛ للكشف عن مستويات بناء دلالتها الجمالية، وهذا دعا البستاني الى ان يقف فيصلا لحسم هذا الخلط والغموض وإعادة القيمة الكبيرة لهذا المجال الفكري في النشاط الانساني، ومن هنا تأتي قيمة رؤيته في تأسيس نظرية نقدية وفي مجال المحاولة الجزئية، أو الكاملة ولم شتات الدرس التطبيقي، وما يتوجه به الى تخطيط نظري شامل هدفه التأسيس لمعايير وأسس وتوحيد مصطلح نقدي .

ولم يظفر النقد العربي الا بدعوات ومحاولات لم تتخذ الصورة الكاملة كدعوة الدكتور عبد العزيز حمودة الأخيرة، لكنها كانت باستعارة جهد عبد القاهر الجرجاني واعتماده كنظرية نقدية عربية، اذن لم تكن كمحاولة البستاني في كتابه الصغير الحجم الخطير الشأن الذي افتتحت به وزارة الاعلام سلسلتها كتاب الجماهير في عام ١٩٧١ كتبه قبل هذا التاريخ بأربعة عشر فصلا ومقدمة بلورفيه ماهية النقد وصلته بالعلوم الأخرى والأجناس المتاخمة بعرض وجهة نظر الناقد الغربي قديما وحديثا، ثم الانتهاء الى وجهة نظره الخاصة، انجازا معرفيا، او بكل بساطة : الى نظرية نقدية .

والحق ان الكتابة في هذا الكتاب تكتسب أهمية خاصة ؛ فمن بين الضعف والهبوط الذي وسم به النقد في العراق يبرز لنا كتاب لا تنقصه المنهجية أو الرؤية أو الطموح في تقديم نظرية نقدية تتبلور فيه رؤية الناقد للواقع النقدي، رؤية لا يفوتها شيء من صور نقص والجدب لهذا الواقع، ولا يفوتها ان تنظر الى الغنى والتنوع في الواقع النقدي العالمي، وما يصلح أن يُؤخذ منه ومالا يصلح للواقع العربي، وهذا مالا يكاد يدعيه أحد؛ لذلك لم يصدر عن أحد من معاصريه ولا من بعده .

اذن جاء هذا الكتاب ردة فعل على حال النقد العراقي، ومن الطريف ان هذا الجهد لم يذكره احد[٥] ممن يكتب في النقد أو تاريخه في العراق، بل لم يمر على بال هؤلاء الذين يدعون الدرس النقدي، وهذا يدلّ على تردي النقد لحد الان على الرغم من الادعاءات العريضة لمن يمارس الكتابة النقدية، بل لم يذكر البستاني في شيء على الرغم من صفته النقدية التحليلية التي لم يتصف بها كثير من معاصريه، هذه الصفة التي رسخها في دراساته التطبيقية الفريدة، ولم تجد صداها الا عند بعض النقاد وهم الآن في خانة التحييد أيضا .

واعود الى كتابه، فأقول :- لقد استهدف هذا الكتاب النقد، تحديدا، من حيث ماهيته ومفهومه وعناصره ومهمته، جهدا منهجيا جادا واضحا، على عكس الجهود في النظرية الحديثة التي شغلت بالنص أو الأدب أو الشعر أو السرد أو ما هو أدبي وغير أدبي والمؤلف والقارىء والسياق والمضمون والشعر والنثر ... الى ما هنالك ولم تنته الى التنظير الكامل لكل هذا ولم تصل الى التنظير الى النقد كنظرية كاملة أو شبه كاملة، ومع هذا فإن هذه العناصر على أهميتها وخطرها صرفت الجهود التي كان يجب ان تنصب على بلورة نظرية للنقد ومفهومه، لا على ما يدرسه النقد، فأثارت النقاش بتفاصيل أكثر بعدا عن مفهومه الى نشوء تيارات ومذاهب حالت دون تمييز النقد من بين العلوم المتصلة به، وجعلت من النقد أخيرا أن يتحول الى

---

[٥] ذكر مؤلف كتاب: محمود البستاني مفكرا اسلاميا الشيخ محمد الساعدي في الصفحة٥٧ . ان جبرا ابراهيم جبرا وصف كتاب الدكتور محمود البستاني بأنه احد اربعة كتب الفت في هذا العصر .

نشاط ثقافي عام لا يعرف لـه منـهج أو رؤيـة محـددة، بـالانخراط بمـا يعـرف الآن بالنقد الثقافي، وهو ما يقترب من الأحاديث العامة التي تدور في كل البيئات حول الأدب بكل أجناسه، وهو ما كان يمارسه كل من هبَّ ودبَّ في كل زمان ومكان، بحيث تعقدت حدود النقد وزالت الحدود الفاصلة بين ما هو نقد وما هو غيره، كما زالت الحدود بين ما هو أدبي وغير أدبي، وقبل ذلك بين ما هو شعري وغير شعري؛ لذلك ادرك البستاني استطرادات محاولات التطرق الى نظرية نقدية حديثة الى ما هو غير نقدي، بأطلاعه العميق الواسع على النشاط النقدي العالمي بلغتي نصوصه الانجليزية والفرنسية ومدركا في الوقت نفسه حاجه الواقع الفكري العربي الى مثل هذا التنظير، بمعاصرته ودراسته النشاط النقدي العراقي والعربي وادراكه خلو هذا الواقع من مثل هذا الهدف، الا محاولات جزئية تحتاج الى رؤية شاملة لعناصر النظرية كلها، وذلك برسالتين اكاديميتين من اقدم جامعة عربية؛ فاستهدف النقد وحده، مستخلصا إيّاه من كثير من المفاهيم التي حالت دون تطوره وتبلوره رؤية ومنهجا ومصطلحا وفكرا، أو استقلالا من بين صور النشاط الفكري، بعد ان وضع نصب عينيه وجهة النظر الغربية، قديما وحديثا، لا بقصد تجميع النصوص أو تصنيفها، بل لإثراء وجهة نظره ودعمها وردا عليها – كما قدّم في مقدمته – وقد أوفى بهدفه حين استخلص النقد من بين ملازمين له مشهورين هما: الدراسة الادبية، والتاريخ الأدبي؛ على الرغم من أن الثلاثة يصدرون عن مصدر واحد هو النص؛ وبالقدر الذي حقق استقلال النقد كشف عن ماهية الدرس الأدبي وماهية الدرس التاريخي، أيضا عن مفهوم

النص، الذي يستهدفه النقد في نظرة واحدة، دالا على صحة منهجه في التناول ومنطقيته، ومخلصا النقد أيضا من تبعيته للإبداع عموما.

ثم خطى خطوة ناجحة أخرى في ماهية هدف النقد، من زاوية اتكائه على الوصف او المعيار او كليهما معا، وتحديد الخط الفاصل بينهما، معدلا في تعريف دائرة المعارف للنقد في: متى تكون المعيارية في النقد، ومتى تكون الوصفية، أو بعبارة اخرى متى يكون معياريا او وصفيا؛ وهو بهذا مر على ادواته من تفسير وتحليل وتعليل وتلخيص ومقارنة وموازنة وحكم ....، وتاريخ كل من هذه الأدوات التي اختزل النقد بها برمته، فكان تحليلا أو كان تفسيرا أو كان حكما؛ وقد أوصله هذا الى أخطر المباحث الفلسفية، بل مدار البحث الفلسفي، وهو البحث في القيمة وماهيتها، أهي الفيصل في الجودة والرداءة أو الجمال والقبح أو المتعة والفائدة ...، ليخطو الى تحرك النقد من حيث الانطباع والتأثر أو الموضوعية والعلمية، وتحت هذا تحديد ماهية العقل والعاطفة، مارا على جهود التأثريين والانطباعيين، وما يتمخض عن تزويد النقد بمعاييره وقواعده وأسسه عبر العصور، ومارا، بكل يسر، على أدبية النقد أو علميته، منذ ان وضع ارسطو قوانينه للمسرحية الشعرية الى أُسس النقد الموضوعي، على أيدي هيبوليت تين وبرونتيير، في مقابل أُسس النقاد الرومانسيين، دون اكساب الصفة العلمية على أيديهم، حتى ميلاد المعرفة الحديثة بعلومها كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال، وتطور البحث الفلسفي، ومناقشة علميتها أو كونها ضروبا من المعرفة الأخرى، مفرقا بين القيم الجمالية، عموما والفكرية .

ويخطو الى أدوات النقد، مرة أخرى، وفحص مهماته، بعد تأييد ماهيته واستقلاله؛ ليؤسس لمفاهيم المقارنة والنسبية وتحقيق النص (من حيث نسبته الى قائله)، ثم يناقش بعض أجناس الأدب، كالسيرة مثلا؛ ليعود الى صلة النقد ومدى إفادته، مع استقلاله، من العلوم الأُخرى، التي تطورت بعد القرن التاسع عشر، كالسيكولوجيا وضروب الايدلوجيات المتاخمة، راجعا الى مهمة النقد الجوهرية، وهي استخلاص القيمة والقيمة النهائية[٦] .

هذه ورقة ناجحة في سبيل نظرية نقدية، أخذ من أخذ، على التراث العربي كله، تقصيره في بلورتها، ويؤخذ على الفكر العربي المعاصر تبعيته للنقد الغربي، وتقصيره في قراءة تراثه وقصوره في قراءة هذا التراث، وعدم رسوخ فهمه للنقد الغربي أيضا، من حيث الفوضى في اعتماد النظريات والمناهج والمصطلح والفوضى في ترجمة هذا المصطلح؛ فما بالك بأنجاز نظرية نقدية، أو حتى ادبية، على الرغم من كثافة الدرس الأدبي والنقدي العربي الحديث .

٤ – اما في مجال ترسيخ هوية الناقد الفعلية ؛ فالرجل كان موهوبا في أهم أدوات النقد، الا وهي التحليل، وقد اتصفت شخصيته النقدية بهذه الاداة المهمة منذ بداياته , حين ارتكز عمله عليها في الكشف عن ملابسات النصوص وعن خصائصها الفنية وما يعتمل فيها من علاقات، لا التفسير؛ لان التحليل لبناء النص ونسيجه يزيد المتلقي علما به دون أن يخرجه عنه، اما التفسير، في ضوء آراء النقاد وانطباعاتهم أو الظروف التي احاطت به

---

[٦] في النظرية النقدية محمود البستاني: مقدمة الكتاب وفصوله.

والعوامل التي اثرت في انتاجه لا تقرب النص من التلقي، بل تبعده [٧]؛ لذلك اتصف البستاني بالتحليل الدقيق الجريء بمستوياته كافة لفحص جدارة النصوص الجمالية أو الفنية، فلم تظفر القصة في القرآن بتحليل يبدي ما فيها من مستويات درامية، عدا التفسير، الذي هو كالمعول الذي لا يعرف للبناء مستويات، بل ينهال على النصوص، ليحيلها الى تراب أو الى معجمها الوضعي قبل دخولها الى الصياغة وما التفسير المجرد إلا إذابة الصياغة الجمالية وإرجاعها الى مسكوكات لتفقد قيمتها الذاتية والنوعية، ولم يقف التحليل عنده عند نمط واحد، أو جنس ادبي معين ذلك لأنه لم يكن يرى النص الا كيانا مستقلا لا يراه إلا من داخله، ووسيلته التحليل الذي سلطه وأرهفه بموهبته ومنطقيته وذوقه، وبراعته في استنباط دلالات النصوص، ولم يكن يدخل الى نص الا من بابه الجمالي؛ لأنه يؤمن ان لا يمكن لنص ان يتسم بسمة التأثير الاخلاقي أو العقائدي أو الاجتماعي اذا لم يكن مستقرا على قيمته الجمالية.

علما ان قدرته الفكرية في النقد أسست لقدراته الأُخرى في التنظير والتفكير المنهجي المنظم .

اما لغته واسلوبه: فقد برأت لغته من التشدق بالمصطلحاتّ ما فرضه التحليل في إشارة خاطفة إلى بعض التقنيات الفنية، وانتمى اسلوبه الى ما شاع من سهوله تناوىء لغة الصحافة واساليبها الركيكة أو أساليب المجاملة، منصبا على موضوعه مبتعدا عن التقديم، أو التمهيد الطويل والادعاء بعيدا عن الغموض او التعقيد والجمل الطويلة بريئا من المداورة والتكرار، ولا يدنو

---

[٧] النقد والنقد الادبي، الدكتور رشاد رشدي: ٩٠ .

من الاقتباس الا ما أراد توثيقا او تأييدا لفكرة او ليرد على رأي، وعادة ما يتدهدى الى موضوعه ببعض الاسئلة ويعقبها شيء من الحوار الذي يستدرجك الى هدف المقال أو البحث بيسر، وما يلبث ان يفتح أبوابا واسعة على الموضوع لا تنفك منها الا وجملة من الاهداف قد تحققت .

واذا عدت الى منهجه في التحليل، وانه لم يقف على جنس معين، اقول :- إنه لم يلتفت الى لغط المتعصبين على الاشكال الحديثة أو المناصرين لها، حين استوى الى مثل هذه الاشكال، كالشعر الحر أو النثر برؤية سليمة ومنهجية منطقية وتحليل يناسب هذه التيارات في الكتابة الادبية الحديثة دارسا مواطن القيمة الأدبية والفنية والجمالية التي اتصفت بها محللا نقاط الاصالة والتقليد او الضعف والقوة، واضعا مخططا نظريا[٨]، وغير التحليل لدراسة القصيدة الحديثة بأسلوب يباين كل المكتوب المعاصر، تعينه ثقافته بأسس النقد الجديد وما أفرزته مذاهب النقد الغربي الحديثة ما طلب النص الذي يدرسه ذلك، متمثلا كل ما يؤدي الى الكشف عن خصائص النصوص، في اسلوب للتأليف يفارق ما مكتوب في العراق أو غيره، من نقد أكاديمي أو صحافي، بعيدا عن اخضاع النص الى منهج أو نظرية، بل ما يطلبه النص من أدوات نقدية، أو رؤى؛ وهذا ما سنتحدث فيه بعد هذه السطور في اثناء الحديث عن مراجعه ومصادره ؛ فقد قرأ البستاني كثيرا في النقد الغربي، ولكن يصعب التحقق من انتمائه الى منهج،

---

[٨] انظر: مجلة الكلمة العدد الاول السنة الرابعة، سنة ٧٥ بحثا له عنوانه تخطيط لنقد القصيدة : ١٩ .

أو مذهب أو فلسفة بعينها، كما اطلع على التراث العربي البلاغي والدرس القديم للنصوص بعامة فوقف في نقطة لا ينغمر فيها.

٥ – وفي صعيد إفادته من المناهج العالمية، فالرجل اطلع على هذه المناهج، واطلع على تطبيقات النقاد لها، وشهد مدى نجاحهم أو إخفاقهم، ومن ناحيته لم يكن داعية الى شيء منها، بل ثقف موهبته في استيعابه لكل هذا، ولا يتصف الا بصفة الاستقلال المحض عن الانتماء الى مذهب او منهج او نظرية محددة، بل يدرس النص بما ينتقي له من ادواتها ومصطلحاتها ما احتاج النص ذلك .

ولاشك في انه استوعب أسس المنهج البنيوي وفلسفة التفكيك على الرغم من تناقضهما بعضهما مع بعض في جانب واتفاقهما الظاهري على الغاء المرجع واطلاقه من الفرد الى الجميع، وعدم تفسير النص بمدلول نهائي لا يتغير واغلاقه؛ وهذا ما درس به بعض النصوص، ولكنه كان ينحو نحو النقد الأمريكي الجديد في نقل المؤلف من خارج النص الى داخله؛ لأنه الاهمية التي يعزوها النقاد الجدد للمعنى والرؤية تقتضي المؤلف المستمر [٩]؛ وهذا يدل على الجمع المتوازن لرؤى مذاهب شتى.

فالنقد الجديد يرى ان معرفة المضمون بأنه ليس ما يقال فحسب، بل الاسلوب التي تقال به الاشياء [١٠]، وهذا ما يؤمن به .

---

[٩] النظرية الادبية الحديثة، تقديم مقارن، آن جفرسون وديفيد روبي، ترجمة سمير مسعود: ٤٨ .

[١٠] م . ن : ١٩ .

وكذلك الشكلانيون حين يعلق جاكوبسن على موقفهم بقوله " جوهريا نحن نتعامل مع الحقائق اللفظية وليس مع الفكر" [١١] وهذا ما يصهره البستاني مع الرؤية السابقة للنقد الجديد في تحليل متوازن .

ويجمع بين رؤى مذهبين متناقضين نسبيا هما الماركسية، والنقد الجديد فالماركسية تجعل الادب من عناصر البنية الفوقية للمجتمع "[١٢]، وينتج ويعيد انتاج الايدلوجيا ويحول مسارها ويعيد تقويمها"[١٣]، وهي ايضا تقسم العمل الادبي الى شكل ومضمون أو إلى قيم فكرية وقم جمالية (بحسب عنوان بحثه المنشور في مجلة الكلمة)[١٤] على حين يركز النقاد الجدد على (السمات الخاصة بالأدب) بعيدا عن الأُمور الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والايدلوجية، بل يجب فصل النقد عن دراسة المهاد الاجتماعي والسياسي والأيدلوجي، والاهتمام بالموضوع الادبي نفسه، ولا ترى فصلا بين الشكل والمضمون، بل تدعو الى نظرية عضوية للشعر، فاستطاع في دعوته الى اسلمة الادب والفن ان يجمع بين النظريتين والإفادة منهما، وهذا بحسب ثقافته، لا على انه من قبيل انتمائه، أو على انهما من مراجعه، بل مع سبيل توسيع الرؤية فقط.

---

(١١) م . ن : ٥٤ .

(١٢) حول تطور الفلسفة: جدانوف : ٤٣ .

(١٣) النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات الى الثمانينات، فنسنت ال. ليتش، ترجمة محمد يحيى: ٢٧ .

(١٤) بحثه المنشور في مجلة الكلمة، عنوانه: النقد بين القيم الجمالية والفكرية: العدد الثالث، ١٩٧١: ٥٣ .

وفي فهمه لموقف الشكلانيين في اقصاء المؤلف والواقع والفكر عن مواقعهم المركزية داخل الادب، جزءا من عملية تطهير الأدب قبل نشوء البنيوية، نجد البستاني ينظر الى جزء مما يراه جاكوبسن في (المرسل) كمولد للوظيفة التعبيرية أو الانفعالية[١٥].

لا كشخص يضطرب مثلنا في نواحي الحياة، أو كما يراه السياقيون، من تاريخيين ونفسيين، بل في خصوص كونه (باثا) أي في نقطة الارسال النازعة الى التعبير عن عاطفته وموقفه ازاء الموضوع الذي يعبر عنه، بل في نقطة أخص من ذلك ايضا كطريقة نطقه أو في لوازم لغوية تعبر عن الانفعال كالتعجب أو التأوه، مما يعد أمورا (ميتالسانية)[١٦] نجد البستاني يلاحظ هذه الدقة ويميزها من مواقف السياقيين .

ليدل هذا كله على استيعابه لرؤى المناهج العالمية ومرونته في الافادة منها، على اختلافاتها بعضها عن بعض، بصهر هذه الرؤى والانطلاق من رؤية خاصة به تحسب له من حيث الانتقاء منها، ونفي مالا يناسب النصوص التي يدرسها، مقارنة بكثير من النقاد اذا جمدوا على منهج معين لا يفارقونه وكأنهم وسائل دعائية لمدرسة نقدية، أو منهج نقدي محدد؛، للحد الذي يقسرون النصوص على الخضوع للمنهج الذي يدعون اليه من جهة؛ ومن جهة أُخرى لم غمضت النصوص على المتلقي؟، ولم فشلت نظريات نقدية على أيدي بعض النقاد في حين تجدها ناجحة في مواطنها ؟ إلّا لجهل هؤلاء النقاد بكثير من الوسائل التي قدمتها المذاهب النقدية، أو لقصر باع

---

[١٥] الاسلوبية والاسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي: ١٥٨ .

[١٦] م . ن: ١٥٨ .

هؤلاء في التحليل، أو سوء استيعاب المنهج النقدي بحيث لا يلائم النصوص التـي يدرسـونها، فلكل نـص مـدخل لدراسته ولـيس لـه نظريـة أو مـذهب لهـذه الدراسة، على الناقد التنبه لمدخله واختيار ما يناسبه من الأدوات.

ومن ملامح منهجه الدقيقة التـي لا أنسـى أن أخص بها المختصين جدا بالنقد ان البستاني كان يعتمد النص مدخلا ومنطلقا للتحليل كثيرا وان اعتمد القراءة منطلقا للتحليل في بعض الأحيان في بعض مواقفه المدرسية فقط، لكنه لم يعتمد المؤلف مدخلا حتى في دراسته النصية للقرآن وكأنـه بهذا يريد ان يتجنب التفسير التقليدي الذي كان يتكأ علـى التقديس أساسا، وهذا انطـلاق من مبدئـه الأكـاديمي الذي يقصد بـه المتلقي العام للقرآن ذلك بـأن القرآن نصٌّ موجه الى الناس كافة قبل الايمان به وبعده قديما في اثناء نزولـه وحديثا أي ليكون درسه درسا عاما محايدا لا درسا خاصا للمؤمنين بـه، لأن هؤلاء مسلمون فوق كونهم مسلّمين، وكذلك اشارة منـه إلـى أن القرآن خطابا (فـي جوهر نزولـه) يخص النفس الانسانية مع كل اعتقاداتها ولابد من ان يكـون المدخل والمنطلق فـي دراسته هـو الخطـاب لا المؤلـف، وهذا مـا دار حوله ونفذ اليه، بل ومرن عليه طويلا في دراسته لنصوص غير قرآنية.

إن الدراسة التي قدمها للقرآن في كتابه الذي عنوانه المنهج البنائي في التفسير لا تقوم على المنهج البنيوي الغربي كما يظن للوهلة الأولـى بل تقوم على انتماء منجزه الفكري كلـه للنقد الحديث الذي يهتم بالمعنى الكلي للعمل الأدبي (فمعنى العمل الفني لا يستقيم في جزء من أجزائـه دون الجزء الآخر، بل في مجموع هذه الاجزاء وفي صلتها بعضـها ببعض؛ لأن هذه الاجزاء لم تركب تركيبا آليا، بل هي كالأجزاء في الجسم الحي تتعاون جميعا في تكوين

شخصيته ... وكما ان الكائن الحيّ لا يمكن ان يعني شيئا خلاف نفسه كذلك العمل الفني لا يعني ...، بل يكون[١٧] .

فيترتب على هذا عدم الفصل بين الشكل والموضوع هذا الفصل المخطوء الذي رفضته اغلب النظريات النقدية الحديثة؛ لأن معنى العمل الأدبي يقوم في كيان العمل الأدبي نفسه ولامعنى له خارج نفسه، ولذلك لا يمكن تلخيص القصيدة أو القصة، أو المسرحية كما يمكن تلخيص الخبر[١٨]، اذن لم ينطلق من مقولات البنيوية في بناء منهجه هذا فقط، وهذا لا يعني انه لم يتنبه الى ما تنبهت اليه بعض الاتجاهات النفسية في دراسة الادراك الذهني حين كان مدخله في تفسيره البنائي من مدخل التلقي وتحليل الاستجابة للنص القرآني وليس من مدخل المؤلف الذي اعرضت عنه البنيوية، بل جمع مع هذا ما أفاده من نظريات التلقي في فحص النص القرآني الذي كان يستهدف التوصيل، وهذا شأن أي فحص مهما كان جنسه فما بالك بالقرآن وهو يتقرى كل سبل الاستجابة عند البشر وما يواكبها من عمليات نفسية تفضي الى تحقيق الإثارة المطلوبة – بحسب تعبيره –[١٩] ولذلك كانت حصيلة ادراكه للمناهج النفسية في دراسة الادراك؛ لأن الذهن البشري يدرك الظواهر من خلال الكل يستوي في ذلك ان قيم الادراك للكل من خلال جزيئاته اولا ثم الانتقال اليه أو من خلاله أولا ثم الانتقال الى جزيئاته وفي الحالين ثمة ادراك لا ينفصل كله عن جزئه ولا جزؤه عن كله،

---

(١٧) ينظر النقد والنقد الادبي، الدكتور رشاد رشدي : ٦٧ .

(١٨) م . ن : ٥٣ .

(١٩) المنهج البنائي في التفسير، محمود البستاني : ٣٠ .

ومن ناحية اخرى في تقري مرجعياته انه يتعامل مع النص القرآني – فوق ما سبق– الى إثبات أدبية القرآن؛ لأنه لا يهتم بكثير من التفاصيل، لأنه هدى، اي تأثير ،من خلال بث مؤثر بنقل احساس معين كامل نحو شيء معين، والفرق الجوهري بينه وبين اجناس الأدب البشرية انه حق وأدب معا، وهذا هو جديد الله للبشر حين يترك النص القرآني بوحداته البنائية الكاملة حين يستجيب له من خلال الكل اثرا أو انطباعا أو تأملا أو ما يسميه (معرفة اجمالية) حتى لو كانت غائمة او مضببه بحيث تعكس اثرها عليه بنحو او بآخر بحسب درجة وعيه بالقراءة .

وهذا كله يجعله مختلفا من كل الذين سلكوا مبدأ التفسير العضوي ومنهم: الشيخ أمين الخولي والشيخ محمد عبدالله دراز، ذلك بأن الشيخ الخولي كان يريد ان يجدد المناهج في التفسير والبلاغة والنحو واللغة في إدراك احتمالات روح النص وفهم ما حوله ودراسة السياق الموضوعي وطبقت منهجه الدكتورة بنت الشاطي في تفسيرها البياني وأفاد الشيخ دراز من علم التناسب شيئا كثيرا حين بحث عن الوحدة العضوية للسورة كلها فالصورة لابد لها من عناصر وأجزاء تستكمل بها ملامحها بغض النظر عن الوحدة العضوية، ولكن البستاني كان يركز منهجه على هندسة العمارة التركيبية للسورة بما فيها من معمار وليس الوحدة العضوية التي هي مما يترتب او من حصيلة دراسة الهندسة المعمارية للتركيب القرآني، ولم يكن البستاني غافلا عما قدمه المفسرون المحدثون الذين درسوا الوحدة الموضوعية او العضوية للنص القرآني القائم كله على حصيلة علم المناسبة الذي قدّم فيه السيوطي كتابه (تناسق الدرر) وأفاض فيه البقاعي، هذا العلم

الذي قام أيضا على ما اقره القرآن نفسه وصدقه المفسرون القدامى بأن القرآن كله قائم على الوصل من الفاتحة وختاما بسورة الناس إلاّ الحروف المقطعة التي لاتشترك في هذا الوصل، بل هي على القطع، ولكن لكل مفسر اسلوبه ووجهته في دراسة هذا الترابط العضوي، أو الموضوعي، أو هذا التماسك الذي هو عنوان عام ينتهي كل دارس، أو باحث الى تسميته بعد خوضه في سور القرآن وآياته، ولكن منهم من يكون هديه ترابط الآيات في السورة الواحدة وينطلق منه كما فعل الشيخ محمد دراز، او متابعة موضوع او موقف او قصة معينة في القرآن والبحث عن ترابط تفاصيله في القرآن كما فعل الشيخ أمين الخولي، اما البستاني فقد زاد قليلا على بحث المعاصرين وقبلهم القدامى في الانطلاق من مبدأ الترابط العضوي والموضوعي الى البحث في تفاصيل هذا الترابط عن التخطيط الهندسي الذي يجعل من الصورة بناء متناسقا وضعت ملامحه وتفاصيل بنائه من انواع خطابه من نثر قصصي فيه الحوار والصراع والأحداث.. وخطاب شعري تأثيري وتوجيه تشريعي وتحليل سلوكي فردي أو جمعي واخبار تاريخي وتحذير وإنذار وتبشير ومن أعلام بما سيكون ورسم لعوالم غيبية لا صلة لها بالدنيا .. الى ما هنالك من أنواع وأجناس كلامية انسربت في جنس واحد، ومن مستويات تركيبه النحوية التي تلونت بأنواع الخطاب الآنفة، ومن تفاصيل ادائه الشكلي من تضاد وتجانس وتكرار .. ومن ألوان بيانية حضر فيها التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية والرمز والتلميح .. بصورة استند بعضها الى بعض لا يمكن ان يقوم عنصر من عناصرها المذكورة مكان عنصر يمور بعضها في بعض بحيث يدفع الى التقرير ان القرآن نظام خاص مقصود لا يشاكله نظام اخر وضع

كأعلى صياغة لا يرقى اي ذهن الى مضارعته أو الاضافة عليه، او تبديله، أو الاقتراح لصورة صياغية اخرى عليه الا وكانت هذه الصورة هي العليا، فاذا كان القدامى قد آمنوا، درسا، بأن نسيج القرآن قائم على الوصل ولكن بلا تفصيل وإذا كان علم المناسبة قام على هذا الايمان واصطلح عليه بالمناسبة أو التناسب بحيث تؤدي كل آية ترابطها مع الآية الاخرى لتكوين سورة وتؤدي كل سورة ترابطها الى السورة الاخرى وهكذا الى نهاية النص، واذا كان المحدثون نظروا الى المبدأ الترابطي التناسبي التواصلي نفسه كل بحسب نظرته الى زاوية هذا التناسب، أو الترابط فأن البستاني يدور في المذهب نفسه ولكن من زاوية التخطيط الهندسي المعماري الذي نظر فيه البناء الى كل شيء فيه مهما صغر، ولكل شيء فيه دور ولون وخط لبناء ملامح السورة القرآنية في السورة .

وفي نهاية هذه الأوراق اقول: إنّها مقدمة لكثير من تفاصيل منجزه الذي يجب أن يهتم أيضا بدراسة اسلوبه في التحليل واسلوبه في اخراج بحوثه ودراساته ومقدمات منهجه سواء في النقد أو التفسير أو التنظير ورؤيته الدقيقة لما يكون عليه التحليل أو التخطيط لدراسة النص وكيفية دراسته مهما كان جنسه وما يكون عليه التفسير في ظل تنوع المناهج التفسيرية ودراسة مفاهيمه في الادب والبلاغة والخيال والعاطفة والمضمون والشكل .. هذا كله لا تقوم به هذه الوقفة السريعة، وربما اوصي نفسي اولا بدراسة ما تقدم في كتاب مستقل .

وختاما لابد من القول في البستاني:

إنـه أراد أن يغرس المفاهيم الصحيحة سواء الجديدة أم القديمة التي أغفل كثيرون عنها في دراسة الأدب والفن عموما بعيدا عن التقليد بكل صوره، حتى كان ظاهرة فكرية أكبر من ان نضعها في حيز الأدب أو النقد أو التفسير تحسب للنقد والفكر والتفسير وغيرها في العراق، وتعتبر لهذا البلد في توجيه الدرس النقدي الاكاديمي وجهته الصحية بمحاضراته التي القاها على طلبة كلية الفقه بكل ما تعنيه الاكاديمية الحقيقية الحديثة حين اقترن بهدف الشيخ المظفر (رحمه الله) ذلك الهدف الذي تمثل بإرادة تطور الدرس الفقهي والعقائدي والتفسيري؛ ليضعه على أسس متنورة حديثة بدراسة اللغة والأدب دراسة اكاديمية؛ لأنه عماد التفسير والأَصول والفقه وعلوم الدين الأُخرى بتأسيسه منتدى النشر ؛ ولذلك آمن البستاني بدوره في دراسة الادب واللغة الفنية في بيئته لا ينقصها العلم ولا الفكر ولا الادب الى جانب الدرس الديني، ولكن الدرس فيها يخضع لدراما اجتماعية مركبة ادركها البستاني فقدم فهما مختلفا للأدب والتفسير وأراد أن يرقى بالنقد تنظيراً وتطبيقا الى مصاف كبار النقاد في العالم لا إلى مساجلات او فقاعات احتفالية او ادعاءات فارغة .

المصادر:

١ – الأسلوبية والأسلوب، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢.

٢ – اشكالية المنهج في النقد العربي المعاصر، الدكتور سمير حجازي، القاهرة، ٢٠٠٤.

٣ – تجديد الفكر العربي، الدكتور زكي نجيب، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٣.

٤ – دليل الناقد الأدبي، الدكتور ميجان الزويلي والدكتور سعد البازعي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

٥ – شعرنا الحديث إلى اين، الدكتور غالي شكري، بيروت، ١٩٧٨.

٦ – الشعر والمناهج النقدية الحديثة، اعداد علي الطائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨.

٧ – فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، الدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦.

٨ – في النقد الأدبي الحديث، دراسة مناهجه وقضاياه، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، السعودية، ١٩٩٩.

٩ – في النقد الإسلامي المعاصر، الدكتور عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٢.

١٠ –في النظرية النقدية، الدكتور محمود البستاني، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧١.

١١ –النظرية الأدبية الحديثة، تقديم مقارن، آن جفرسون وديفيد روبي، ترجمة سمير مسعود.

١٢ –النقد والنقد الأدبي، الدكتور رشار رشدي، دار العودة، بيروت.

١٣ –نقد الشعر العربي الحديث في العراق من ١٩٢٠–١٩٥٨، عباس توفيق.

١٤ –النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينات إلى الثمانينات، فنسنت ال ليتش، ترجمة محمد يحيى.

١٥ –نقد الشعر في العراق بين التأثرية والمنهجية، الدكتور عناد غزوان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨.

١٦ –محمد مندور، الناقد والمنهج، الدكتور غالي شكري، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١.

١٧ –مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، الدكتور نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦.

١٨ –المنهج البنائي في التفسير، الدكتور محمود البستاني، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.

المجلات:

١ – مجلة الكلمة، مديرها حميد المطبعي، رئيس التحرير موسى كريدي، بغداد، العراق، الاعداد، ٣، ٦: ١٩٧١، عدد ٣: ١٩٧٤، عدد ١: ١٩٠٧٥.

مواقف المفسرين

مـــــن

تضايف المترادفين بين البصريين والكوفيين

الأستاذة الدكتورة
لطيفة عبدالرسول عبدالضايف
جامعة المستنصرية – كلية الآداب

الأستاذ الدكتور
عدنان أمين محمد علي
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الملخص:

لم يكن الخلاف النحوي حكرا على النحاة في كتبهم، وعلى أسطار تصانيفهم حصرا بل استطال الخلاف حتى ولج كتب تفاسير القرآن الكريم ولاسيما هناك بين المفسرين من اشتهر بالنحوي إلى جانب كونهِ مفسراً أو محدثاً أو قارئاً! وهذا يعني اصطباغ جوانب من التفاسير بصبغة نحوية من جهة ،واحتوائها مادة نحوية خصبة من جهة أخرى ..

حتى أخذت هذه الماده تكوّن توجهاً أو مذهبا نحوياً في هذا التفسير أو ذاك أو يميط اللثام عن مذهب المفسر في النحو بصرياً كان أم كوفياً! وهو ما يظهر بوضوح تام في التفاسير، بين أصحابها من يخفض جناح الولاء لنحاة البصرة حتى نعت بعض المفسرين البصريين بـ(أصحابنا)؛ وبالمقابل بينهم على الشاكلة نفسها من المفسرين من انتهج منحًى كوفياً، ونعتوا الكوفيين بـ(أصحابنا)_كما سياتي_ حتى يمكن تصنيف تفاسير في دائرة البصريين وتفاسير في دائرة الكوفيين ؛ ومعلوم أن لكل مذهب نحوي

طابعه وخصائصه وأصوله وأعلامه ومسائله ومصطلحاته...وقد جاءت هذه الصفحات لتسليط الضوء على عدد من التفاسير في مسألة (تضايف المترادفين)_ إضافة الشيء الى نفسه_ إذ وجدنا المواقف شتى فموقف يأخذ بالسماع؛ وموقف يأخذ بالتأويل مما يلمع إلى تاثير المذهبين البصري والكوفي معاً في هذه التفاسير سواءً في الأخذ بالمسألة أم الترويج لها او بالرِّد عليها في ضوء مذاهب نحاة الفريقين أي من التأثر برأي أحد الفريقين .

وقد وقفنا عند المسألة في مباحث فرضتها بداهة التناول وطبيعة السير بين تلافيف المسألة، ثم ختمنا هذه المباحث بنتائج انبثقت عنها لتضفي على البحث جِدةً في بيان موقف من المفسرين مسألة تضايف المترادفين من دون إغفال مقالة النحاة في تصانيفهم؛ وذلك لتثمر هذه اللحمة الفكرية عن إضافة قد يلمسها المتلقي ببصيرته الواعية في أرضية أسلاف مازلنا نستقي من غرسهم ونستطعم من إرثهم، وزرعهم في صدقةٍ جاريةٍ عبر انتفاعنا منهم عبر هذا الموروث الزاخر والله وليّ التوفيق.

تمهيد

الخلاف الفكري أمرٌ مشروع على المستوى الانساني، وهو ما يستقطب كلّ الملل والنحل بحوارات جادةٍ؛ لتقريب فكرة الانصهار في تآخي النظراء تحت خيمة الحوار الجاد والبنّاء؛ ولكن بعيداً عن السفسطة والجدل العقيم والحوار الفارغ! ثم تلويح للقواسم المشتركة عبر طروحات الفكر في حوارات الأمم والشعوب من دون إغفال الرحمة المثمرة في الخلاف على محك الجدل

الجاد والاجماع الانساني في نتاجات العقل وما يجمع بين أصناف البشر من هاجسٍ فكري واعٍ يظل مخضوضراً وطرياً عبر الحضارات لتزيد ما في العمق المعرفي ؛ غير أن الكمال والاكتمال محال على طريقة الوضع، بل جدّ محال، لاستيلاء النقص على جملة البشر. وعبر هذه المنقصة تتجلّى استمرارية اللذة الفكرية وديمومتها على مدى التاريخ .

وفي حقل الفكر اللغوي– مثلاً– نلمس جدلاً دائراً عن وجود الترادف في اللغة العربية أو عدمهِ ! وفي الفكر النحوي دار من في إمكان تضايف المترادفين! وكأني بالخلاف الأول مهّد للثاني –ربما– حتى خفض الكوفيون جناح القبول لهذا التضايف وحجتهم السماع، فأقروا واستسلموا بلا تأويل، وبلا تعليل! فيما عدّ البصريون المسألة أشبه بالمغالطة التي تخرج النحو عن أصوله وقواعده حتى تحاشوا قبول ما جاء من ذلك عن طريق السماع فعللوا له وتأولوا، وأخضعوا كلّ ما جاء في ذلك لقاعدة التأويل والتعليل الموضوعة –سلفاً– ليستوي المسموع ومنطقهم الوضعي أو على رأي المستشرق (فايل): (يبدو أن البصريين كانوا يرجعون القرآن إلى قواعد النحو)[١]، وهو أشبه بمن (استعار لنفسه موقف المتكلم، الذي يحدده الاستعمال لا المنهج، وجعل دراسته على حدّ تعبير (دي سوسور) مؤسسة على المنطق) خالية من كلّ وجهة نظر علمية، وهي لا تُعنى باللغة نفسها، بل ترى فقط أن تسنّ القواعد التي تفرِّق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة، وهذا منهج معياري، بعيد عن الملاحظة، يفرض وجهة نظره فرضاً)[٢] في الوقت الذي خضع

---

[١] الإنصاف (مقدمة المستشرق فايل) : ١٠.

[٢] اللغة بين المعيارية والوصفية : ٤٣–٤٤.

الكوفيون لكلّ ذلك المسموع الذي منحهم القاعدة في تضايف المترادفين غير أن البصريين أخضعوا المسموع لقاعدتهم سواءً ما جاء في المسألة من قراءات قرآنية أو أشعار أو نصوص نثرية. مما يعني خضوع الكوفي لطبيعة اللغة ومنطق الشاهد المسموع.

أما البصري فأخذ بالشاهد نفسه على سبيل التأويل والتغيير والتعليل في سعي لمنطقة السماع وتأويله! وكأننا بالبصري المتأول يتحسس وجود ثغرات أو نقب في جدار المسموع فيذهب الظن به إلى سدّه وإغلاقه ليستوي النص بسدّ هذه المنقصة أو التصدع! وبالمقابل يرى الكوفي الكلام سليماً لا يحتاج إلى هذا الرتق أو الترقيع! ولكلّ فريق حجة واستدلال في هذا العلم المستطيل[٣] .

وقد استمرت مسألة تضايف المترادفين ولم يجف ريقها اللغوي في كتب الدارسين، بل ولجت طريةً في كتب تفاسير القرآن الكريم حتى أخذنا نلمس– في تتبعنا– المعارض للمسألة بشدة عبر مصطلحات الردّ وعدم القبول، إلى جانب المؤيد لتضايف المترادفين من دون أن يكون كلّ البصريين على مذهب المعارضة حتى ممن نعت البصريين بـ(اصحابنا) من المفسرين[٤]

---

[٣] قال ابو بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ) كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال: (يا أبا بكر اشتغل أهل القرآن بالقرآن، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمروٍ فليت شعري، ماذا يكون حالي في الآخرة؟ فانصرفت من عنده تلك الليلة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي:(أقرئ أبا العباس مني السلام، وقل له: أنت صاحب العلم المستطيل) نزهة الألباء : ١٥٩–١٦٠.

[٤] ينظر: تفسير البيضاوي:٦/١ .

مما يعني استحواذ الفكر النحوي للكوفيين على مسائل تم الترويج لها عند من له صحبة مع البصريين.

وقد وجدنا أن ندرسَ الموضوع في كتب تفاسير القرآن الكريم أمراً يستحق الوقفة والتأمل، ثم الدراسة عبر مواقف المفسرين إتجاه المسألة ومصطلحاتهم. أما الرجحان لهذا الفريق أو ذاك من دون تكويف[٥] المتلقي حول هذا البصري أو ذلك الكوفي فهو متروك لمن يسعى إلى حب العراقين والبصرتين[٦] معاً فهما تضايفا على علم مستطيل وترادفا على العطاء، ومازلنا ننهل منهما بلا رواء ولا ارتواء في ظمأ أبدي..رحم الله تعالى العلماء العاملين المخلصين.

الإضافة:

من الحدود النحوية التي ذكرها الدارسون عن حدّ الإضافة هي (لغة الاسناد والالصاق)[٧] أو ضمّ (اسم إلى اسم، ويُسمّى الأول المضاف والثاني المضاف إليه، ويصيران كالاسم الواحد)[٨]، وهناك الإضافة المحضة (يتعرف بها المضاف إن كان المضاف إليه معرفة ويتخصص إن كان

---

[٥] قال سعد بن أبي وقاص (رض) لجيشه : تكوفوا هنا أي اجتمعوا ينظر: معجم ما استعجم: ١١٤٢.

[٦] المصران، البصرتان، العراقان: أي البصرة والكوفة ينظر الصحاح:٥٩٢/٢، وتفسير الرازي ٢٧/ ٦٣٢، ومعجم البلدان: ٧/ ٢٩٥، وجنى الجنتين: ٧٨، والمزهر: ٢/ ١٧٤.

[٧] شرح الحدود النحوية: ١٣٤

[٨] شرح ملحة الاعراب: ٧٠.

نكرة)[٩] وغير المحضة (التي لاتفيد تخصيصاً ولاتعريفاً)[١٠] (ولا يجوز الجمع بين الألف واللام والإضافة، إلا في اسم الفاعل، والمفعول بمعنى الحال أو الاستقبال والصفة المشبهة) [١١] فأما (ماحكاه أبو زيد)[١٢] من قول بعضهم: (الثلاثة الأثواب). فضعيف جداً، أو الألف واللام فيه زائدة)[١٣] ومن الأسماء (مايلزم الاضافة ومنها مالايلزم الإضافة)[١٤] وللإضافة وظيفة وفائدة في عملية الإسناد والإلصاق والضم، نحو (التعريف والتخصيص، والتخفيف، أو رفع القبح ، وتصح بأدنى ملابسة. والأصح أن الأول هو المضاف، والثاني المضاف إليه، وأن العامل في الثاني الجرّ،...) [١٥] وهذا العامل إما (في) أو (من) أو (اللام) [١٦] ففي (غلامُ زيدٍ) جاز الاتيان باللام وتنوين الاسم الأوّل، بقولك(غلامٌ لزيدٍ) وفي (ثوب خزّ) بقولك (ثوبٌ من خزّ) وفي (ماء النهر) بقولك: (ماء في نهرٍ)[١٧] ومما له صلة بالإضافة هو جواز إضافة الاسم إلى الظاهر والمضمر[١٨] إلا (ذو، ذات

---

[٩] المقرب:٢٠٩/١.

[١٠] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٩.

[١١] المصدر نفسه: ٢٠٩/١.

[١٢] أبو زيد الانصاري صاحب كتاب (النوادر في اللغة)

[١٣] المصدر نفسه: ١/ ٢٠٩- ١١٠

[١٤] المصدر نفسه:٢١٠/١.

[١٥] شرح الحدود النحوية: ٣٥.

[١٦] ينظر النحو الوافي: ٣/ ١٥،١٦.

[١٧] ينظر المقرب: ١/ ٢١٠.

[١٨] المصدر نفسه: ٢١٠/١-٢١١.

وتثنيتهما، وجمعهما، فإنه لا يضاف شيءٌ من ذلك إلا إلى الظاهر، ولا يضاف إلى المضمر إلا في ضرورة)[١٩] أما (كلا ، وكلتا) فهما للتوكيد إن أضيفا إلى الضمير (كلاهما، كلتاهما) ، ويضافان إلى مثنى معرفة مع الظاهر (كلا الرجلين، وكلتا المرأتين)[٢٠] وفي كتب النحاة مسائل عن الإضافة أسهبوا في ذكرها، وقد اكتفينا بهذا القدر لأنّا نبغي الحديث عن إضافة من نوع آخر، وذلك في (إضافة الشيء إلى نفسه) عند المفسرين، ومدى استساغة أهل التفسير لهذا النمط الذي أشعل الخلاف بين البصريين والكوفيين ليتقد في سطور المفسرين بين مؤيدّ ومعارضٍ ...

تضايف المترادفين:

على الرغم من الحدود الموضوعة في بيان الإضافة – بعد استقراء كلام العرب– وقد عرضنا لشيء من ذلك؛ إلا أن خلافاً جلياً انبثق بين النحاة في مسألة من مسائل الإضافة حتى أبرزها أصحاب كتب الخلاف النحوي !إذ اصطدموا في هذا المنحى بأمثلةٍ تُعدُّ من باب الإضافة باتفاق الفريقين البصري والكوفي، غير أنهم اختلفوا في صورة هذه الإضافة وجوازها فأُجيزت الصورة كما هي عند الكوفيين وتمّ تأويلها عند البصريين، وهي مسألة إضافة الشيء إلى نفسه أو تضايف المترادفين! وذلك عِبْرَ تفاسير القرآن الكريم، وموقف المفسرين من المسألة، وبيان ميولهم إلى البصريين أو الكوفيين قائلين:

---

[١٩] المصدر نفسه:١/ ٢١١، والموجز في النحو: ٦٠.

[٢٠] ينظر المقرب: ١/ ٢١١، وسبك المنظوم وفك المختوم: ٦٥.

إذا كانت الإضافة تصحّ ملابسة [٢١] فهل يتضايف المترادفان[٢٢]؟ وهل تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني يمكن أن يكون في ضمن هذا اللبس بحجة الدنو، فيَصحّ الإضافة في اختلاف اللفظين بالرغم من ترادفهما في المعنى[٢٣]؟ أو لابد من تقدير محذوفٍ لتستقيم المسألة؟ وحتى تتجلّى المسألة بوضوحٍ، نحاول دراسة هذه المسألة في ظلّ نحاة المدرستين البصرية والكوفية، إذ (ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، وذهب البصريون إلى أنه لايجوز)[٢٤]. وقد جاءت مباحث المسألة_ في دراستنا على النحو الآتي:

الكوفيون

يُعدُّ أبو زكريا الفراء(ت ٢٠٧هـ) خير من يمثل نحاة الكوفة في مسألة تضايف المترادفين في كتابه (معاني القرآن)، فحين تعرضه لتفسير آيات من القرآن الكريم ، كان يّبرز في عدد من الآيات مسألة إضافة الشيء إلى نفسه، ويوضح المسألة من خلال الشواهد القرآنية التي يصادفها في تلك المواضع، فيلّمع لذلك، وأحياناً يكرر إيضاح المسألة ، وقد استقرأنا هذه المواضع جميعاً في تفسير الفراء (معاني القرآن) ، فيما يأتي:

---

[٢١] شرح الحدود النحوية : ١٥٣.

[٢٢] الترادف: (تعادي الامثلة وتلاقي المعاني) الخصائص:١١٨/٢، أو (أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد) علم الدلالة : ١٤٥.

[٢٣] ينظر: معاني القرآن (الفراء) ١/ ٣٣٠-٣٣١، ٢/ ٥٥-٥٦، ١٥٩، ٣، ٧٦، ٢٨٦.

[٢٤] الانصاف ٤٣٦/٢(المسألة /٦١)، ومسائل خلافية: ١١١، والكافية: ١٨، والموفي في النحو الكوفي: ٥١.

ـ فــي قولــه تعــالى " وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ " الانعــام/ ٣٢، ذكــر الفــراء: (جعلت الدار هاهنا اسماً وجعلت الآخرةُ صفتها، وأضيفت في غير موضع، ومثله مما يضاف إلى مثله في المعنى قوله: "إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ " الواقعة/ ٩٥، والحق هو اليقين، كما أن الدار هي الآخرة وكذلك أتيتك بارحة الأولى والبارحة الأولى. ومنه يوم الخميس، وليلة الخميس. فإذا اتفقا لم تقل العـربُ هـذا حـقّ الحـقّ، ولايقـين اليقـين؛ لأنّهـم يتوهمـون إذا اختلـف فـي اللفظ أنهما مختلفان في المعنى. ومثله في قراءة عبد الله [٢٥] (وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) وفي قراءتنا (دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ)[٢٦] كما هو رسـم الآية في المصحف (دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ) البينة/٥ ..)[٢٧]

وجميع الأيام تضاف إلى نفسها لاختلاف لفظها: وكذلك شهر ربيع. والعرب تقول في كلامها، أنشدني بعضهم :

---

[٢٥] أي: قرأ عبد الله بن مسعود (الدين القيمة) (دينُ القيمةُ)، واختار الفراء (دين القيمة) بإضافة (دين) إلى (القيمة) على قراءة الجمهور . ينظر: معاني القرآن (الفراء): ١/٣٣٠-٣٣١، وللزيادة : إعراب النحاس: ٣/٧٥٠، والكشاف: ٣/ ٣٥٢، وتفسير الطبري ٣٠/ ١٧٠، وروح المعاني : ٣٠/ ٣٦٢، ومختصر ابن خالويه : ١٣٨، والدر المصون ٦/ ٢٥٥.

[٢٦] معاني القرآن (الفراء) :١/ ٣٣١، مما يؤكد أن الفراء جعل القراءة القرانية أصلا في أصول النحو في مذهب الكوفيين.

[٢٧] المصدر نفسه:١/ ٣٣٠-٣،٣٣١/٤١.

أتمدح فقعساً وتذمُّ عبساً ألا لله أمك من هجينِ

ولو أقوت عليك ديارُ عبسٍ عرفت الذلّ عرفان اليقين

وإنما معناه عرفانا ويقيناً)[٢٨]

في قوله تعالى جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ " الكهف/٨٨، ذكر الفراء: وتكون الحسنى الجنة، تضيف الجزاء إليها، وهي هو، كما قال "حَقُّ ٱلْيَقِينِ " الواقعة /٩٥، و" دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ " البينة /٥، و" وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " يوسف/ ١٠٩[٢٩] . _ في قوله تعالى:" أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ " النمل /٧.

ذكر الفراء: (نون عاصم والاعمش في الشهاب والقبس، وإضافه أهل المدينة (بشهاب قبسٍ) ، وهو بمنزلة قوله:" وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " يوسف/ ١٠٩، مما يضاف إلى اسمه إذا اختلف أسماؤه) [٣٠] .

_ في قوله تعالى" وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ"/٩.

قال الفراء: (والحبَ هو الحصيد، وهو مما أضيف الى نفسه مثل قوله:" إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ "الواقعة/٥ ، ومثله" وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

---

[٢٨] معاني القران :٢/٥٥-٥٦.

[٢٩] المصدر نفسه: ٢/ ١٥٩.

[٣٠] معاني القرآن: ٢/ ٢٨٦، وفي البحر المحيط :٥/ ٣٤٦، والكشف :٤٢٩/١، واختار الاخفش الإضافة. علماً أن الذي في معاني القرآن) الأخفش): ٤٢٨/٢، لم يرجح قراءة على اخرى، وقال : (وكلٌّ حسنٌ) .

مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ " ق/ ١٦، والحبل هو الوريد بعينه أضيف الى نفسه لاختلاف لفظ اسمه)[٣١]

- في قوله تعال" كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ " القمر/ ٣١.

_ قال الفراء (وقرأ الحسن وحده [٣٢] كهشيم المحتظر ، فتح الظاء، فأضاف الهشيم الى المحتظر، وهو كما قال: " إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ "الواقعة/ ٩٥، وكما قال: "وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " / يوسف/١٠٩ .

فأضاف الدار الى الاخرة ، وهي الآخرة)[٣٣]

_ في قوله " يَومِ الجمْعَةِ " /٩.

قال الفراء_ خفضها الأعمش فقال : الجمعة، وثقّلها عاصم وأهل الحجاز، وفيها لغة، جُمَعَة، وهي لغة لبني عُقيل ، ولو قرأ بها كان صواباً والذين قالوا:

---

[٣١] معاني القران: ٣/ ٧٦.

[٣٢] وبها قرأ غير الحسن، إذ هي قراءة أبي حيوة وأبي السمال وأبي رجاء وأبي العالية وأبي عمرو بن عبيد وقتادة، والحسن البصري . ينظر البحر المحيط: ١/ ٨١، والمحتسب: ٢/ ٢٩٩، وتفسير العكبري :٢/ ١٩٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ١٤٢، والاتحاف : ٤٠٥، ومختصر ابن خالويه، ١٤٨، ومجمع البيان ٢٧/ ٧٢، وزاد المسير :٨/ ٩٨، والتبيان ٩، ٤٥٥، وتفسير الطبري ٢٧/ ٦١، ومعاني القران (الزجاج): ٩٠/٥، وفتح القدير : ١٢٦-١٢٧، وإعراب القرآن (النحاس) :٢٩٣/٣، وروح المعاني :٩٠/٢٧.

[٣٣] معاني القرآن (الفراء) ٣/ ١٠٨-١٠٩.

الجُمعة : ذهبوا بها الى صفة اليوم أنه يوم الجمعة ، كما تقول: رجلٌ ضُحُكة الذي يكثر الضحك)[٣٤]

_ في قوله تعالى " عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ " التكاثر/٥.

قال الفراء: مثل قوله تعالى :" إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ "الواقعة/ ٩٥، المعنى منه:(لو تعلمون علماً يقيناً) [٣٥].

_ في قوله تعالى : " من ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ" الدخان/ ٣٠، قال الفراء : (وفي حرف عبد الله: (من عذاب المهين) وهذا مما أضيف الى نفسه لاختلاف الاسمين مثل قوله : "وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " يوسف/ ١٠٩،ومثل قوله " دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ " البينة/٥، وهي في قراءة عبد الله (وذلك الدين القيمة)[٣٦].

---

[٣٤] نفسه: ٣/١٥٦

[٣٥] معاني القران: ٣/٢٨٧.

[٣٦] المصدر نفسه:٣/٤١.

الكوفيون وفوات التحقيق*:

ومما عثرنا عليه منسوباً إلى الفراء في مسألة (تضايف المترادفين)، ولم نعثر عليه في كتابه(معاني القرآن) شواهد قرآنية في المسألة غاب عن جهابذة أرباب التحقيق أو السهو في إيرادها في مواضع من معاني الفراء، وقد تكون سقطت تلك الشواهد عن النُسَّاخ من باب السهو أو النسيان في أثناء عملية النسخ أو الإملاء مما يعني ايضاً وجود منقصة وثغرات في صفحات معاني الفراء أي كتابه الذي وصل إلينا يشكو من غياب هذه المواضع، وقد احتفظت كتب التفاسير بهذه المواضع، واحتفظ بها لتكون سداً لتلك المثلمة التي حدثت سهواً عند تحقيق الكتاب .

ومن هذه المواضع:

_ في قوله تعالى:" عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ " التوبة / ٩٨

قال الفراء (وهو من باب إضافة الموصوف إلى صفته)[٣٧]

---

* صدرت تحقيقات شتى لكتاب (معاني القرآن – للفراء) منها:

١–تحقيق محمد علي النجار، واحمد يوسف نجاتي بتقريظ : محمد أبو الفضل ابراهيم.

٢–تحقيق: الدكتورة هدى قراعة.

٣–تحقيق: ابراهيم شمس الدين .

٤–تحقيق: الدكتور علي ناصف وجماعة

٥–تحقيق: ابراهيم الدسوقي،....، وقد سها كل اولئك عن سدّ هذه الثغرات في كتاب (معاني القران– للفراء)، مما يجعل الكتاب في حاجة الى إعادة تحقيق ولاسيما وهو أهم كتاب وصل الينا عن الكوفيين، وخير ما يمثل مذهب النحو الكوفي.

[٣٧] البحر المحيط : ٥/ ٩٥.

_ في قوله تعالى:" شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٠ " الحجر/ ١٠.

قال الفراء :(في شيع الأولين ، إنه من إضافة الموصوف إلى صفته كحق اليقين، وجانب الغربي)[٣٨] وعبارة الفراء في (حق اليقين) من إضافة الشيء إلى نفسه)[٣٩]

_ وفات الدارسين قراءة جعفر بن محمد (رضي الله عنه) لقوله تعالى " ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ " الفاتحة/ ٦ إذ قرأ(صراط المستقيم)، وذلك بإضافة (الصراط) إلى (المستقيم) من غير الف ولام في (الصراط) وهو جائز في العربية كـ(دار الآخرة)[٤٠].

الكوفيون والسماع:

في تعضيد مسألة (تضايف المترادفين) وجدنا الكوفيين ومن وافقهم قد ذهبوا مذهب السماع لا غير ، ومن دون تأويل أو تعليل أو تقدير، وأنما أخذوا بكل ما جاء من سماع في هذا الباب، ومن مصادر شتى، وعلى النحو الآتي:

---

[٣٨] المصدر نفسه: ٤٣٥/٥، والدر المصون : ٤/ ٢٩٨، والجواهر الحسان: ٢/ ٢٠٨، وتفسير أبي سعود: ٦٩/٥.

[٣٩] ينظر: معاني القرآن (الفراء) ١٠٨/٣-١٠٩، ١٥٦-٢٨٧.

[٤٠] الابانة عن معاني القراءات: ٧٤.

(١) القراءات القرآنية:

تُعدّ القراءات القرآنية من أبرز أصول السماع عند نحاة الكوفة في تعضيد وتقعيد المسائل (فقد اعتمد الكوفيون القراءات شواهد صحيحة في نحوهم، ونعم ما صنعوا، فإن قراءة تثبت صحتها هي خير من أي بيت شعر في الاستشهاد؛ لأنها تمثل الواقع اللغوي تمثيلاً صحيحاً لاتصالها بلهجات العرب فضلا عن كونها نثراً لا يخضع للضرورة ولا لقيود الوزن، وروايتها أصحّ بكثير من رواية الشعر)[٤١] .

وهكذا اعتمد الكوفيون القراءات(واحتجوا بها، وعقدوا على ما جاء في الكثير من أصوله وأحكامه ، وهم إذ رجحوا القراءات التي يجتمع القراء عليها ، فلا يرفضون غيرها، ولا يغلطونها؛ لأنّها صواب عندهم أيضاً)[٤٢] ومما يقوي هذا الواقع اللغوي في أصول النحو الكوفي ما جاء على لسان أبي العباس ثعلب من الكوفيين في حكاية يرويها غلامه الزاهد_ غلام ثعلب_ (وحكى أبو عمر الزاهد في كتاب (اليواقيت) أن أبا العباس أحمد ابن يحيى ثعلباً، كان لايرى الترجيح بين القراءات السبع، وقال:(قال ثعلب من كلام نفسه، إذا اختلف الاعراب في القرآن عن السبعة لم أُفضل إعرابا في القران، فإذا خرجت الى الكلام كلام الناس، فضلت الأقوى) ، ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى، كان عالماً بالنحو، واللغة، متديناً، ثقة)[٤٣] .

---

[٤١] الشواهد والاستشهاد في النحو: ٢٧٦.

[٤٢] مدرسة الكوفة : ٣٤١.

[٤٣] البحر المحيط ٤/ ٩٢، والاتقان ١/ ٢٢٩، وفي غيث النفع / ٦٣(أن القراءة المشهورة فضلا عن المواترة .. لاتحتاج الى دليل بل هي الاقوى).

وكان سلفه الكوفي أبو زكريا الفراء، قد قال(والكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر)[٤٤] ومثل هذا الحديث هو الذي يجعل القراءات القرآنية في مقدمة الاصول التي عضّد بها أبو زكريا الفراء مذهبه في تضايف المترادفين، إذ انبثق هذا الاصل بوضوح- القراءات القرآنية- في سماع الكوفيين فبنوا عليه المسألة .

ومن هذه المواضع التي عضّد بها الكوفيون المسألة ، وذلك في:

- قوله تعالى :" وذلك دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ " البينة / ٥

أخذوا برسم المصحف، بقولهم : (وفي قراءتنا (دين القيمة)[٤٥] وهي قراءة الجمهور على الاضافة ، في الوقت الذي قرأ عبد الله بن مسعود (رض) : وذلك الدين القيمة) بتعريف (الدين)[٤٦] أو قراءة أخرى له(وذلك الدين

---

[٤٤] معاني القرآن للفراء : ١/ ١٤.

[٤٥] المصدر نفسه : ١/ ٣٣٠ _ ٣٣١، ٢/ ١٥٩.

[٤٦] ينظر : النشر ١١٢/٢، والاتحاف: ٩٩، والمهذب ٢٣٩/٢، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٩، وإعراب القرآن
(النحاس) ٧٥٠/٣،وتفسير الكشاف٣/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز١٥/ ٥٢٩(نسبت القراءة لبعض الناس، وليس لابن مسعود)، وتفسير الطبري ٣٠/ ١٧٠، وروح المعاني :٣٠/ ٢٦٢، ومختصر ابن خالويه : ١٣٨، ١١٧، والدر المصون ٦/ ٥٥٢.

القيم)...[٤٧] إلا أن الفراء اختار رسم المصحف الذي منحه القاعدة ليصطلح معه آخرون عبر هذه القراءة أو هذا الاختيار[٤٨].

-قوله تعالى" أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ " النمل /٧ ، ذكر الفراء (وأضافه أهل المدينة : (بشهابِ قبسٍ) وهو بمنزلة قوله " وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " يوسف/ ١٠٩، مما يضاف إلى اسمه إذا اختلف أسماؤه)[٤٩]

الحديث النبوي:

ظلّ الاحتجاج بالحديث النبوي موضع اختلاف بين النحاة في اتخاذه أصلاً يقام عليه النحو أي عدّه كأصلٍ من أصول النحو ، حتى انقسم النحاة على ثلاث طوائف، وذلك على مرور الزمن وخفة حدّة الخلاف ثم مواقف أخذت تظهر تحمل معها الجدة، ولاسيما عند من جمع بين علوم اللغة والحديث، حتى برزت هذه الطوائف التي امتازت أطراف منها بالشدة والتعنت وأخرى بالوسطية وفريق بالسماح وهي طوائف نذكرها فيما يأتي:

الأولى:-

وهي طائفة امتنعت مطلقاً عن الاحتجاج بالحديث النبوي، وأشهر من يمثل هذا الرهط هو أبو حيان الاندلسي وشيخه ابن ضائع وقد كان أبو

---

[٤٧] ينظر : تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٤، وهي قراءة موافقة لرسم المصحف في سورة التوبة / ٣٦، وسورة يوسف / ٤٠، وسورة الروم /٣٠.

[٤٨] ينظر معاني القرآن(الفراء) ١/٣٣٠-٣٣١، وللزيادة: الصاحبي: ٣٤٤.

[٤٩] المصدر نفسه : ٢/ ٢٨٦.

حيان واضحاً في سبب الامتناع حين أعلن صُراحاً(إنما تركه العلماء لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول (صلّى الله عليه وسلم)، إذ لو أوثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية)[٥٠] وقد جارى السيوطي هذا الرهط أو الطائفة، ولمّع هو الاخر عن سبب الامتناع بقوله:(فإن غالب الاحاديث مرويٌّ بالمعنى، وقد تداولتها الاعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا الفاظاً بالفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة)[٥١].

الثانية، والكوفيون:

وهي طائفة اجازت الاحتجاج بالحديث النبوي ، ومنهم ابن مالك وابن هشام الأنصاري وهذا الثاني قد أكثر من الاحتجاج بالحديث حتى فاق الأول– ابن مالك– من المجيزين[٥٢] ولتوضيح أكثر لسبب الجواز عند هذه الطائفة: فإن (نبوغ ابن مالك في الحديث والنحو معاً كوّن عنده خبرة استدلالية جديدة ،ومهارة في توظيف المقولات النبوية الشريفة، وتوضّح السبيل الميداني للقاصدين ، وتشجيع الانصار على متابعة العمل القويم، فأقام صرحاً شامخاً نفّس عن العربية ما كانت فيه من غفلة وقصور، وبهذا أصبحنا في عصر جديد للخبرة الاستدلالية)[٥٣]

---

[٥٠] الاقتراح : ٧٤.

[٥١] المصدر نفسه : ٧٤.

[٥٢] ينظر : الشاهد وأصول النحو : ١٤٣.

[٥٣] تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف : ١١

ولاسيما جاءت الشهادة في حق ابن مالك في علوم الحديث ، بقولهم (وأما إطلاعه على الحديث فكان فيه آية)[٥٤] وواضح في هذا المسلك الجديد أنه فتح آفاقاً جديدة في مسار أصول النحو من جهة ثم تأثيراً قوياً فيمن جاء من بعده من اللاحقين على شاكلة عبد القادر البغدادي الذي صرّح بوضوح(الصواب جواز الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف، في ضبط ألفاظه، ويلحق به ماروي عن الصحابة، وأهل البيت)[٥٥] ومما ورد عن ابن مالك بما يعضد المسألة- تضايف المترادفين عند نحاة الكوفة .

إذ نرى ابن مالك يخفض جناح الولاء لمذاهب الكوفيين؛ وذلك في تعضيده ودعمه للمسألة بالحديث النبوي الشريف. إذ يستشهد بحديث روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم، قال : (يانساء المسلمات لا تحقرن جارةً لجارتها، ولو فِرْسنَ[٥٦] شاة)[٥٧] فيأخذ ابن مالك هذا الشاهد من الحديث النبوي للاستدلال على إضافة الشيء الى نفسه ، بقوله:(وفي اضافة (نساء)

---

[٥٤] غاية النهاية :٢/ ١٨٠-١٨١، وطبقات الشافية ٥/ ٢٥٧، وتسهيل الفوائد : ٢/ ١٦.

[٥٥] خزانة الادب : ٥/١

[٥٦] فِرسن: عظم قليل اللحم، وهو خفّ البعير كالحافر للدابة، وقد يستعار للشاة، فيقال فرسن شاة، والذي للشاة هو الظالف، وهو فعلن والنون زائدة، وقيل : أصلية لانها من فرست) لسان العرب :١/ ٢٢٣(مادة : فرس) .

[٥٧] صحيح مسلم : ٤٤(باب الحث على الصدقة ولو بالقليل) .

الى (المؤمنات) [٥٨] شاهد على اضافة الموصوف إلى الصفة عند أمن اللبس؛ لأن الأصل : وكنّ النساء المؤمنات، وهو نظير (دار الآخرة) و(مسجد الجامع) و(صلاة الاولى)[٥٩] كما هو واضح أن الحديث الشريف قد عضّد المسألة كما عضدتها القرآءات القرانية- كما أسلفنا- وكلّ هذا يقع في ضمن تضايف المترادفين الذي أجازه الكوفيون[٦٠].

من خلال السماع بأمثلة من القراءات القرآنية، فجاء ابن مالك والمجيزون للمسألة بتعضيد من الحديث النبوي لتنضم نحاة هذه الطبقة الى الكوفيين ليزيدوا على الاستدلال باستدلال آخر خدم توجه نحاة الكوفة بوضوح تام.

الثالثة:

وهي الطائفة الوسطية التي وقفت موقفاً وسطاً بين الطائفتين الاولى والثانية أي وسطاً بين الامتناع والجواز[٦١] ومن هؤلاء الشاطبي.

---

(٥٨) لفظ الحديث عند (مسلم) هو (مسلمات)، وعند ابن مالك (مؤمنات) ينظر: صحيح مسلم: ٤٤، وشواهد التصحيح: ٢٤٨.

(٥٩) شواهد التصحيح: ٢٤٨.

(٦٠) ينظر: معاني القرآن (الفراء) ٢/ ٢٨٦، ٣/ ١٠٨-١٠٩، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٤٧، وشرح عيون الاعراب: ٢١٥، وتفسير الرازي:٦٠٢/٢٤، والدر المصون:٤/٣،٤٦/ ٢٩٠، وللزيادة: شرح المفصل:١٦٧/٢.

(٦١) ينظر: تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف:١١

من الامتناع إلى الجواز:

إذا كانت الطائفة الاولى قد امتنعت مطلقاً عن الاحتجاج بالحديث النبوي، ومنهم أبو حيان والسيوطي[٦٢] فإن هذا الموقف قد تغير لمستجدات– بعد ذلك – (إذ إن كليهما انتقلا من المعارضة إلى الموافقة والإقرار، مع شيءٍ من التحفظ والتحري ، فالأول منهما سار في مصنفاته المتقدمة على مذهب شيخه ابن الضائع، وعندما عمّق اتصاله بعلوم الحديث وروايته، وصار له خبرة طيبة به، وتكونت لديه مهارة احتجاجية فيه، ويظهر التكثر منه في كتبه الاخيرة ، وكذلك كان شأن السيوطي، إذ نقل مقولات أبي حيان وابن الضائع مؤيدا لها، ثم تركها وخالف وجهتها فيما صنف من الكتب النحوية)[٦٣]

كلام العرب:

إلى جانب القراءات القرآنية التي عضّد بها الكوفيون مسألة تضايف المترادفين، ثم مجيء نحاة على شاكلة ابن مالك لتعضيد المسألة بالحديث النبوي الشريف في ميل واضح لمذهب الكوفيين_ فإن المسألة اتسعت في شواهدها حتى عضّدها كلام العرب من شعر ونثر، حيث اجتمعت شواهد شعرية وأخرى من النثر تشير إلى ورودها بوضوح على النحو الآتي:

---

[٦٢] ينظر الاقتراح: ٧٤.

[٦٣] تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف: ١٦١.

١–الشعر

قال الشاعر:

ولو أقوت عليك ديارُ عبسٍ عرفت الذلّ عرفان اليقين[٦٤]

في إضافة (عرفان) إلى (اليقين)، وهما مترادفان معنًى.

–قال الشاعر

إذا حاص عينيه كرى النوم يزل به كالئٌ من قلبِ شيحان فاتكِ[٦٥]

في إضافة (كرى) إلى (النوم) وهما مترادفان معنًى.

–قال الشاعر :

وقرب جانب الغربي يأدو مدَبَّ السيل، واجتنب الشعارا[٦٦]

في إضافة (جانب) الى(الغربي)، والجانب هو الغربي نفسه ، وقد ترادفا في المعنى.

–قال الشاعر (النمر بن تولب العكلي)

سقيته بين انهار ودور وزرع نابتٍ وكروم جفنٍ[٦٧]

في إضافة (زرع) الى (نابت) ، وهما ترادفا في المعنى.

---

[٦٤] الشاهد بلا نسبة في معاني القرآن (الفراء) ٢/ ٥٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٢٤٧.

[٦٥] الشاهد بلا نسبة في رسالة الإفصاح لابن طراوة:٩٣.

[٦٦] الشاهد للراعي النميري في شعره المجموع، وفيه(جانب الشرقي) لا (الجانب الغربي) ينظر: شعر الراعي النميري: ٧١.

[٦٧] ينظر: ديوان النميري بن تولب: ٥٣، وكذلك في الصاحبي : ٢٤٤، وبلا نسبة في خزانة الادب: ٤/ ٣٥٧.

قال الشاعر :

فقلت أنجو عنها نجا الجلد إنه   سيرضيكما منها سنام وغاربه[٦٨]

علق عبد القادر البغدادي على الشاهد الشعري على أن الفراء يجيز إضافة الشيء الى نفسه اذا اختلف اللفظان كما في البيت ، فإن النجاء والجلد مرادفان في المعنى، وقد تضايفا أي أضيف الشيء الى نفسه[٦٩]

_ قال امرؤ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير المحللِ[٧٠]

والبكر هي المقاناة، وقد تضايفا على الرغم من ترادفهما في المعنى

وقال عنترة بن شداد[٧١]

ومشك سابغة هتكت فروجها   بالسيف عن حامي الحقيقة معلم[٧٢]

أضاف (مشك) الى(سابغة)، وهما بمعنى الدرع، وقد تضايفا رغم اتحاد المعنى[٧٣] .

ونجد في هجاء مروان بن الحكم للفرزدق:

ودع المدينة إنها مرهوبة   واعمد لمكةَ، أو لبيتِ المقدس[٧٤]

---

[٦٨] بلا نسبة في خزانة الادب ٤/ ٣٥٩.

[٦٩] ينظر : خزانة الادب :٤/ ٣٥٩.

[٧٠] ينظر: ديوان امرئ القيس: ٣٣٧ .

[٧١] ديوان عنترة بن شداد : ٢١١.

[٧٢] وديوان الفرزدق:٣٣٤.

[٧٣] وديوان الفرزدق:٣٣٤.

[٧٤] وديوان الفرزدق:٣٣٤.

أضاف (بيت) الى (المقدس)، وهما مترادفان معنى، وقد تضايفا رغم اتحاد المعنى.

(٢)المنثور من سنن العرب:

ذكر أبو منصور الثعالبي في حديثه عن الإضافة، فقال : (من سنن العرب، إذ تقول : صلاة الأولى، ومسجد الجامع، وكتاب الكامل، وحماد عجرد، وعنقاء مغرب، ويوم الجمعة،..)[٧٥] وهذه العبارات وعلى شاكلتها مثل (ليلة الخميس ، يوم الخميس، وبارحة الاولى، وليلة الأولى ،وشهر الربيع، وعام الاول ، وحبة الحمقاء، وبقلة الحمقاء،ومكان الغربي وبيت المقدس،)[٧٦]

وهي عبارات استشهد بها الكوفيون في مسارد المسألة وخصّوا بها تصانيفهم [٧٧] وهي عبارات ظلت في مرمى البصريين على محمل من التأويل ، وقد جارى بعض أهل التفسير البصريين ، وانتهج آخرون سبيل الكوفيين.

البصريون:

في كلّ ما احتج به الكوفيون من سماع في مسألة ترادف المتضايفين كان موضع احتجاج بردّه عند البصريين على سبيل التأويل، ويمكن تلخيص موقف البصريين على الوجه الآتي:

---

[٧٥] فقه اللغة، وسر العربية: ٢٥٧.

[٧٦].ينظر: معاني القرآن للفراء :١/٢٣٠،٣٠، ٢/٥٦، والصاحبي:٢٤٤، والانصاف: ٢/٢٣٨، والتطور النحوي:٥٢.

[٧٧] ينظر : معاني القرآن الفراء :١/ ٢،٢٣٠،٣٠/٥٦،والصاحبي:٢٤٤

(١) لم يجوّز البصريون تضايف المترادفين البته! وذلك بحجة أن الاضافة في حدّها المعروف والموضوع(إنما يراد بها التعريف والتخصيص، والشيء لايتعرف بنفسه؛ لأنه لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الاضافة، وان لم يكن فيه تعريف ، كان بإضافته الى اسمه أبعد من التعريف، إذ يستحيل أن يصير شيئاً آخرَ بإضافة اسمه الى اسمه ، فوجب ألا يجوز كما لو كان لفظهما متفقاً)[٧٨].

(٢) في كل ما احتج به الكوفيون من سماع سواءً من قراءات قرآنية أم نصوص شعرية ونثرية كان موضع التأويل عند البصريين [٧٩] باختلاف لفظ التأويل من نحوي الى آخر ، ومن مفسر إلى آخر_ كما في جداول ستأتي_ إذ مضى مفسرون بمحاذاة البصريين في ردّ المسألة واصطلح كلُّ مفسر بعبارة في الرد وعدم القبول كما سيأتي

مصطلحات المفسرين في عرض المسألة :

مما تجدر الاشارة إليه أن المفسرين في أثناء عرضهم مسألة تضايف المترادفين قد استعملوا عبارات أو مصطلحات شتىّ تلمع إلى رد المسألة أو قبولها أو الوقوف منها موقف الحياد من دون ميل بصري أو كوفي ؛ وفي هذا ما يجعلنا الاشارة إلى هؤلاء الفرقاء كالاتي:-

---

(٧٨) الانصاف : ٢/ ٤٣٨.

(٧٩) نفسه: ٢/٤٣٦-٤٣٨.

(١) مصطلحات الرد:

وهي مصطلحات جاءت في أثناء إشارة المفسرين بوضوح الى ردَّ المسألة واستحالتها وفسادها وعدم قبولها وبعدها ونفيها البته، ومن هذه الاصطلاحات التي جاءت في ردَّ المسألة عندهم ، بأنها (ممتنعة)[٨٠] و(لايجوز)[٨١] و(غير جائز)[٨٢] و(لايصح)[٨٣] و(محال)[٨٤] و(خطأ)[٨٥] و(فاسد)[٨٦] و(بعيد)[٨٧] وهذا الفريق أحيانا كان يسوق الكلام بإسهاب في ردّ ضمني بعدما أماط اللثام عن مصطلحاته- التي سلفت- في ردَّ مسألة تضايف المترادفين[٨٨]. وكانت الحجة في اصطلاحهم على

---

(٨٠) تفسير الرازي:٥١٦/١.

(٨١) نفسه:١٢/١١،١٣/٢٣٤،١٣٥/٥١٦، ٢٤/ ٦٠، وللزيادة: الانصاف ٤٣٦/٢ (المسألة/ ٦١)، والكافية: ١٨، والمفصل:٩١، وشرح المفصل ١٦٧/٢.

(٨٢) تفسير الرازي :٢٣٤/١١.

(٨٣) تفسير القرطبي ٩/ ٢٤٧، وتفسير الرازي:١٢/١١،٥١٧/٢٣٤، ٣٤٧/٤١٥٢/١٥، ١٩٨/٣.

(٨٤) إملاء مامن به الرحمن:١٧٨/٢،وللزيادة: الموجز في النحو: ٦١.

(٨٥) تفسير الرازي:٢٢٠/١١..

(٨٦) اعراب القران (النحاس) ٣٦، والبيان في غريب القران،٣٧/٢،، والدررالمصون: ٤٦/٣ وللزيادة : شرح المغصل ١٦٥/٢، والانصاف في مسائل الخلاف:٤٣٦/٢ (المسألة /٦١)

(٨٧) التبيان :٣٧٢/١.

(٨٨) ينظر: الدرر المصون :٥٦٥/٦، وتفسير ابن القيم:٢٠/٥،وللزيادة: ائتلاف النصرة:٥٥.

هذه العبارة أو الموقف بأن (الشيء لايعرف نفسه ولايخصصها)[٨٩] أو المسألة من (باب إضافة الخاص إلى العام)[٩٠] أو إضافة (الجنس إلى نوعه)[٩١] أو المسألة أشبه بعبارة (صواب الصواب أو حق الحق أو يقين اليقين أو نفس النفس)[٩٢] .

(٢) مصطلحات القبول:

وصف الأزهري مسألة تضايف المترادفين بمصطلح الفصاحة والكثرة، بقوله : (وهو كثير فصيح جداً)[٩٣] وهو غير ما اختاره البغوي في تفسيره من خلال توجيه قراءة ابن عامر (ولدار الاخرة) بخفض(الاخرة) في قوله تعالى"وَلَدَارُ الْآخِرَةِ " / يوسف/١٠٩ .

إذ جاءت (الاخرة) بالضم،إذ أضاف الدار إلى الاخرة في قراءة ابن عامر، والعرب تضيف الشيء إلى نفسه [٩٤] وهو كلامٌ قد عضده ابن الجزري زيادة على قراءة ابن عامر بقراءة (وللدار الآخرة)؛ وذلك بلام واحدة وتخفيف الدار، بقول ابن الجزري ، وهو كذلك في مصاحف أهل الشام [٩٥] وهو

---

[٨٩] ينظر : المصادر السابقة .

[٩٠] تفسير ابن القيم: ٢٠/٥.

[٩١] نفسه:٢٠/٥

[٩٢] تفسير الرازي: ٤٤٠/١٠، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥، والمجيد في إعراب القرآن المجيد: ٢٣٠، والدر المصون:٦/ ٢٧١، وللزيادة : شرح المفصل ٢/ ١٦٥.

[٩٣] معاني القرءات: ١/ ٣٥١.

[٩٤] تفسير البغوي: ٣/ ١٣٩.

[٩٥] النشر:٢٥٧/٢.

مذهب الشنقيطي في تفسيره ، إذ أسهب في الحديث قائلاً : (إن إضافة الشيء إلى نفسه مع اختلاف اللفظين أسلوب عربي لكثرة وروده في القرآن وفي كلام العرب ، ومنه قوله تعالى: "وَلَدَّارُ ٱلۡأَخِرَةُ " والدار هي الآخرة ، وقوله (ومكر السيء) ، والمكر هو السيء بدليل قوله بعده

(ولايحيق المكر السيء إلا بأهله) وقوله (من حبل الوريد) ، والحبل هو الوريد، وقوله(شهر رمضان) والشهر هو رمضان ، ونظير ذلك في كلام العرب قول امرئ القيس :

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل[٩٦]

والبكر هي المقاناة [٩٧]

وقول عنترة :

ومشك سابغة هتكت فروجها بالسيف عن حامي الحقيقة معلم[٩٨]

لأن مراده بالمشك هنا الدرع نفسها ، بدليل قوله

هتكت فروجها ، يعني الدرع ، وإن كان أصل المشك لغة السير الذي تشد به الدرع ؛ لان السير لاتمكن إرادته في بيت عنترة هذا، خلافا لما ظنه صاحب تاج العروس[٩٩] بل مراد عنترة بالمشك :الدرع ، واضافه الى السابغة التي

---

(٩٦) ديوان امرئ القيس : ٣٣٧.

(٩٧) نفسه: ٧/٨٥٤. .

(٩٨) ديوان عنترة : ٢١١.

(٩٩) ينظر تاج العروس ٢٦/ ٣٩٣،وشرح الاشموني ١/ ٢٨٨.

هي الدرع كما ذكرنا ، والى هذا يشير ما ذكروه في باب العلم ، وعقده في الخلاصة[١٠٠] بقوله :

وإن يكونا مفردين فأضف حتماً والا اتبع الذي ردف لان الاضافة المذكورة من اضافة الشيء الى نفسه مع اختلاف اللفظين ، وقد بينا في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)[١٠١] في قوله في الخلاصة:

ولا يضاف اسم لما به اتحّد　　　　معنىً وأَوِّل مُوهماً إذا ورد [١٠٢]

إن الذي يظهر لنا من استقراء القرآن والعربية أن ذلك أسلوب عربي ، وأن الاختلاف بين اللفظين كافٍ في المغايرة بين المضاف والمضاف إليه، وأنه لاحاجة إلى التأويل مع كثرة ورود ذلك في القرآن والعربية ويدل له تصريحهم بلزوم إضافة الاسم الى اللقب إن كانا مفردين نحو سعيد كرز ، لان ما لابد له من تأويل لايمكن أن يكون هو اللازم كما ترى ، فكونه أسلوبا أظهر)[١٠٣] وعلى شاكلة هذا الكلام تكوّف آخرون من الدارسين المحدثين تيسيرا للنحو وبعداً عن التأويل [١٠٤].

(٢) مصطلحات الحياد

وفي رحلتنا مع التفاسير ، ولاسيما مواضع الخلاف البصري الكوفي في مسألة تضايف المترادفين في التفاسير ، لمسنا عند بعض المفسرين

---

[١٠٠] اضواء البيان :٧/ ٨٥٥.

[١٠١] نفسه: ٧/ ٨٥٣.

[١٠٢] من أبيات ألفية ابن مالك.

[١٠٣] اضواء البيان : ٧/ ٨٥

[١٠٤] معاني النحو :١١٥/٣.

موقف الحياد من المسألة من دون قبول أو رد ، ومن تلك العبارات أو المصطلحات التي وردت عندهم

في توجيه المسألة ، بأن قالوا عن المسألة بأنها(مشهورة)[١٠٥] أو عرض المسألة عند الفريقين : البصري والكوفي من دون تعليق عليها باصطلاح من رد أو قبول [١٠٦]

الإنصاف وعدم الانصاف:

قال صاحب الانصاف (ذهب الكوفيون أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان، وذهب البصريون أنه لايجوز)[١٠٧] وفي هذا الإعمام على الكوفيين والبصريين معاً، بتجويز الكوفيين للمسألة مطلقاً، وبعدم تجويز البصريين لمسألة مطلقاً، لمسنا إجحافاً في هذا النص يحمل بين طياته عدم إنصاف في إعمام هذا؛ لأنا وجدنا من البصريين والكوفيين على خلاف تام مع هذا النصّ المعمم عليهما، إذ لانعدم من البصريين أو من ينعتهم بـ(اصحابنا) إلا وقد وافق الكوفيين في مسألة تضايف المترادفين مثل أبي الحسن الاخفش [١٠٨] تلميذ سيبويه [١٠٩] ثم ابن

---

[١٠٥] تفسير الرازي: ٢١/ ٤٩٧.

[١٠٦] ينظر تفسير الطبري : ٢٧:٢١٤.

[١٠٧] الانصاف: ٢/ ٤٣٦.

[١٠٨] ينظر : معاي القران (الاخفش): ٢/ ٤٩٣..

[١٠٩] ينظر: طبقات النحويين(للزبيدي):

مالك [١١٠] وابن طراوة[١١١] وابن طاهر[١١٢] وابن خروف[١١٣] إلى جانب بصريين قد امتنعوا صراحاً عن الأخذ بجواز المسألة مثل المبرد[١١٤] وتلميذه [١١٥] الزجاج[١١٦] والنحاس[١١٧] تلميذ الزجاج[١١٨] والفارسي[١١٩] تلميذ الزجاج [١٢٠] وابن جني[١٢١] تلميذ الفارسي[١٢٢] ثم ابن الانباري [١٢٣] ومكي القيسي [١٢٤] والزمخشري[١٢٥] وابن عصفور الاشبيلي[١٢٦] وابن يعيش[١٢٧] والسمين

---

[١١٠] ينظر شرح تسهيل الفوائد :٣/ ٢٢٠، وشواهد التصحيح:٢٤٨

[١١١] ينظر: ارتشاف الضرب : ٤/ ١٨٠٦.

[١١٢] نفسه :٤/ ١٨٠٦

[١١٣] نفسه: ٤/ ١٨٠٦.

[١١٤] ينظر التفسير الوسيط :٣/ ٢٧٣١.

[١١٥] ينظر : طبقات النحويين (للزبيدي) .

[١١٦] ينظر : معاني القرآن وإعرابه:٢٦٧/٥.

[١١٧] ينظر : اعراب القرآن للنحاس :٢٣١/٤.

[١١٨] ينظر : طبقات النحويين (للزبيدي):٦٤.

[١١٩] ينظر: الايضاح العضدي : ٢٦٨.

[١٢٠] ينظر طبقات النحويين للزبيدي : ٩٥.

[١٢١] الخصائص: ٢٦/٣..

[١٢٢] ينظر بغية الوعاة : ١/ ٤٥٣..

[١٢٣] ينظر: الانصاف :٣٥٦/٢.

[١٢٤] ينظر: مشكل اعراب القرآن: ١/ ٣٩٤.

[١٢٥] ينظر: المفصل في صنعة الاعراب:١/ ١٢٢.

[١٢٦] ينظر: شرح جمل الزجاجي: ١/ ١٣٧.

[١٢٧] ينظر : شرح المفصل: ٢٣٣/٢.

الحلبي[١٢٨] والآلوسي[١٢٩] وبالمقابل نجد من الكوفيين من لم يأخذ بجواز المسألة، وردّها صراحاً[١٣٠] ثم الطبري المنعوت بأنه من حذاق الكوفيين[١٣١] وممن يورد في أقواله عن الفراء من الكوفيين بأنه من (أصحابنا))[١٣٢] نجده في مواضع من تفسيره يقف موقف الحياد بعدم قبول المسألة أو ردها[١٣٣].

مما سلف من كلام يضفي ظلالاً من الشك يحوم في مقال صاحب الإنصاف السالف بتجويز عموم الكوفيين للمسألة ، وعدم تجويز عموم البصريين لها، وهو نصّ يتطلب يقينا في نص قلق أو زعم مطيته الشك والريبة .

تأويلات المفسرين في استصحاب البصريين:

وددنا اللمعان إلى تأويلات وتقديرات المفسرين التي تصبّ في مذهب البصريين وتستصحب رأيهم في مسألة تضايف المترادفين مردفين تلك الصحبة ببعض ما جاء من تأويلات وتقديرات نحاة البصرة أو من نعتهم بـ (اصحابنا) في إشارة إلى افتراق أو اتفاق الالفاظ المقدرة في المسألة عبر جداول رسمناها على النحو الآتي:

---

[١٢٨] ينظر : الدر المصون :٢٣٣/١.

[١٢٩] ينظر : روح المعاني ٧/ ٢١٤.

[١٣٠] ينظر: جامع البيان ٢٧/ ٢١٤.

[١٣١] ينظر: معجم الادباء :٦/ ٤٣٨.

[١٣٢] ينظر: جامع البيان:٣١٤/٧، ونفسه :١٤٢/١١.

[١٣٣] ينظر: نفسه : ٢٧/ ٢١٤.

جدول(١) خاص بآيات الذكر الحكيم

(تضايف المترادفين)

ت	الآية الكريمة	رقمها	السورة	التأويلات
١	" وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ	٣٢	الانعام	(ولـــدارُ الحيـــاة الآخـــرة) [١٣٤]أو (ولدار الساعة الآخرة)[١٣٥]
	" وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ"	١٠٩	يوسف	(ولـــدار الحـــال الآخـــرة)[١٣٦] أو (المدة الآخرة أو النشأة الاخرة)[١٣٧]
٣	وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ	٢٢	إبراهيم	(وعـد الأمـر الحـق، أو وعـد اليـوم الحق)[١٣٨]

---

[١٣٤] ينظر: تفسير البحر المحيط :٤/ ١١٣، والدر المصون ٤٦/٣، وتفسير البيضاوي ٤٨٩/١، وللزيادة، ينظر شرح المفصل :١٦٧/٢.

[١٣٥] ينظر: تفسير الرازي ١٢/ ٥١٦،٢٤/٦٠٢، إملاء ما من به الرحمن ٤٢٠/١، والبيان والتبين ١/ ٢٧٠، والدر المصون ٣ /٤٦، وتفسير البيضاوي ٤٨٩/١، وللزيادة ينظر: شرح المفصل ٢/ ١٨٦، والكشف ١/ ٤٣٠.

[١٣٦] ينظر: تفسير القرطبي ٩/ ٢٤٧، وتفسير البيضاوي ١/ ٤٩٨،ومشكل إعراب القران ١/ ٣٩٤.

[١٣٧] ينظر: البحر المحيط ٥/ ٣٤٦.

[١٣٨] تفسير الرازي :٨٥/١٩.

٤	شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ	١٠	الحجر	(شيع الأمم الاولين)[١٣٩]
٥	جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰ	٨٨	الكهف	(جـــزاء الفعلـــة الحســـنى)[١٤٠]أو (جـــزاء المثوبـــة الحســـنى)[١٤١]أو (جزاء الخصلة الحسنى)[١٤٢]
٦	بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ	٤٤	القصص	(بجانـــب المكـــان الغربـــي)[١٤٣] أو (بجانـب الجبـل[١٤٤] أو الـوادي[١٤٥] الغربي)[١٤٦]
٧	يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ	١٨	غافر	(يـــوم القيامـــة الآزفـــة)[١٤٧] أو (يوم المجادلة الآزفة)[١٤٨]

---

[١٣٩] ينظر: تفسير البحر المحيط ٥/ ٤٣٥، والجواهر الحسان ٢/ ٢٠٨، وتفسير أبي السعود:٥/٦٩.

[١٤٠] تفسير الرازي ٢١/ ٤٩٧.

[١٤١] نفسه :٢١/٤٩٧.

[١٤٢] إملاء ما من به الرحمن : ٢/١٠٨.

[١٤٣] ينظر : تفسير الرازي:٢٤/٦٠٢، وتفسير ابي السعود:٧/١٦، والتبيان:٢/٢٤٦، وللزيادة ينظر: شرح المفصل:٢/١٦٧.

[١٤٤] تفسير الجلالين :٣٩١.

[١٤٥] نفسه: ٣٩١.

[١٤٦] نفسه:٣٩١.

[١٤٧] تفسير القرطبي: ١٥/٢٥٦.

[١٤٨] نفسه: ١٥/٢٥٦.

٨	وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ	١٦	الأحقاف	(وعد الكلام الصدق)[١٤٩] أو (وعد الكتاب الصدق)[١٥٠]
٩	وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ	٩	ق	(وحبَّ النبت الحصيد)[١٥١] أو (حبَّ الزرع الحصيد)[١٥٢]
١٠	حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ	١٦	ق	(حبل العرق الوريد)[١٥٣]
١١	حَقُّ ٱلۡيَقِينِ	٩٥	الواقعة	(حق الخبر اليقين)[١٥٤] أو (حق الشيء اليقين)[١٥٥] أو (حق الثابت اليقين)[١٥٦] أو (حق الامر اليقين)[١٥٧]
١٢	يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ	٩	الجمعة	(يوم المكان الجمعة)[١٥٨]

---

[١٤٩] نفسه: ٢٥٦/١٥

[١٥٠] نفسه: ٢٥٦/١٥

[١٥١] املاء ما من به الرحمن: ٢/ ٢٤١، وللزيادة ينظر: شرح المفصل ٢/ ١٦٨

[١٥٢] الدر المصون ٦/ ١٧٥، والجواهر الحسان ٢٢/٣، وتفسير الجلالين: ٥١٨.

[١٥٣] املاء ما من به الرحمن: ٢٥٥/٢.

[١٥٤] التبيان :٣٩٨/٢،وتفسير البيضاوي ٢٦٥/٢، والمجيد: ١٣٠

[١٥٥] تفسير الرازي: ٦٠/٢٤ك٨٢.

[١٥٦] تفسير البحر المحيط :٢١٥/٨،وتفسير ابي السعود:٢٠٢/٨.

[١٥٧] شرح المفصل ١٦٨/٢،اضواء البيان:٨٥/٧، وللزيادة :شرح النفصل:١٦٨/٢.

[١٥٨] املاء ما من به الرحمن :٢٦٢/٢.

١٣	قُرۡءَانٌ مَّجِيدٌ	٢١	البروج	(قرآن ربٍّ مجيد)[١٥٩]
١٤	دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ	٥	البينة	(دين الملة القيمة)[١٦٠] أو (دين الامة القيمة)[١٦١] أو (دين الجماعة القيمة)[١٦٢]

جدول (٢) خاص بآيات الذكر الحكيم

(إضافة الصفة إلى الموصوف)

ت	الآية الكريمة	رقمها	السورة	التأويلات
١	يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ	١٢٧	النساء	(النساء اليتامى)[١٦٣]
٢	أَكَـٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا	١٢٣	الإنعام	(مجرميها أكابر)[١٦٤]
٣	خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ	١٩	غافر	(الاعين الخائنة)[١٦٥]

(١٥٩) تفسير البيضاوي: ٢/٥٨٦.

(١٦٠) تفسير الرازي :٣٢/٢٤،٦٠٢/٢٤٤-٢٤٥،وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٧٩، ٦١٢، واملاء ما من بيه الرحمن :٢/٢٩١، وتفسير الجلالين: ٥٩٨.

(١٦١) إعراب القرآن(النحاس) ٣/٧٥٠.

(١٦٢) تفسير الرازي: ١١/ ٢٤٣،والتبيان ٣١٥/١، والمجيد:٤٤٥، وللزيادة ينظر شرح الكافية:٢/٢٤٤.

(١٦٣) تفسير الرازي: ١٣/١٣٥.

(١٦٤) البحر المحيط ٧/ ٤٣٨-٤٣٩، والجواهر الحسان: ٣/٩٣.

(١٦٥) المجيد: ٣١٧.

٤	تَعَـلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا	٣	الجن	(تعالى ربنا العظيم)[١٦٦]

جدول (٣) خاص بعبارات منثورة على سنن العرب

ت	العبارات	التأويلات
١	صلاة الأولى	(صلاةُ الفريضة الأولى)[١٦٧] أو (صلاةُ الساعة الأولى[١٦٨]
٢	مسجد الجامع	(مسجد المكان الجامع)[١٦٩] أو (مسجد الوقت الجامع)[١٧٠] أو (مسجد اليوم الجامع)[١٧١]
٣	بقلة الحمقاء	(بقلة الحبة الحمقاء)[١٧٢]
٤	حبةُ الحمقاء	(حبة البقلة الحمقاء)[١٧٣]
٥	مكان الغربي	(مكان الجانب الغربيّ)[١٧٤]

---

[١٦٦] تفسير القرطبي: ٩/ ٢٤٧،وللزيادة : ينظر شرح عيون الاعراب: ٢١٥

[١٦٧] تفسير الرازي :٦٠٢/٢٤، الدر المصون ٣/ ٤٦،٤/٢٩٠، وللزيادة ينظر شرح المفصل :١٧٦/٢.

[١٦٨] شرح المفصل: ٢/ ١٦٧.

[١٦٩] تفسير الرازي ٢٤/ ٦٠٢، وللزيادة ينظر شرح المفصل ٢/ ١٦٧، وشرح عيون الاخبار: ٢١٥.

[١٧٠] الدر المصون ٣/ ٤٦.

[١٧١] نفسه: ٤٦/٣.

[١٧٢] الدر المصون: ٤٦/٣.

[١٧٣] نفسه: ٤٦/٣.

[١٧٤] نفسه : ٤٦/٣.

المستشرقون والمحدثون من العرب:

مما نودّ إلحاقه بمسألة تضايف المترادفين عند المفسرين، هو ما جاء وجرى في أسلةِ يراعات بعض المستشرقين، ثم بعض الدارسين المحدثين، إذ تنمّ مواقفهم على أن المعركة لم تنتهِ بعد ! وأن البصري مازال ينفخ في الرماد فتقدح بنار الولاء في إحراق المسألة وعدم جوازها؛ وأن الكوفي يقيم مأدبة التأييد والتعضيد وجواز المسألة بقوة عند دارسي العربية. فهذا أحد المستشرقين ينعت المسألة بأنها (غريبة) أي بمصطلح (الغريب) ، ويصف القائلين بجوازها بأنهم تاهوا ، وضلوا عبر الظنون في رؤية الشيء! أما اليقين فهو غير ما قالوا إذ:(حذفوا أداة التعريف في الكلمة ، ثم ضلوا في التركيب ، فظنوه إضافة، وهو في الحقيقة وصف)[١٧٥] فهو، وإن لم يسمّ الكوفيين ، فكلماته بمثابة الردّ عليهم ناعتاً مسارهم بمصطلح (الغريب) . وهناك من المحدثين _ أيضاً_ من جارى البصريين ، وقام بتخطئة الكوفيين من دون تسمية أحد الطرفين ، وذلك عند نقده شاعرا حديثا استساغ في شعره إضافة الشيء إلى نفسه، فأصبح في مرمى النقد اللغوي بقولهم : (وقد وقع الأخرس [١٧٦] في أكثر من غيره في الأخطاء النحوية كإضافة الموصوف إلى الصفة، وذلك قوله:

---

[١٧٥] التطور النحوي للغة العربية(براجستزاسر) :١٥٢.

[١٧٦]عبد الغفار الاخرس(١٨٠٥-١٨٧٥) شاعر عراقي من مدينة الموصل، ونزيل بغداد، ومدفنه البصرة، من شعراء القرن التاسع عشر ممن تلاميذ ابي الثناء الالوسي، وله مهاجاة ونقائض مع بعض شعراء العراق، كما يعد من ظرفاء بغداد وصاحب خط جميل، نظم شعرا في مدح علماء بغداد، وله ديوان شعر جمعه ولده .ينظر البغداديون أخبارهم ومجالسهم : ٢٣٤.

عروة الوثقى ومنهاج الهدى   كشفوا عن أوجه الحق حجابا [(١٧٧)]

والصحيح العروة الوثقى[(١٧٨)] ومعلوم مما سلف أن الكوفيين استساغوا مثل هذه الإضافة[(١٧٩)] ثم إذا كان الناقد اللغوي قد ردّ المسألة التي أخذ بها الشاعر طوع طبعه الشعري على شاكلة ما سلف من تقديم نماذج شعرية في تعضيد المسألة[(١٨٠)] ثم المستشرق الذي وصف المسألة بأنها (غريبة)؛ مكرراً هذا المصطلح عبر نماذج بقوله: (ومن غريب الاضافة: (إضافة الاسم إلى الصفة ، وبالعكس؛ مثاله: (سورة الفاتحة) ، (دار الآخرة)و(بيت المقدس)،ولكلها سبب ، أما (سورة الفاتحة) ، فالفاتحة قائمة الاسم الموصوف، وهي اسم علم لأم الكتاب، فالاضافة في (سورة الفاتحة) كالاضافة في (مدينة بغداد) و(دار الآخرة) تقديرها: (دار الحياة الآخرة)، فقام الوصف مقام الموصوف. و(بيت المقدس) أصلها (البيت المقدس) .. ومثله كثير في العربية المتوسطة بين الفصيحة والدارجة)[(١٨١)] فإلى جانب هؤلاء المستشرقين والمحدثين العرب ممن مضى الفكر البصري في تلافيف ردهم للمسألة وعدم قبولها من دون تسمية الفريق البصري والانتصار له أو تسمية الكوفيين والانتقاص من مذهبهم، فإنا لانعدم في الدارسين المحدثين من العرب إلا ومن عضد المسألة على مذهب الكوفيين سواءً ممن لمعنا

---

(١٧٧) ديوان الاخرس: ٨٢.

(١٧٨) لغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر :٢١.

(١٧٩) ينظر: معاني القران(الفراء) ١/٣٠،٢٣٠، ٢/٥٦،والصاحبي:٢٤٤.

(١٨٠) ينظر مبحث (كلام العرب- الشعر) من هذا البحث.

(١٨١) التطور النحوي: ١٥٢.

إلـيهم مـن المفسـرين– موضـع الدراسـة– ولاسـيما الشنقيطـي(تـ ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م) صاحب تفسير أضواء البيان، أو المعنيين بدراسة النحو على وجه الخصوص، إذ يقول الدكتور فاضل السامرائي في تأييد إضافة الشيء إلى نفسه أو تضايف المترادفين :(والحق فيما ذكروه من إضافة المترادفين أنه يجوز إضافة أحدهما إلى الآخر إذا كان بينهما أدنى اختلاف ، وكانت الاضافة تفيد معنى ما كإضافة الاسم إلى اللقب ، والعام إلى الخاص، وما إلى ذلك، فكل ذلك جائز بلا تأويل، وعليه كلام العرب، فالعرب تقول: (سعيد كرز) بإضافة الاسم الى اللقب ، ثم إن اللقب في الحقيقة غير الاسم، وليس مرادفا له، وإن كان المسمى واحداً، فإن فيه من المدح والذم وغيرهما ما ليس في الاسم . وكذلك (يوم الخميس) و(شهر رمضان) و(علم النحو)، فان الخميس أخص من (يوم) ، وليس مرادفا له، وكذا ما بعده، فهذا كله جائز، وعليه كلام العرب فمنعه تعسف، ولاداعي للتأويل عليه)[١٨٢] ومن المناسب ذكره في هذا الموضوع أن بعض المفسرين كان يلمس في هذه المسألة اسلوبا من البيان البلاغي ينم عن المبالغة ؛ لذا عدّ هذا من باب (إضافة المترادفين على سبيل المبالغة)[١٨٣] ثم هذا التعضيد من الشيخ الشقنطيني والدكتور السامرائي يدفعنا بقوة إلى اتباع أبي زكريا الفراء رائد المسألة ، فنفري الكلام على تلك الشاكلة ونتكوّف عند السماع ، ونتحاشى التأويل الذي يخل بالمسموع الصريح الذي تعضده وتسنده قراءة عربي فصيح

---

[١٨٢] معاني النحو (فاضل السامرائي) ٣/ ١١٥.

[١٨٣] تفسير الرازي ١٠/ ٤٤٠، والبحر المحيط ٢١٥/٨، والمجيد في اعراب القران المجيد: ٢٣٠، والدر المصون: ٢١٧/٦،وللزيادة شرح المفصل ٢/ ١٦٥.

لم يخدشه عرق دساس وأعني قراءة ابن عامر –السالفة –ثم ما جاء في إسناد ذلك من الحديث الشريف، وفي كلام العرب نظماً ونثراً ،وفي كل هذا إقامة الحجة والدليل على أهل التأويل ، ولان عدم التأويل خير من التأويل على محك نص مسموع من لدن عربي فصيح ذي نسبٍ صريح وصحيح، وقد عدّ مجمع اللغة العربية في القاهرة هذا الاسلوب سعةً وتطوراّ في مسألة الإضافة (غير أن الذي يعنينا من كلام الفراء حيوية ظاهرة الاضافة عند العلماء وسعة تخريجهم لها).[١٨٤]

---

[١٨٤] مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة حتى عام ١٩٨٤م: ٤٩.

(الخاتمة)

هذه السطور -ربما- لم تكن وافية كافيةً، إلا أنها غامرت بقوة النصوص لاحتواء مسألة (تضايف المترادفين) في مجموعة من كتب التفاسير مع تعريج موازٍ لكتب نحاة البصرتين أو العراقين- البصرة والكوفة- حتى لمسنا في مذاهب رهط من المفسرين مواقف تنم عن المد والجزر في إضافة الشيء الى نفسه ! فمنهم من رد المسألة؛ ووصفها بالفاسد والمحال والخطأ والممتنع! وهناك من التزم جانب الحياد من دون تعليق ! وهي حيادية لمسناها حتى عند بعض من نعت الكوفيين بـ (اصحابنا)، مثل أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير! ثم الى جانب الممتنعين للمسألة ممن له صحبة على مذهب البصريين، فقد وجدناهم من المجوزين للمسألة على مذهب الكوفيين سواءً من المفسرين القدامى أو المحدثين أو ممن جمع بين علوم الحديث وعلم النحو على شاكلة (ابن مالك) الاندلسي، بل من الممتنعين مثل أبي حيان والسيوطي وهما من طائفة امتنعت بالاستشهاد بالحديث الشريف في مسائل النحو نجدهما (أبا حيان والسيوطي) بعد تعمقهما في علم الحديث رجعا عن موقفهما الاول ثم راجعا آراءهما؛ فأخذا بالحديث حتى اقتفيا آثار الكوفيين في مسائل شتى ، وانتقلا من دائرة التزمت والامتناع الى الاخذ والاقتناع. وبعد

فإن هذا الرد أو القبول لم يكن حديث ما مضى في علماء المصرين- البصرة والكوفة- وإنما مضت العدوى حتى لحقت بالمستشرقين وبالدارسين العرب! فكان المستشرق يصف المسألة بالغريبة ، والدارس من العرب المحدثين أمسى بين مؤيد ورافض، فانتقد الرافض الشاعر الحديث الذي

ضايف المترادفين في شعره بقولـه :(عروة الوثقى) بتخطئة هذا الاسلوب الفصيح في شعراء عصر الاستشهاد وزيادة على القراءة القرآنية والحديث ونصوص من النثر !غير أن المؤيد لهذا الاسلوب ركن الى السماع واحتذى حذو(الفراء) من الكوفيين طالما اختلف اللفظان حتى لانحمل العبارة فوق طاقتها من تقديرات شتى، وان عدم التقدير خير من التقدير اذا أمن اللبس ورفع الغموض والإشكال .

هذا ، ومما يمكن سرده في هذه السطور، بأنا وجدنا آراء للفراء في تضايف المترادفين في التفاسير من دون ورودها في كتاب (معاني القرآن) وفي مواضع الاستشهاد بالمسألة معضدين بالمسألة بقراءة لم ينوه لها الدارسون (صراط المستقيم) مما يعني فوات المحققين أو فوات النساخ ، وهي مواضع تسدّ ثغرات فاتت أرباب التحقيق في التوثيق أو درس المسألة وأخيرا، وليس آخراً، نقول:

رحم الله تعالى علماء البصرتين والمصرين والعراقين–البصرة والكوفة – ممن منع أو أجاز وامتنع؛ وعللّ فأول أو سمع ونقل؛ فالطرفان –بلا استثناء– مدا جناح العلم المستطيل حتى شدّ الداني والقاصي مجرى راحلته صوب الفريقين سواء البصرة أم الكوفة! سواء تلك الأرض الرخوة والمستديرة التي اسبغت عليها تسمية البصرة، أم تلك الرملة الحمراء الطيبة، والكثبان الغليظة في أرض الكوفان! أو الكوفة ..، ليسرّا العيون بمنظر (حبّ الحصيد) واستلهاماً من (علم اليقين) لابتغاء(جزاء الحسنى) و(جزاء الضعف) في لغة(قرآن مجيد) من عاداها كان من (أكابر مجرميها) وعليه تقع (دائرة السوء) وعمله (كهشيم المحتظر) سائلين المولى (جدّ ربنا)

أن يحشرنا في(شيع الأولين) و(لدار الآخرة) أبقى لمن ألقى السمع وهو شهيد .

ويظل الخلاف الجاد رحمةً تنثر الدراري الاخاذة في ضمن (عروة الوثقى) لا انفصام لها ، وواضحاً (بشهابٍ قبسٍ) حتى يرث الارض (دين القيمة) بـ(حق اليقين)، وذلك(وعد الحقّ) على أيدي عبادٍ صالحين.

ولاتكُ في الدنيا مضافاً وكن بها　　مضافاً إليه إن قدرتَ عليه

فكلٌّ مضافٍ للعوامل عرضةً　　وقد خصَّ بالخفضِ المضاف إليه

المصادر والمراجع

١- ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفه والبصره؛ عبداللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت٧٢٨)؛ تحقيق: الدكتور طارق الجنابي؛ مكتبة النهضة العربية ط١٩٨٧م.

٢- الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دار المأمون للتراث، دمشق:١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٣- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، لابن البناء الدمياطي، تصحيح: علي محمد الضباع، مصر ١٣٥٩هـ.

٤- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث (ب. ت).

٥- ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان النحوي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر:١٩٩٨م.

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين محمد المختار الجكني الشنقنيطي (ت١٣٩٣هـ)، باشراف بكر بن عبدالله بو زيد الراجحي، ط٤، الرياض:١٤٣٧هـ.

٧- إعراب القرآن، لأبي جعفر بن محمد النحاس (٣٣٨هـ)، تحقيق-: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد:١٣٩٧هـ-١٩٧٧م .

٨- الأعلام‘ خيرالدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ) ط١٥، دار الملايين، بيروت:٢٠٠٢م.

٩- املاء ما من به الرحمن المنسوب لأبي البقاء العكبري(تـ ٦١٦هـ)، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، ط١، البابي الحلبي بمصر: ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

١٠- الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الانباري (ت ٥٧٧هـ) تحقيق محمد الدين عبد الحميد، ط مصر: ١٩٨٢م.

١١- الايضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي (ت٣٤٠هـ) تحقيق: الدكتور مازن مبارك، ط٤، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٢- البغداديون أخبارهم ومجالسهم، ابراهيم عبد الغني الدوري ، مط الرابطة، بغداد ١٩٥٨م.

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر، ط١، بيروت: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

١٤- البيان في غريب القران، لابي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ) تعليق: بركات يوسف هبود، ط بيروت: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٠م.

١٥- تاريخ الاحتجاج النحوي بالحديث الشريف ، الدكتور فخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٦- التبيان في اعراب القران لابي البقاء العكبري(ت٦١٦هـ) وضح حواشيه: محمد حسين شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٧- تسهيل الفوائد، لابن مالك (ت٧٦٢هـ)، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي: ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٨- التطور النحوي للغة العربية، برحستراسر، تعليق: الدكتور رمضان عبد التواب، "القاهرة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

١٩- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ)، مراجعة: الدكتور أحمد حسن مرعي، ط٤، بيروت: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٠- تفسبير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥ها)، دراسة وتحقيق: الدكتور عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وبمشاركة آخرين، ط١، بيروت ١٤٢٢ -٢٠٠١ م.

٢١- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر البضاوي (ت٧٩١ هـ)، ط١، الكتب العلمية‘ بيروت:١٤٠٨ هـ-١٩٨٨ م .

٢٢- تفسير الجلالين‘ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤ هـ)‘ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)‘ بمراجعة: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت:١٤٢٠ هـ-١٩٩٩ م .

٢٣- التفسير القيم، لابن قيم الجوزية (ت٧٥١ هـ)، جمع وإعداد: الشيخ محمد أويس الندري، القاهرة ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م .

٢٤- تقريب المقرب في النحو، لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عفيف عبد الرحمن، ط١، دار المسيرة:١٩٨٢ م.

٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تفسير القرأن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: (ت٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وجماعة، دار السلام، ط١ القاهرة: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥ م .

٢٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، ط دار الحديث، القاهرة: ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.

٢٧- جنى الجنتين في تمييز نوعي المثيين، محمد أمين فضل الله المحبي (ت١١١١ هـ)، ط ١دار الآفاق الجديدة، بيروت:١٩٨١م.

٢٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن عبد الرحمن الثعالبي (ت٨٧٥ هـ)، تحقيق: أبي محمد الغماري إلادريسي الحسني، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت:١٤١٦ هـ-١٩٩٦م.

٢٩- خزانة الأدب، عبدالقادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٣.

٣٠- الخصائص: لابن جني(ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مصر:١٩٥٢ م.

٣١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،للسمين الحلبي (ت٧٥٦ هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض وجماعة، ط١، دار الشؤون العلمية، بيروت،١٤١٤ هـ-١٩٩٤ م .

٣٢- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر: ١٩٧٠..

٣٣- ديوان عبد الغفار الأخرس(ت١٨٧٥ هـ)، تحقيق: وليد الأعظمي، ط بغداد: ١٩٨٦ م.

٣٤- ديوان عنترة ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، دار عالم الكتب، ط٢ القاهرة: ١٩٦٤م.

٣٥- ديوان الفرزدق، شرح وضبط علي فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٦م.

٣٦- ديوان النمر بن تولب العكلي، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، ٢٠٠٠م.

٣٧- رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في الايضاح، لابن الطراوة النحوي (ت٥٢٨ هـ)، تحقيق: الدكتور حاتم الضامن، عالم الكتب، ط٢، بيروت:١٤١٦ هـ-١٩٩٦ م.

٣٨- روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين أبي الثناء الآلوسي (ت١٢٧٠ هـ)، تحقيق: ماهر حبوش وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط١ بيروت:١٤٣١ هـ-٢٠١٠ م.

٣٩- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت :٢٠١٠ م .

٤٠- سبك المنظوم وفك المختوم لابن مالك الطائي الجياني (تـ ٧٦٢هـ) تحقيق الدكتور عدنان محمد سلمان والدكتور فاخر جبر مطر، ط١ دبي: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤١- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه (ت.١٨ هـ)، الدكتور خديجة الحديثي، ط الكويت: ١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م.
٤٢- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي(ت١٠٨٩هـ)، القاهرة: ١٩٣٨م.
٤٣- شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك الأندلسي(ت٦٧٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، ط الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م .
٤٤- شرح الحدود في النحو، عبدالله الفاكهي، تحقيق: المتولي رمضان الدميري، مكتبه وهبة، ط٢ ١٩٩٣م.
٤٥- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور (ت٦٦٩ هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي، العراق:١٤٠٢ هـ-١٩٨٢ م.
٤٦- شرح عيون الإعراب، علي بن فضال المجاشعي (ت٤٧٩ هـ)، تحقيق: الدكتور حنا جميل حداد، مكتبة المنار، ط١، الإردن:١٤٠٦ هـ-١٩٨٥ م
٤٧- شرح الكافية للرضي الاستراَبادي(ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، ط٢ بنغازي :١٩٩٨ م .
٤٨- شرح المفصل، لابن يعيش (ت٦٤٢هـ)، إدارة المنيرية بمصر (ب. ت) .
٤٩- شرح ملحة الإعراب، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري(ت٥١٦ هـ)، تحقيق: الدكتور فائز فارس، ط دار الأمل ١٤١٢ هـ-١٩٩١ م.
٥٠- شعر الراعي النميري، دراسة وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، وهلال ناجي ،مط المجمع العلمي العراقي :١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م .
٥١- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، جمال الدين بن مالك الأندلسي(ت٦٧٢ هـ)،تحقيق : الدكتور طه محسن ،إحياء التراث الأسلامي، العراق:١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.
٥٢- الشواهد والاستشهاد في النحو ،عبد الجبار النايلة،ط١بغداد:١٣٩٦ هـ-١٩٧٦ م.
٥٣- الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس الرازي(ت٣٩٥ هـ)، تحقبق: مصطفى الشويمي ، ط بيروت :١٩٦٣.
٥٤- الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) ، دار إحياء الثراث، بيروت :١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥ م.
٥٥- صحيح مسلم ، لأبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة :١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م

٥٦- طبقات الشافعية، عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعي (ت٧٢٢ هـ) تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، بيروت:٢٠٠٢م.
٥٧- علم الدلالة، الدكتور احمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٥، القاهرة، ١٩٩٨م.
٥٨- غاية النهاية، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجرزي (ت٨٣٣ هـ)، تحقيق : ج. برجستراسر، ط الخانجي بمصر:١٣٥١ هـ-١٩٣٢ م.
٥٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠ هـ)،دارالمؤيد،ط١دمشق :١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م.
٦٠- فقه اللغة وسر العربية ، لابي منصور الثعالبي(تـ ٤٢٩هـ) ، تحقيق د فائز محمد، دار الكتاب العربي ، ط١، بيروت: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٦١- الكافية في النحو ، لابن حاجب (ت٦٤٦هـ) – في ضمن مجموع مهمات المتون- ط٤، القاهرة ١٩٤٩م.
٦٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) ط دار الفكر، بيروت: ١٩٩٧م.
٦٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأُبي محمد مكي بن ابي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٦٤- لسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) ، باعتناء: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث، بيروت(د.ت).
٦٥- اللغة بين المعيارية والوصفية، الدكتور تمام حسان، دار الثقافة : ١٩٩٢م.
٦٦- لغة الشعر في القرن التاسع عشر، ابراهيم الوائلي، مط الرشاد، بغداد: ١٩٦٥م.
٦٧- مجمع البيان في تفسير القرآن، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار احياء التراث، بيروت، ١٣٣٩هـ.
٦٨- المجيد في إعراب القرآن المجيد، لأبي إسحاق إبراهيم السفاقسي (ت ١٠٧٩هـ) مجموعة محققين، في رسائل جامعية، جامعة بغداد، وجامعة العلوم الاسلامية .
٦٩- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، لابن جني(ت ٣٩٢هـ) تحقيق علي النجدي ناصف واخرون، ط القاهرة ١٣٨٦هـ.
٧٠- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الاندلسي (ت٥٤٢هـ) تحقيق أحمد صادق الملاح، القاهرة ١٩٧٤.
٧١- مختصر شواذ القراءات، ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق براجستر، ط مصر ١٩٣٤م.
٧٢- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ،د مهدي المخزومي، ط٢ القاهرة، ١٩٥٨.

٧٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ) تحقيق محمد احمد جاد المولى وجماعة، ط دار الفكر ، بيروت (ب.ت).

٧٤- مسائل خلافية في النحو، لأبي البقاء العكبري (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق محمد خير حلواني ، ط حلب ،سوريا (ب.ت).

٧٥- مشكل إعراب القرآن لابي بكر محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت: ٢٠١٠م.

٧٦- مظاهر التجديد النحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة حتى عام ١٩٨٤، د ياسين أبو الهيجاء، ط ١، القاهرة: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٧٧- معاني القرآن ، للأخفش ابي الحسن المجاشعي (ت ٢١٥هـ) تحقيق د فائز فارس، ط٢، الكويت: ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧٨- معاني القرآن للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٧٩- معاني القرآن للفراء ابي زكريا بن زياد (ت ٢٠٧هـ) تحقيق ، احمد نجاتي ومحمد علي النجار ، ط١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٨٠م.

٨٠- معاني النحو ، الدكتور فاضل السامرائي، ط جامعة بغداد : ١٩٨٦-١٩٨٧.

٨١- معجم البلدان، ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ) ط١، دار صادر ، بيروت١٩٩٦.

٨٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط٣ بيروت ١٩٨٣م.

٨٣- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط دمشق: ١٩٥٧.

٨٤- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير أو تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي البكري الطبرستاني الرازي (ت ٦٠٦هـ)دار إحياء التراث العربي، ط٤، بيروت:١٤٢٠هـ-٢٠٠١م.

٨٥- المفصل في صنعة الإعراب ،لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، بعناية الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت:١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨٦- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر ، الدكتور محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الازهرية ، ط٢، ١٩٨٧م.

٨٧- الموفي في النحو الكوفي ، صدر الدين الكنغراوي الاستاذ بنولي (ت ١٣٤٩هـ) شرح وتعليق محمد بهجة البيطار، ط المجمع العلمي العربي بدمشق.

٨٨- النحو العربي ، الدكتور إبراهيم إبراهيم بركات ، دار النشر للجامعات، مصر : ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٨٩- نزهة الالباء في طبقات الادباء، لأبي البركات الانباري(ت ٥٧٧هـ) تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، ط١، بغداد: ١٩٥٩.

٩٠- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري(ت ٨٣٣هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت، (ب، ت).
٩١- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي(ت ١٣٣٩هـ)، باعتناء: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٩٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق : عادل احمد الموجود وجماعة، ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

جدل التاريخ والرّواية
في جنوب غرب طروادة جنوب شرق قرطاجة
لإبراهيم الكوني

الدكتور أحمد الجوة

استاذ التعليم العالي/ في جامعتي صفاقس/ تونس

وجامعة الملك عبدالعزيز/ جدة

الملخص:

نتناول في هذا البحث مسألة التعالق بين الرواية والتاريخ وهي مسألة إنشائيّة تخصّ الكتابة الروائيّة التي دشّنها جرجي زيدان في عدد من رواياته وتابعه في ذلك المسلك عدد من الروائيّين العرب (نجيب محفوظ – جمال الغيطاني – رضوى عاشور – محمد الباردي)

نخصّص حيّزا واسعا لرواية إبراهيم الكوني الروائي اللّيبي الّذي اِشتهر باستقدام عالم الصحراء إلى عالم الرواية وكتب في ذلك عددًا من الروايات. لقد استعاد تاريخَ الطوارق في الصحراء الليبية الكبرى، وذكر عددا كبيرا من أسماء الأعلام والأمكنة والنباتات فيها، وأنشأ عالما روائيا زاخرا بالصراعات أساسُه التخييلُ.

أوضحنا ذلك الجدل بين التاريخي والروائيّ في هذا العمل القصصي الضخم وأبنّا ما حواه من مواقف وقيم تخص عشق الوطن وقيمَ التسامح ومحبة الشعر، وتوقفنا عند أداء الرواية وما قدّمته من خطاب روائيّ مشبع لغة شعريّة متدفّقة وهذا ما أضفى عليها قيمة أدبية كبرى.

الكلمات المفاتيح

تخييل – استرفاد – الطوارق – الصحراء – التسامح – شعرية السرد

مداخل إلى المسألة

١- الرواية والتاريخ

ليس استرفاد الرّواية العربيّة لوقائع التّاريخ ومصنّفات المؤرّخين عمليّة اختصّ بها الرّوائيّ الليبي إبراهيم الكوني في هذا العمل القصصيّ. لقد سبقه إلى ذلك عدد من الرّوائيّين يُعتبر جرجي زيدان رائدا لهم وسابقا عليهم وإن كان عبد الرزاق عيد لا يقرّ بفضل كبير لهذا الكاتب إذ يقول "لكنّ التّاريخ المكتوب روائيا عند -زيدان- لم يكن إلا مستودعا للأسماء والأزياء والحكايا والسّير التي تهدف إلى الإمتاع والتّسلية والتعلّم وتقريب التّاريخ إلى وعي النّاشئة بأسلوب جذّاب ومشوّق لحفظ وقائعه وأحداثه".[١]

وعلى الرّغم من هذا الحكم الذي يبدو – في تقديرنا مغاليا- مثّل استرفاد الرّواية للتاريخ مسارًا قصصيّا ولجه عدد من الأدباء العرب ذكر منهم هذا الدّارس رئيف خوري وسعد الله ونّوس وزكرياء تامر وحنا مينه ونبيل سليمان[٢] ويمكن أن نضيف إليهم نجيب محفوظ وعبد الرّحمن منيف وجمال الغيطاني وإلياس خوري ورضوى عاشور وواسيني لعرج والبشير خريّف والحبيب بولعراس.

يثير استدعاء الرّواية والمسرحية والقصيدة للتاريخ بمختلف أزمنته قضيّة المقاصد الجمالية والغايات الفكرية والسياسيّة وقد أثار محسن يوسف في بداية كتابه عددًا من الأسئلة الخاصّة بهذا المنحى في الكتابة فقال:

---

[١] الرواية والتاريخ، دراسة في مدارات الشرق، الدكتور عبد الرزّاق عيد – محمد جمال باروت، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاّذقية، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص ٨.

[٢] نفسه، ص ص ٨-١١.

- ما الغاية من الاتّجاه إلى التاريخ في الفنّ؟

- هل تعني محاولةَ تجنّب الصّدام مع الرّاهن؟

- هل هي إضاءة فترة تاريخية لم يُولها التّاريخ ما تستحقّ؟

أم أنّ الغاية هي إعادة كتابة التاريخ وسرد أحداثه، في عمليّة نسخ جديدة للحفاظ على صورة الماضي؟.(٣)

تبدو لنا هذه الأسئلة مهمّة وتقتضي الإجابةُ عنها تدبّر المدوّنة الرّوائيّة العربية التي استدعى فيها أصحابها التاريخ أحداثا وشخوصا ووقائعَ وذلك للإبانة عن مقاصد هذا الفنّ القصصيّ.

ويستوقفنا في هذه المداخل إلى المسألة التي نروم تناولَها بالبحث أمرُ المصطلح الذي يُستخدم في تنميط الرّواية التي تسترفد التاريخ، فهل نطلق عليها "الرّواية التاريخية" كما فعل محسن يوسف، وهل نقبل ما عرّفها به لمّا قال "فالرّواية التاريخية هي نصّ إبداعيّ أوّلا وأخيرا، ليس عبدًا للتاريخ أو تابعا. هو تاريخ وإبداع معا، تفاعلا واتّحدا وأنجبا صيغةً أكثر تعقيدًا وأعمق تأثيرا، هي مزيج من الفنّ والتاريخ والخصوصيّة والرّؤى، ووجهات النّظر".(٤)

لقد أظهر كاتب المقال الخاص بالرّواية التاريخية في "قاموس الأجناس والمفاهيم الأدبية" طبيعةَ هذه الرّواية وأكّد أنّها تبرز الصّلات القائمة بين فرد من الأفراد والتاريخ أو الحركيّة الاجتماعيّة، وتبرز التّناقضات بين الطّبقات

---

(٣) محسن يوسف، نحو ملحمة روائية عربية، دراسة في مدارات الشرق، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاّذقية، الطبعة الأولى ١٩٩١، ص٥.

(٤) نفسه، ص١١.

وبين الشّعوب وبين الأديان وما يكون من إزاحة لهذه وصعود لتلك وإيجاد لوضعيات درامية.(٥)

وحدّد مؤلّفو "قاموس الأديب" هذه الرّواية بأنّها "تمثّل نمطا من أنماط الرّواية تكون فيها الشخصيات والوقائع التاريخية ليست ممزوجة بالخيال فحسب بل تقوم بدور أساسي في سيرورة (جريان) القصّة".(٦)

والحقيقة أنّ المقال الذي كتبه محمد القاضي في "معجم السرديات" يقدّم عددًا من الأفكار الضابطة لهذا النّمط القصصي نشأةً وطبيعةً ومن ذلك أنّ الرواية التاريخية لم تظهر بمعناها الإِصطلاحي إلاّ في الغرب مطلعَ القرن التاسع عشر مع والتر سكوت (١٧٧١-١٨٣٢)، ومع الحركة الرومنسية التي اهتمّ أصحابها بالبطولات القومية وسعوا إلى إبرازها، وأنّها رواية يتجاذبها هاجسان هما الأمانة التاريخية ومقتضيات الفنّ الرّوائي، وأنّ صلتها بالحاضر صلةٌ متينة، وأنّ النّاقد المجري "جورج لوكاتش" الذي نشر كتابه "الرواية التاريخية" قد استمدّ مفهوم الانعكاس من النظرية الماركسية فاعتبر كاتب الرواية التاريخية لا يلتفت إلى الماضي إلا من خلال قضايا حاضره.(٧)

---

(5) Dictionnaire des genres et notions littéraires, Encyclopaedia universalis, Albin Michel, 1997, p. 662.

(6) Le Dictionnaire du Littéraire, Paul Aron et autres, PUF, 2002, p. 530.

(٧) معجم السرديّات، إشراف محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلّين، الطبعة الأولى ٢٠١٠، ص ص ٢١٠-٢١١.

يتحصّل ممّا تقدّم أنّ الرواية عموما والرّواية التاريخية بوجه أخصّ عمل مفتوح على أنماط تعبيريّة من قبيل الرّسالة والوثيقة والشهادات الحيّة يلتقطها الرّوائيّ من أفواه من عاشوا الأحداث وكان لهم دور بارز في مسارها[٨] ولهذا تعتبر نمطا قصصيّا آكلا لهذه الأنماط على نحو ما كانت عليه "المقامة" في الأدب العربي القديم لما حوت الشعر والنادرة والحكمة وانتزعت من الشعر وجوها من بلاغته.

ولما كانت وقائع التاريخ متشعّبة وأحداثه متفرّعة ومتوزّعة بدا اِستدعاءُ الرّواية للتاريخ محفوفا بالمزالق غير مأمون العواقب ولهذا تعيّن على من يسلك هذا السبيل في التأليف أن يتجنّب عثرات المسير وأن يحسن التدبير والقسمة على نحو ما أشار إلى ذلك ابن طباطبا العلوي في معرض حديثه عن اِضطرار الشّاعر إلى اقتصاص خبر في شعره.[٩]

ولمّا كان استرفاد الرّواية للتّاريخ ظاهرةَ تأليف مشتركة بين عدد من الرّوائيّين العرب عقدنا هذا البحث للنظر في نموذج مخصوص برواية اِبراهيم الكوني مواصلةً لبحثين أنجزنا أحدَهما لتجلية وجوه التعالق بين الرواية والتاريخ في "باب الشمس" لاِلياس خوري، وخصَصْنا ثانيهما بـ"كتاب الأمير" لواسيني لعرج.

---

[٨] نجد في رواية "باب الشمس" لاِلياس خوري إفادة من شهادات شفوية لمن عاشوا نكبة التهجير من فلسطين سنة ١٩٤٨، ونجد في رواية "الزيني بركات" لجمال الغيطاني الرسائل والمقتطفات والنداءات.

[٩] كتاب عيار الشعر لابن طباطبا، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلاّم، دار الشمال للطّباعة والنشر والتوزيع، طرابلس (لبنان) ١٩٨٨، ص ٥٦.

٢- إبراهيم الكوني والتاريخ

عُرف عن الرّوائيّ اللّيبي إبراهيم الكوني شغفه الكبير بالصّحراء الليبية واهتمامه المتنامي بهذا الفضاء الجغرافي الشّاسع الذي خصّه بعدد وفير من الرّوايات[١٠]. لكنّ الكوني عدل عن هذا المسار الذي تميّز به دون سائر الرّوائيّين العرب المعاصرين ليلج فضاءً آخر لا يقلّ عن الصحراء شساعة وامتدادا في الزمان لا في المكان ولهذا تخيّر التاريخَ مادّة يستقي من أنساغها العوالم الممكنة التي يؤلّف بها الرّواية وينشئ من عناصرها متخيّله الرّوائيّ. إنّ القرينة الأولى الدالّة على هذا التوجّه الجديد في المسيرة الإبداعية لهذا الرّوائيّ متوفّرة في عنوان هذا العمل القصصي الذي جارى به المؤلّف جريان الأحداث في التاريخ وتعاقب الواقعات التي يُخبر عنها هذا المجال الذي يتنازعه العلم والفنّ.

---

[١٠] أصدر الكوني الرّوايات الآتية : + المجوس في جزئين + رباعية الخسوف + نزيف الحجر + التبر + السحرة

وظهرت مدوّنته الرّوائية فيما بين سنتي ١٩٩٠-١٩٩٥ وتناولت زهرة سعدلاّوي هذه المدوّنة في رسالة دكتوراه نشرتها بعنوان "أساطير الصّحراء ونداء الحرية في الكتابة الرّوائية عند إبراهيم الكوني" وصدرت عن مركز النشر الجامعي (تونس) سنة ٢٠١٢. واختار "توفيق بكّار" عددا من نصوص هذا الرّوائيّ وخصّها بمقدّمة عنوانها: "أنا الطرقي... أو منطق العناصر الكونية" انظر: إبراهيم الكوني، من أساطير الصّحراء، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٦ وممّا جاء في هذا التقديم "ومن أيّ باب دخلنا إلى هذا الأدب، إنْ قصّة قصيرة أو رواية مطوّلة لا نجد إلاّ الصحراء ولا شيئا عداها، فهي مادّته الأولى ومناط الفكرة، المهاد وأفق الرؤيا..." ص١١.

ليس ذكر طروادة وقرطاجة في العتبة الأولى لهذه الرواية سوى شهادة على اِسترفاد هذا العمل القصصي واقعات ضاربة في قديم الزمان بما أنّ "طروادة" مدينة قديمة في غربي تركيا الآسيوية وتقول الأساطير إنّ اليونان حاصروها عشر سنوات وجرت عندها الحروب التي عرفت بحرب طروادة بين سنتي ١١٩٣–١٨٨٤ قبل الميلاد وقد تغنّى هوميروس بهذه المعارك في الإلياذة. وأمّا قرطاجة فهي مدينة قديمة في خليج تونس عُرفت في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد على غرب البحر المتوسّط، واشتهرت بالحركة التجارية النشيطة لأهلها وعرفت التنافس بين أسرها الكبيرة ممّا أدّى إلى الاِنقسام وكان الرّومان خصوصا ألدّاء للقرطاجنّيين ودارت بين الفريقين الحروب البونيقية الأولى والثانية والثالثة ومن أشهر قادة قرطاجة نذكر "أميلكار" و"حنّبعل".

واختيار المؤلّف هذا العنوان بالذّات مؤشّر على اختيار ليبيا مجالا للصّراعات التي وقعت في غابر الزّمان في المدينتين وللصّراعات التي نشبت في حاضر الوقت القريب. وليس اِسترفاد الرواية للتاريخ مادة للكتابة القصصية نهجا اختطّه الكوني بمفرده في زمن الرّواية العربية وإنّما هو سبيل سلكه غيرُه من الرّوائيّين ابتداء من جرجي زيدان الذي يُعدّ مؤسّسا لهذا المنزع في التأليف الرّوائيّ مرورا بأعلام أُخر من أمثال رضوى عاشور ونبيل سليمان وعبد الرحمان منيف والبشير خريف واِلياس خوري وواسيني لعرج[١١].

---

[١١] كتبت رضوى عاشور "ثلاثة غرناطة" وكتب نبيل سليمان "مدارات الشرق" (٤ أجزاء) وكتب منيف "مدن الملح" (٥ أجزاء) وكتب خريف "برق الليل" وكتب اِلياس خوري

والجامع الذي ألّف بين هؤلاء الروائيين أنّ وقائع التاريخ البعيد والقريب من زمن الكتابة نسبيا هي الخيوط التي نسج بها الكتاب أعمالهم وحاكوا بها نصوصهم التي ظلّت منشدّة إلى عالم الأدب وهذا مخالف لعدد آخر من الرّوائيّين وجدوا في قصّة حياتهم وسيرة ذواتهم مادّة صالحة لكتابة السيرة الذاتية ورواية السّيرة الذاتية على ما بين هذين النمطين القصصيّين من اِختلافات أبان المهتمّون بالسّرديات حقيقتَها وكشفوا طبيعتها.

ولئن بدا استرفادُ الرّواية وقائعَ التاريخ وأحداثه ومكوّنات المادّة التاريخية التي تشمل الشخوص وأسماء الأماكن والمعارك التي دارت فيها وتسمّت بها أحيانا، اِسترفادًا ميسورا يكفي المؤلف قراءةُ المصنّفات التاريخية واستقدام بعضَ ما حوته من معلومات فإنّ الأمرَ ليس على هذا النحو في الإستسهال وفي تقرير التعويل على مادّة ليست من صلب الأدب ومن طبيعة الفنّ القصصي.

إنّ ما تحدّث به الدّارسون من تخييل التاريخ ومن ترهين لوقائعه على نحو ما فعل جمال الغيطاني في رواية "الزيني بركات" لمّا اِستدعى مصنّف محمّد بن اِياس (بدائع الزهور في وقائع الدّهور) يستدعي حسنَ التأليف بين ما أقامه الناقد الفرنسي جيرار جينيت من تقابل بين السرد الوقائعي والسرد التخيّلي ومحصّل الأمر في نظره أنّ القصّة المسرودة في النوع الأوّل تُقدّم

"باب الشمس" وكتب لعرج "كتاب الأمير" وسيرة المنتَهى في جزئين وجعل لها تسمية رواية سيريّة.

على أنّها حقيقيّة بينما تكون في النّوع الثاني مختَرعة أنشأها من تولّى قصّها أو من أُنيطت به مهمّة إيرادها.(١٢)

وإذا كان الرّوائيّ يتخيّر فترة تاريخية بعينها يستمدّ من أحداثها ووقائعها لُحمة نصّه وسداه فإنّه لا يعيد المواد التاريخية أحداثا وشخصيات وحيّزات بالطريقة التي يقدّمها بها المؤرّخ ولا يستعيد الوقائع مثلما وقعت فعلا وإنّما يتصرّف في إيرادها ويغيّر في تقديمها على وجه تبدو به مرجعية وغيرَ مرجعية ويضفي عليها من صنيع تخيّله ما تبدو به عوالم ممكنة وعوالم متخيّلة. ومن علامات التخييل التي ضبطها جينيت التبئير الدّاخلي الكاشف لذهن الشخصيات والتبئير الخارجي الذي يُمتنع فيه عن ذكر سمات داخلية لهذه الشخصيات.(١٣)

والإشكال الذي يواجه كتّاب ما اصطلح على تسميته "رواية تاريخية" هو إحلال المرجعي في الرّوائيّ وإيجاد ضروب من التفاعل بين وقائع يمكن التثبّت من حدوثها بالعودة إلى مصنّفات المؤرّخين والمعالم الأثرية الباقية،

---

(12) Gérard Genette, Fiction et diction, Seuil, Paris 1991, p. 67

وقد أدرج جينيت في السّرد الوقائعي (factuel) التاريخَ والسيرةَ والمذكّرات الحميمة والسرد الصحفي، وتقرير الشرطة وسرد النص القضائي وأمّا السرد التخيّلي فهو سرد تكون فيه الاِنقطاعات الزمنية غير متعيّنة. وقد ختم جينيت مناقشته لـ"هارنشتاين سميث" بالقول إنّ السرد التخيلي والسّرد الوقائعي لا يتمايزان باستخدامهما للاِنقطاعات الزمنية ولا بالطريقة التي يعلنان بها عنها.

(١٣) معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ص ٧٨.

و"وقائع" نصيّة قد تكون من ابتداع الروائيّ المؤلّف بين وثائق التأريخ ومعطيات التخييل.

- تقديم الرواية

نشير قبل هذا التقديم إلى أنّ هذا النصّ القصصيّ المطوّل لم يحمل ما يؤشّر إلى جنس الكتابة التي ينتمي إليها إذ لم نجد على الغلاف الخارجي كلمة رواية على نحو ما ألفناه من تحديدات أجناسية لنصوص الأدب تضبط هويتها الإبداعية وتوجّه تقبّلها لدى القرّاء. والإشارة الأولى إلى طبيعة هذا العمل القصصي واردة في تقديم سيف المري[١٤] وأمّا الإشارة الثانية فتضمّنها تقديم وجيز بقلم نواف يونس[١٥]، ولم يسعَ المقدّمان إلى ضبط النمط القصصي لهذه الرواية بما أنّ الرواية أنماط منها رواية السّيرة الذاتية ورواية المغامرات والرواية الاِجتماعية ورواية الأطروحة، لكنّ سيف المري يذكر أنّ الكوني اختار البعدين التاريخي والوطني لتكون ساحة الأحداث ليبيا، وأما نواف يونس فيؤكّد أنّ الكوني نجح في خلق وقائع وأحداث وشخصيات تبتعد بالمتخيّل عن التأريخ من خلال مسحة تراجيدية.

هاتان إضاءتان لعالم هذه الرواية يستدلّ بهما القارئ وهو يجوس مجاهل هذا النص الذي بلغ من الطّول مدًى بعيدا فامتدّ على أكثر من ٦٠٠ صفحة من الحجم الصغير.

---

[١٤] جنوب غرب طروادة، جنوب شرق قرطاجة، كتاب دبي الثقافية، الإصدار ٥٣، سبتمبر ٢٠١١، ص ٤.

[١٥] نفسه، ص ٧.

إذا تجاوزنا تينك الإضاءتين الخاطفتين وجدنا عددا من النصوص الموازية لنصّ الرواية وهي ثلاث:

١- الإهداء: وهو موجّه إلى شهداء ملحمة السابع عشر من فبراير وفيه ثناء على هؤلاء الأبطال لأنّهم "لم يروا يوما في الوطن غنيمة فجادوا بأنهار الدم ليبعثوا فيه القيمة"[١٦] ولا يحتاج هذا الإهداء إلى كبير تدبّر لأنّه واضحُ المناصرة لتمرّد اللّيبيّين على حكم معمّر القذافي الذي عمّر طويلا، وقويّ الدّلالة على فهم عميق لحقيقة المواطنة.

٢- قولة لجان جاك روسو لا يحدّد "الكوني" مصدرها ومحصّلها أنّ التاريخ مليء بالطّغاة والحروب ومكائد أهل الكيد، وفي هذه الرواية علامات دالّة على قوّة الصّراع بين القوى الداخلية والقوى الخارجية في ليبيا في بدايات القرن التاسع عشر. إنّ هذا النصّ الموازي يؤشّر إلى ما سيدور من صراعات عنيفة بين تلك القوى.

٣- مقتطف من "المنهل العذب" لأحمد النائب والظاهر أنّه مصنّف في تاريخ ليبيا الحديث يسرد فيه صاحبه وقائع هذا التاريخ وما كان من انقراض بيت آل قرمانلي.

لكأنّ نصّ جان جاك روسو إبانة عن حقيقة التاريخ الكوني وأنّ نصّ أحمد النائب استدلال بالتاريخ الليبي الحديث على تلك الحقيقة. والنصان

---

[١٦] الرواية، ص٩، وسنحيل صاعدا على "جنوب غرب طروادة، جنوب شرق قرطاجة" بـ"الرواية" للاِختصار.

الموازيان يشتركان في تنزيل العالم الروائي الذي بناه الكوني في الفضاء الممتدّ للتاريخ.

يمتدّ هذا النصّ من الصفحة الثالثة عشرة إلى الصفحة الواحدة والثلاثين بعد الستمئة وفيها أثبت المؤلّف مكان وزمان كتابته لهذه الرواية[١٧] وقد جعلها أقساما ثلاثة امتدّ أوّلها وتقلّص ثانيها وبدا ثالثها أقلّ طولا من الأول[١٨]، ولم يستخدم "الكوني" الفصول داخل هذه الأقسام وإنّما جعل لأجزاء كلّ قسم رقما متبوعا بعنوان واسمٍ، ولم تكن الأجزاء داخل كلّ قسم بادية الطّول وإن تفاوتت أحجامها بحساب عدد الصفحات واحتلّ بعضها حيّزا نصيا ممتدّا نسبيّا.[١٩]

إنّ بناء الرّواية بهذه الأقسام الثلاثة الكبرى وبالأجزاء الكثيرة المكوّنة لكلّ قسم يبدو بناء مستحدَثا إذا ما قورن بالبناء المألوف في الرّوايات تقسّم عادة إلى فصول مرقّمة، وإذا ما اعتبرنا الأجزاء التي بلغ عددها اثنين وتسعين جزءاً بمثابة الشذرات المتفرّعة عن تلك الأقسام. وهي إذ تتعاقب سريعا لما يتقلّص حجمها ويقلّ عددُ الصفحات التي تشغلها تبدو شبيهة باليوميّات التي يتخيّر فيها كتّاب هذا النّمط التدويني أبرزَ أحداث اليوم على

---

[١٧](غولد يفيل (الألب السويسري) أكتوبر ٢٠١٠ – مايو ٢٠١١ م)

[١٨] امتدّ القسم الأوّل من ص ١٣ إلى ص ٤٠٥، وامتدّ القسم الثاني من ص ٤٠٧ إلى ص ٤٩٣، وامتدّ القسم الثالث من ص ٤٥٥ إلى ص ٦٣١.

[١٩] المثال على ذلك نصّ "الأسر" في القسم الأول (ص ص ٢١–٣٠) ونصّ الحكم في القسم الثالث (ص ص ٥٣٦–٥٤٥) ونصّ "الزوال" في القسم الثالث (ص ص ٥٢٢–٥٣٥) ونصّ "الختام" في القسم الثالث (ص ص ٦١٦–٦٣١).

سبيل التبئير وإبراز الأهمية. والناظر في هذه الأجزاء من جهة عناوينها يجدها متقلّصة الحجم فلا يتجاوز نصّها المفردةَ الواحدة ترد إشارةً خاطفة إلى المدار الذي تتحرّك عليه كلّ شذرة. إنّنا إزاء ما يشبه الأيقنة أو إنشاء مجسّمات شبيهة بما تحويه لوحة الفسيفساء تختلف عناصرها لكنّها تتآلف وتتفاعل لبناء اللوحة.

واختيار هذه العنوانات ذات الكثافة والاختزال في الآن نفسه مؤشّر على حذق الكتابة الروائية وحسن هندسة النصّ المطوّل هذا إذا اِستثنينا لفظ "الختام" في عنوان آخر الشّذرات النصيّة المكوّنة لجسد الرواية. إنّ الختام كالخاتمة في أيّ عمل فهو قفل له ودليل اكتمال، ولكنّ هذا الوسمَ مؤشّر أيضا على ما نال يوسف علي القرمانلي من هوان وعوز ماديّ فضيع أصاباه في آخر أيّامه ومؤشّر أيضا على تلك الجنازة البائسة التي جعلت أحد المارّة يصيح : "أيعقل أن تكون هذه جنازة باشا؟ هراء!".[٢٠]

يتحصّل مما تقدّم أنّ بناء الرواية محكم الحلقات وأنّ عالمها القصصيّ يتوسّع في الاِستدلال على ما ورد في النصّ الموازي لما نقل المؤلّف مقتطفا من "المنهل العذب" فيه سرد لما نال بيت آل بيت قرمانلي من مصائب.[٢١]

---

[٢٠] الرواية، ص ٦٣٠.

[٢١] "وخمدت نار الحرب، وبلغت كلّ نفس مُناها، وقتل محمد بك القرمانلي نفسه، وفرّ أخوه أحمد بك إلى مالطا، وأُرسل علي باشا القرمانلي إلى الأستانة العلية (أسيرا) وانقرض بيت آل قرمانلي"، ص ١١.

لقد استعاد الكوني أطوارا من سيرة هذه العائلة الحاكمة في ليبيا أوردها النصّ المرجعي شديدة الإختصار وأجرى عليها ضروبا من التّأليف القصصيّ استوت به الرواية معمارا ضاجّا بالحركات والحوارات والتأمّلات.

- اِسترفاد الرواية لعناصر التاريخ

أ- كثافة التواريخ وأسماء الأماكن

لئن أشّرت الرّواية منذ عنوانها إلى التاريخ الضارب في القدم بذكر طروادة وقرطاجة فإنّها نزّلت الأحداث والوقائع والشخصيات في سياق التاريخ الحديث في ليبيا أي في بدايات القرن التاسع عشر وفي إطار الصراع بين المملكة الليبية والقوى الخارجية التي تروم الهيمنة في البحر والبرّ بواسطة البوارج الحربية وقناصل الدّول الأجنبية ولهذا تواترت أسماءُ الربابنة والضبّاط والقناصل من جهة وأسماءُ من حكم هذه البلاد وذُكرت أماكن جغرافية واقعة داخلها.

والظاهرة اللافتة للناظر في هذه الرواية والدّالّة على استرفادها كثيرا من الإحالات التي تبدو مرجعية هي وفرةُ التواريخ في بدايات الشذرات القصصية داخل الأقسام. لقد أحصينا ما يقارب من الستّين تاريخا مثبتا تحت العنوانات الموضوعة للشّذرات النصيّة ووجدنا الحيّز الزمني الحاضن لأحداث الرّواية متراوحا بين سنتي ١٨٠٣-١٨٤٥، ولم ترد هذه التواريخ دائما بحسب التسلسل الزّمني والتتابع الخطّي الذي يعتمده المؤرّخون عادة في سياقة الأحداث وترتيب الواقعات، فالمؤلّف يتابع أحيانا حركة الزمن في تسلسل

حلقاتها ويقطع هذا التسلسل أحيانا[٢٢] وهو "يؤرّخ" تدقيقا لمزيد الإيهام بمرجعيّة الأحداث فيحدّد الساعة والدّقيقة أيضا على نحو ما هو بيّن في عناوين عدد من الشّذرات[٢٣] وهذه كيفية في تقديم الأحداث والحوارات والشخصيات يمعن بها المؤلّف في الإيهام بواقعية المسرود والحرص على إيقاع التصديق في نفس المسرود له (لهم).

ولمّا كانت الأحداث في الأعمال القصصية مؤطّرة في الزّمان فإنّها تشغل الأمكنة والحيزات فيتعاضد الزمان والمكان لمزيد التأطير والإيهام بالطبيعة المرجعية للحدث في كلّ عمل قصصي ولهذا وجدنا المؤلّف يسوق أسماء الأمكنة القائمة على البحر وعلى اليابسة. وبما أنّ الصّراع الأساسيّ في هذه الرّواية كان محتدّا بين المملكة الليبية والأسطول الأمريكي الذي يضرب حصاره على شواطئ المملكة ألفينا حشدا من أسماء الأماكن في أرض الصراع وخارجها أيضا.

يستأثر "بحر ليبيا" بالذكر والحضور في مواطن كثيرة داخل الرواية فيرد في فاتحة القسم الأوّل أسفل العنوان الواسم للشّذرة النصية (١- الدّيْن، بحر

---

[٢٢] المثال على احترام التسلسل الزمني وتعاقب السنوات وارد في الصفحات ١٥-٢١-٣١—٦٦-٧٠-٧٧-٨٠-٨٤-٨٨-٩١-٩٦-١٠٧-١١٠-١٢٢-١٢٩ والمثال على عدم احترامه وارد في الصفحات ١٥٠-١٥٧-١٦٥-٤٩٧-٥٠٨-٥١٢-٥٤٦-٥٨٤-٥٨٩.

[٢٣] انظر الصفحات ٦٢-٦٦-٧٠-٧٧-٨٠-٨٤-٨٨-٩١-٩٦ وجميع الشذرات مؤرّخة بـ ٣١ أكتوبر ١٨٠٣.

ليبيا أكتوبر ١٨٠٣) ويتواصل ذكره تباعا في مطلع الشذرات[٢٤] بصيغة التعميم هذه (بحر ليبيا) أو ببعض التحديد من قبيل (قبالة صخرة الخالوصة)[٢٥] أو (بحر ليبيا متن البارجة "فيلادلفيا")[٢٦] أو (شطآن بحر ليبيا)[٢٧] أو (بحر ليبيا – مالطة) [٢٨] أو (مرفأ المدينة)[٢٩] وقد يكون الحيز الحاضن للحدث على اليابسة قريبا من البحر وهذا من قبيل (درنة – حصن الساحل)[٣٠] أو (بحر ليبيا مرفأ طرابلس).[٣١]

إنّ كثرة الذّكر لهذه الحيّزات البحريّة أو المشرفة على بحر ليبيا تفسّرها طبيعة الحدث المحوري في الرّواية وتعقّد الصّراع بين المقاومين والسّاعين إلى الحصار والغزو. واعتمادُ المؤلّف هذه الكيفية في تنزيل الأحداث داخل الحيزات المذكورة بالتسمية وبالموقع الجغرافي يصيّرُ عملَه القصصيَّ المطوّلَ شبيها بلقطات كاميرا متحرّكة سريعةِ الإنتقال من إطار إلى آخر تسلّط الأضواء على ما ينقل من مشاهد وحركات ومحاورات.

---

[٢٤] انظر الصفحات : ١٥-٣١-٥١-٦٢-٦٦-٧٠-٧٧-٨٠-٨٤-٨٨-٩١-٩٦-٢٣٦-٢٥٤-٢٥٨-٢٦٣-٢٧٠-٢٧٧-٢٨٩-٢٩٢-٢٩٨-٣٥٢-٣٥٩-٣٨٠-٣٨٦-٦٠٣.

[٢٥] ذكر هذا الحيز المائي بالصفحات : ٨٤-٨٨-٩١-٩٦.

[٢٦] ص ٥١.

[٢٧] ص ٣١.

[٢٨] ص ٢٣٦.

[٢٩] ص ٢٩٨.

[٣٠] ص ٤٨٧.

[٣١] ص ٦٠٣.

لم يقتصر تأطير الأحداث في رواية الكوني هذه على ذكر الفضاء الشاسع الذي يحاذي التراب الليبي وإنّما تجاوزه إلى فضاء آخر ظاهر الاِمتداد ونعني به الصّحراء اللّيبيّة الواسعة وكأنّ المؤلّف دائم الاِنشداد إلى هذا العالم الذي رام أسطرته في عدد من رواياته وشديد الهوس به على الرّغم من قلّة ذكره لهذه الصّحراء في أثره هذا.

ورد الاسم الواسم لليابسة الشاسعة ثلاث مرّات مشفوعا في أولاها بنوع من التحديد :

- الصحراء الليبية، واحة مرزق قصر والي فزّان ١٨٠٣م
- ١٧ مارس الصّحراء الليبية ١٨٠٥
- الصحراء الليبية أبريل ١٨٠٥م[٣٢]

ويبدو أنّ هذه الأمكنة –على قلّة ورودها في الرّواية– أتاحت للرّوائي إفساح المجال لمخيّلة القصّاص كي تمارس نشاطا خلاّقا لا يمكن أن نجد له صدًى في مصنّفات المؤرّخين بما أنّ الواحة التي تمنح الإنسانَ الطمأنينة والراحة شهدت دخول "سيدي محمد الشريف" في بحر من الظّلمات.[٣٣]

وكما أطّرت الرواية أحداثها في البحر والصّحراء بما يرمزان إليه من اتّساع لا محدود، اختار مؤلّفها حيّزات أخرى منها "طرابلس" التي احتضنت

---

[٣٢] الرواية، الصفحات ١٥٧ – ٤١٧ – ٤٤٩.

[٣٣] الرواية ص ص ١٥٧–١٦٤. لقد أصيب هذا الوالي – بعد هجعة القيلولة– بالعمى وحار الدراويش في مداواته فانقلب يمارس الجَلْد ويتعاطى ألوان المجون وآل به الأمر إلى وضع اليد على مكوس باشا طرابلس والاستيلاء على تجارة القوافل.

وقائع القصّ داخل البلاط وقصر السراي (جناح الحريم) وقد تعاود ذكرها مرّات بسبب منزلتها السياسية.[٣٤]

إنّ الصراع الذي استحكم بين قوى الدّاخل الليبي وخارجه والذي تعدّدت أطرافه قد جعل عالم الرواية منفتحا على أمكنة بعيدة عن المملكة الليبيّة؛ لأنّها مصدر تحريك لذلك الصّراع ولهذا ذكرت نابولي[٣٥] وواشنطن مرّتين[٣٦]، لأنّ الولايات المتحدة الأمريكية هي الطّرف الرئيس في الحرب مع طرابلس وهي التي تجهّز أسطولها في هذه الحرب.

يتحصّل من هذا الضّبط للأمكنة ذات الدّلالة المرجعيّة والمعروفة بأسمائها ومواقعها الجغرافية أنّ الروائي قد أحاط ذكرا بالحيّزات والفضاءات التي كانت بؤرَ الصّراع الداخلي على السلطة والصراع الخارجي بين القوى الليبية والقوى ذات الأهداف التوسّعية. ولئن سكت المؤرّخون غالبا عن تقديم الأمكنة الخاصّة والحميمية داخل قصور الحكّام والأمراء والسّلاطين فإنّ الكوني خيّر ولوجها وكشف ما يدور داخلها من ألوان الصّراعات والمواجهات والدّليل على هذا أنّه كثيرا ما أطّر الأحداث والمحاورات والنّزاعات على النفوذ السياسي في البلاط أو السّراي وفي جناح الحريم تحديدا والأصل ألاّ ينفذ قلم المؤرّخ إلى هذا المكان خشية ورهبة أو تقديرا وتبجيلا للمتحصنين به وصونا لأعراضهم.

---

[٣٤] الرواية، الصفحات : ١٦٥-١٧٢-٤٢١-٤٥٥-٤٩٧-٥٠٨-٥١٣-٥٤٦-٥٨٤-٥٨٥-٥٨٩-٦١٦.

[٣٥] ص ٣٣٧، (نابولي – مقر حكومة المملكة، أبريل ١٨٠٤).

[٣٦] ص ١٢٢ (مقر وزارة الخارجية)، ص ١٢٩ (البيت الأبيض).

وجدنا في الرّواية موضعيْن تسلّل فيهما السّاردُ كليّ المعرفة إلى دخائل الأبنية والنفوس. فأمّا الموضع الأوّل فهو الشّذرة المعنونة بـ"السلالة"[٣٧] وفيها حوار بين يوسف باشا ووالدته مداره على أخيه محمد والرغبة في إقصائه من تولّي العرش، وأمّا الموضع الثاني فهو الشّذرة الموسومة بـ"الوطن"[٣٨] وهي تقدّم خواطر "للاّ عيشوشة" وهي تعاين الإنزال من الأسطول الرّهيب المكوّن من جيش من السفن (٢٢ سفينة) والذي أعدّه نجيب الباشا لمواجهة أخيه محمّد بك بمساعدة الإمبراطورية العثمانية وتتجاوز عددا من الخواطر والتأمّلات لتنقل وجوها من العلاقة الرابطة بين الإيالات العثمانية والسلطة المركزية في الأستانة ومن كيفيّات العزل والتولية للعرش.[٣٩]

إنّنا لا نجد عناية للرّوائيّ بكثير من الأمكنة التي ذكرها في رؤوس الشذرات القصصية فلا تتحدّد معالمها ولا تبين أوصافُها؛ لأنّ الكوني ليس روائيا واقعيّا تهمّه خصائص المكان ومر موزاته ولهذا لا يظهر المكان في روايته هذه إلاّ باعتباره بؤرة تشِعّ منها الأحداث والخواطر والتأمّلات وتتوقّد صور الصّراع الذي تخيّره مدارًا للعمل القصصيّ وهذه ظاهرة في التأليف يقترب بها النصّ المطوّل من مصنّفات المؤرّخين الذين لا يهتمّون بالمكان والزمان إلاّ بوصفهما حاضنتين لمصير الإنسان وحيّزيْن تتعقّد داخلهما حركة الصّراع الذي يخوضه مجبرا أو مخيّرا.

---

[٣٧] الرواية، ص ٤٩٧ (السلالة، البلاط، جناح الحريم، يناير ١٨١١م).

[٣٨] نفسه، ص ٥٩٥ (الوطن، طرابلس، السراي الحمراء، جناح الحريم ٢٨ مايو ١٨٣٥م).

[٣٩] انظر تفاصيل ذلك في الصفحات ٦١٠-٦١٥ وتحديدا عزل علي باشا.

- تخلّل الخواطر والتأمّلات لمجريات الحادثات

تُعدّ هذه الظاهرة البنائيّة للرّواية الحلقة الفاصلة والواصلة بين ما هو مرجعي وما هو تخيّلي شديد الاِرتباط بصنعة الرّواية ومكسبها هويتها الأدبية. والحقيقة أنّ هذا التخلّل والتداخل بين ما وقع فعلا وما هو من عالم الاِحتمال مسألة إنشائيّة نبّه إليها "أرسطوطاليس" في "كتاب الشعر" لما عقد مقارنة بين الشعر والتاريخ وأبان الفرق بين المؤرّخ والشاعر فقال "ذلك أنّ المؤرّخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعرا والآخر يرويها نثرا (...) وإنّما يتميّزان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي وقعت فعلا، بينما الآخر يروي الأحداث التي يمكن أن تقع، ولهذا كان الشعر أوفرَ حظّا من الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ".(٤٠)

وإذا كان أرسطو في هذا الموضع من كتابه يعني الشّعر الإغريقي – وهو شعر تمثيلي أساسه المحاكاة في المأساة والملحمة والملهاة– فإنّنا نستعير هذه المقارنة المعقودة بين الواقعي والمحتمل لدى هذا الفيلسوف ونستعيد ما صدّرنا به عملنا بالإحالة على ما ذكره جيرار جينيت من فروق بين السرد الوقائعي (factuel) والسرد التخيّلي (fictionnel).

لسنا ندّعي في هذا الحيّز من البحث تقصّي جميع المواضع التي تخلّلت فيها التأمّلات والخواطر وحتى الهواجس حركة القصّ في هذا النصّ الممتدّ مئات الصّفحات وإنّما سنكتفي بما بدا لنا منها عميق الدّلالة على فعل

(٤٠) أرسطوطاليس، فنّ الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقّق نصوصه عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة، بيروت (د.ت) ص ٢٦.

التخيّل وعلى "روائية" الرّواية أي على هذا البعد الذي تُوفّي به الأدبَ حقّه من لطيف العبارة وبعيد الإشارة ومن غوصٍ في أعماق الذّات البشرية وتملّ لحالاتها وما تواجهه من أوضاع عصيبة.

أ- التأمّل في الذّات البشرية

تخيّرنا أنواعا من التأمّلات الكثيرة الواردة في نصّ الرواية وأوّلها تضمّنه نصّ "الاستسلام" في بدايات القسم الأوّل. ويعنينا هنا ما تحدّث به الملازم "جونز" منقولا على لسان السارد بضمير الغائب ومحصّل هذه الوقفة التأمّلية التي استرسل بها الخطاب القصصيّ هي عدم اعتراف المخلوقات بأمراضها المميتة ورغبة الإنسان في الموت لأنّه "لا يفعل منذ ميلاده إلى يوم مماته إلاّ ما يعلم أنّه سيبيد جسده؛ لهذا السبب اخترع التدخين والخمورَ والأفيون واللذّات جميعا ليقينه الخفيّ بأنّ هذه السموم هي أهون الحيل في التنصّل من الجسد".(٤١)

لقد أتاح مثلُ هذا الاِعتراف للشخصية القصصية التي قد يكون لها أصل مرجعي في مصنّفات المؤرّخين والإخباريين تحليلَ ما يمكن عدّه بقايا من خطيئة بشرية ونفاذًا إلى طبيعة الإنسان يسعى بيديه إلى الفناء ويستشرف الهلاك. ويواصل الساردُ العليم بخفايا النفوس وطواياها إجراءَ الكلام مسترسلا وبطريقة غير مباشرة لإظهارِ لا جدوى القوانين في تطبيب مرض الجنون ومداواة روح الإنسان، وتأكيد "أنّ المحاكم لم تخلق لتجير المظلومين أبدًا، ولكنّها قامت أصلا لتبرّئ ساحة المجرمين".(٤٢)

---

(٤١) الرواية، ص ٩٢.

(٤٢) الرواية، ص ٩٣.

إنّ هذا الكلام المجرى على لسان السّارد يمثّل نوعا من الإِستبطان تشترك به الرّواية مع التحليل النفسي في كشف الأغوار والبواطن وتختلف عن هذا العلم لأنّها تنزع إلى التعميم والإطلاق فلا تكون معالجتها لأمراض البشرية مقتصرة على حالات مرَضيّة فرديّة وإنّما تتجاوزها إلى مطلق التحليل وبعيد التعميمات.

ب- نعيم الحرية وجحيم السجن

يمثّل التأمّل في الوضعيّتين المتناقضتين وجها آخر من وجوه الأفكار والخواطر التي تتخلّل سياقات الرّواية وتنقذها من ضغط الإحالات المرجعية التي تكون عمادَ المصنّفات التاريخية. والمثالُ الأبرزُ دلالة على هذا التفكّر في المنزلة البشريّة ما دار من كلام بين القبطان "بريبل" مع عدد من الضبّاط على متن الفرقاطة "فكسن" في الشّذرة الموسومة بـ"أوليس" في عرض بحر ليبيا.

لقد نبّه القبطان إلى خطر الإستهانة بالأوامر وعصيان التعليمات وإلى ما يؤدّي إليه هذا الخطر من فرار إلى سفن الغرباء يصير نزيفا للسّلاح البحري وسفن الأسطول. يتولّى السّارد نقل أفكار هذا القبطان الذي يتأمّل وضعية البحّار على ظهر الباخرة التجارية وعلى متن البارجة البحرية التي يعاني البحّارة داخلها الإحساسَ المضاعف بالمكوث في السّجن؛ لأنّها زنزانة محكمة في سجن منيع. وعندما يفكّر "بريبل" في عملية الفرار من سفينة للإِستجارة بجوف سفينة أخرى يقدّم الوضعية قائلا "إنّ الفرار من سفينة للإِستجارة بجوف سفينة أخرى ليس سوى إِستبدال سجن بسجن، بل إِستبدال زنزانة هنا بزنزانة هناك. ولكن في الإِنتقال يسكن سحر، في استبدال القيد

بقيد آخر إغواء لا يقاوم. إنّ متعة العبور من متن إلى متن آخر (...) لا تعادلها متعة في الدّنيا على الرغم من الخطر المحدّق بالمجازفة. إنّ السّباحة في مياه البحر هنا أثناء العبور إلى العالم الآخر (...) يعادل [في نظر مريدِ الفرار] السباحة في مياه المطهّر المؤدّي إلى ضفاف الفردوس".[٤٣]

والحقيقة أنّ متابعة أفكار هذا القائد العسكري ومن أبرزها أنّ نعيم الفرار مشروط بفقدان الحرية وأنّه نعيم آدم المكبّل بالتحريم، يفسح المجال أمام الروائي حتّى يتخفّف من قيود المرجعية التاريخية ويحرّك آلة الكتابة الرّوائية، ثمّ إنّ هذه الوقفة التأمّلية تُلمع إلى خطبة طارق بن زياد لما رام فتح الأندلس ورام تحميس جنوده وبثّ روح الإقدام في نفوسهم، وتعقد أواصر القربى بين وضع قائم زمن الرواية في بدايات القرن التاسع عشر ووضع مستدعى بالذّاكرة عندما تُذكر جيوش "أجاممنون" التي جاءت لضرب الحصار حول طروادة[٤٤] ويُذكر "أوليس" الذي استطاع الاِحتيال لإدخال الحصان إلى حصون طروادة، وعندما يؤكّد النقيب "ديكاتور" أنّ طرابلس هي طروادة الشاطئ الرابع[٤٥] فينعقد التناصّ بين نصّ هوميروس ونصّ الكوني ويكون البحرُ فضاء المواجهة في سالف الأزمان وفي الزمان القريب.

---

[٤٣] الرواية، ص ٢٣٨.

[٤٤] نفسه، ص ٢٤٣.

[٤٥] نفسه، الصفحتان ٢٤٦-٢٤٧.

ت- السّلطان والطّغيان

تنفتح رواية الكوني على جملة من القضايا التي تستدعي التفكّر والتملّي في التحليل فلا يكون عالمها فضاء البحر أو الصّحراء وإنّما فضاء الذّهن ولهذا يرد الحوار بين الشّخصيّات فيها مشبعا بالمقاطع الراسِمة لمسالك النّظر والبصر بالوضعيّات البشريّة الحارقة.

حين يلتقي على متن الزورق التاسع في أسطول "بريبل" كلّ من "كالدويل" آمر القارب و"سبنس" صاحب المدفع ويدور بينهما حوار بخصوص باشا طرابلس والسرّ الموجود فيه يعلو النقاش بينهما فيشمل أولياء الأمر ويبلغ حدّ الإقرار بأنّ "الحكم محاكاة ما لحكم الحاكم الأعظم"[(٤٦)] وبأن الحاكم في نظر الناس خليفة الربّ في الأرض وأنّه كذلك في نصوص الشرائع حتى لو كان طاغية. إنّنا إزاء نوع من التفكير السياسي الذي نجده في مؤلّفات الأحكام السّلطانية وفي كتاب "ماكيافلي" ولهذا تتعدّد المواضع التي يقيم فيها السارد المحاورات بين الشخصيات ولذلك نلقى في الشّذرة الموسومة بـ"القيامة" في القسم الأوّل من أقسام الرّواية حوارًا بين قبطان البحرية الأمريكية المتنكّر في سربال ربّان السّفينة التجارية، وأحد البحارة (كاتالانو) وكان منطلقه معرفة السّبب الذي دفع إلى محاربة باشا طرابلس أهو تهديدُه حرية الملاحة أم ممارسة الطّغيان بما هو شرّ وامتلاك ما ليس قابلا للاِمتلاك.

---

(٤٦) الرواية، ص ٣٨٩.

وحين يسترسل الحوار بين الرجلين يتساءل البحّار عمّا إذا كان الطّغيان انتحالا لصلاحيات الربّ فيقرّ الربّان بأنّه انتحال لصلاحيات تفوق صلاحيات الربّ "لأنّ الربّ لم يمتلك الإنسان على الرغم من أنّه هو علّة وجود الإنسان".[٤٧]

ليس يخفى أنّ هذه المقاطع الحوارية تؤشّر من بعيد إلى تسلّط عدد من الحكّام على رعاياهم وإلى حاكم بعينه مقصود بهذا الكلام، كما تقدّم للنصّ تهوئة تجعله وفيّا لجنس الرّواية ومتخفّفا من ثقل المرجع بانفتاحه على هذه التأمّلات التي تجعل الرّواية "نصّا كليّا".

ومن أمارات هذا الإنفتاح ما جاهر به الباشا بحضور الطبيب "كوذْري" من رأي في إغواء العرش وإغراء النفوذ السياسي. لقد عبّر الباشا في آخر النصّ المعنون بـ"المستنقع" عن هذه الشّراهة لمّا استعاد مراسم جلوس أبيه على العرش فقال "كنت أتسلّل ليلا لأجلس في جوفه فأتخيّل نفسي معبودًا لا عبدا (...) كان الجلوس في العرش واعدا، واعدا، واعدا"[٤٨] ولكنّ الباشا قد تنبّه إلى غواية السّلطان لما ختم كلامه بهذه العبارة المصوِّرة "بلى! العرشُ ما هو إلا مستنقع من عسل".[٤٩]

لقد تعدّدت التأمّلات في وضعيات الحكم ومنازل السّلطان؛ لأنّ مدار الرّواية على الصّراع بين القوى السياسية داخل ليبيا وخارجها صراع مستحكِم

---

[٤٧] الرواية، ص ٢٧٩.

[٤٨] الرواية، ص ٤٢٦.

[٤٩] نفسه ص ٤٢٦.

وقويّ ولهذا يفتح السّارد المهيمنُ في أغوار النصّ وفي الفعل القصصي كُوًى واسعة يُطلّ منها القارئ على خبايا النفوس وعلى أوضاع احتمالية قد تجد فيها بعضُ الشخصيّات ملاذا من جحيم "العرش اللئيم" بحسب عبارة الباشا في حواره مع الطّبيب "كودري".

أقامت "للاّ حواء" في النصّ الموسوم بـ"الحنين" وفي سياق حوارها مع "محمد بك" مفاضلة بين رحلة الصّيد ورحلة الحرب فقالت "رحلة الصّيد أنبل مئة مرّة من رحلة الحرب"[٥٠] واعتبرت أنّ الحرب هي الضرّة الحقيقية لكلّ النّساء وأنّ المرأة أدهى من أن ترى بطولةً في أن يقتُل الرّجل رجلا أو أن يُقتل بيد رجل مهما كانت الأسباب، وتساءلت في حيرة عن تفضيل الرّجال أن يكونوا طعاما للحرب إذا كان بإمكانهم أن يستبدلوا الحربَ بالصّيد.[٥١]

إنّ الحوار المطوّل بخصوص هذه المسألة وبخصوص طبيعة الرّجال التي تُحتّم عليهم أن يحكموا إذا أرادوا البقاء على قيد الحياة بحسب ما عبّر عن ذلك "محمّد بك". حوارٌ يبدو أقربَ إلى فعل التخيّل لأنّه مشبع بالتأمّل الذي لا تفسح له الوثيقة التاريخية مجالَ الظّهور ولا ينفذ إلى أغواره المؤرّخ الذي يروم بناء الحقيقة التاريخية على نحو ما كانت عليه في الزمن الذي يؤرّخ له.

---

[٥٠] نفسه، ص ٤٣٩.

[٥١] نفسه، ص ص ٤٣٩-٤٤٠.

ث- الدّعوة إلى التّسامح وصيانة النفس البشريّة

لئن أظهر الحوار بين "محمد بك" ووالدته اعتقادَه القويّ بضرورة الحرب تحقيقا لقيمة الرّجولة فإنّ مواضعَ أخرى داخل هذه الرّواية تقدّم الرأيَ المناقض بالدّعوة إلى التّسامح خاصّة إذا اختلفت الدّيانة والمعتنقون لها. تبرزُ هذه الدّعوة في النصّ المعنون بـ"الرأس" وفيه حوار بين "اِيتون" ومساعده "أوبانون" الذي استشاره في أمر الرّسالة التي أراد إرسالها إلى والي درنة "مصطفى بك" ومما تضمّنه نصُّها هذا المقطع "آمل أيضا ألاّ يدفعكم اختلاف الدّين إلى سفك دماء رجال لا يكنّون لكم حقدا لإيمانهم بأنّهم لا يعبدون وإيّاكم إلاّ الربّ الواحد الأحد. وما اختلاف الدّيانة سوى اختلاف في الطّريقة المؤدّية إلى المعبود، لا الاختلاف في وحدانية المعبود".[٥٢]

كلامٌ مثل هذا يندرج في ما يعرف بالحوار بين الأديان وبالتّسامح الدّيني بعد أن استشرى الصّراع بين المعتنقين للإسلام واليهوديّة والمسيحيّة وسادت أنواع من التعصّب لكلّ ديانة. ولئن بدت صيغة هذه الدّعوة في الشّاهد السّابق غيرَ مكتسية أردية الفنّ بما حوته من تصريح بالفكرة فإنّها تظلّ منفتحة على قيمة إنسانية منشودة.

ترتبط الدّعوة إلى التّسامح بالحرص على أرواح البشر وصيانتها وهذا ما تؤكّده المقاطع الحوارية في النصّ المعنون بـ"الإنتقام" في بداية القسم الثالث من أقسام الرواية. ينقل السّارد ما قام به الباشا من تسليم ابنه "محمد بك" الفرمان القاضي بتنظيم الحملة التأديبية لإخضاع قبائل الشرق وما سلّطه

---

[٥٢] الرواية، ص ٤٦٥.

الابن من قسوة ووحشية على هذه القبائل التي انتفضت ضدّ جور والي درنة واضطُرّت بسبب ذلك إلى الاستجارة بالجارة مصر هربا من بطش جند المكوس. ولمّا عاد من رحلته ظافرا كما ظنّ واجهه الباشا بقسوة مستنكرا : "وهل تُسمّي استئصال الرعيّة نصرا؟" وأمطره بوابل من أسئلة التوبيخ : "هل أرسلتك كي تؤدّب القبائل نيابة عنّي، أم أرسلتك لتشتيت شمل القبائل؟ هل أرسلتك لتعيد العُصاة إلى الطّاعة أم أرسلتك كي تبيد العصاة؟"[٥٣] إنّ هذه المواجهة العنيفة تكشف مدى حرص الباشا على حقن الدّماء كلّما وجد إلى ذلك سبيلا واعتقاده أنّ السّيفَ لم يُخلق ليسقط رؤوس الرعيّة وإنّما خُلِق لإرهاب أبناء الرعيّة.

والحقيقة أنّ هذه الوقفات التأمّلية في رواية الكوني لا تختلف عمّا تضمّنته روايات عربية سابقة من قبيل "باب الشمس" لِإلياس خوري، وكتاب الأمير لواسيني لعرج. ففي الرواية الأولى يدعو الطبيب الذي يشخّص مريضَه الواقعَ في بئر الغياب (الكوما) إلى النظر في مرآة التاريخ ويتساءل عمّا قامت به الحركة الوطنية الفلسطينية لما كان الوحش النازي يقوم بإبادة اليهود في أوروبا[٥٤]. وأمّا في الرواية الثانية فإنّ الحرص على صيانة النّفس البشريّة والنقمة على التفريط فيها موقف بارز في الحوار الذي دار بين الأمير عبد القادر والقائد ابن التهامي بعد أن سمع الأميرُ تفاصيل حادثة

---

[٥٣] نفسه، ص ٥٠٥.

[٥٤] "باب الشمس"، دار الآداب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٢٩٠ وانظر لمزيد التوسّع مقالنا التاريخي والإنشائي في "باب الشمس" لإلياس خوري، مجلّة فصول (القاهرة)، العدد ٦٣، شتاء وربيع ٢٠٠٤، ص ٢٩٨.

الذّبح للأسرى الذين جُزّت رؤوسهم بطريقة بالغة البشاعة فواجه هذا القائدَ محتدِما : "أعطيتك مسؤولية حماية المساجين وليس ذبحهم".[٥٥]

تكشف هذه المواقف في الرواية العربية وجوها من تفكير الكتّاب في قضايا الإنسان يقع فريسة للحرب والأسر ووطأة المكوس وتبرِز الحوارات فيها حدّةَ المواجهة لألوان التعدّي على الكرامة البشريّة وتصدّي بعض القادة لتلك الأفعال المشينة. إنّ الرواية بما هي عمل أدبي يشترك مع المصنّفات التاريخية في التوسّل بالسّرد والتأريخ للواقعات، تمتاز من كتب التاريخ بهذا الوعي الإنساني الرّهيف فلا تكتفي بعبارات وجيزة ظاهرة الحياد من المسرودات ومن تقديم الوقائع وإنّما تُظهر انحياز كتّابها إلى الإنسان يسلّط عليه القهر والإِمتهان وتداس كرامته وتُفنَى حياته ومن هذا الجانب يتأكّد سموّها عن التاريخ كما ذكر ذلك أرسطو في "كتاب الشعر".

ج- الإعلاء من مكانة الشّعر

يبدو هذا الإعلاء سيرا ضدّ تيّار نقدي بَشّر بزمن الرّواية واعتبرها ديوان العرب حاضرا ولكنّ رواية الكوني تورد ما يؤكّد مكانة الشّعر ووظيفته. عُرض الحديث في الشعر في واحد من نصوص القسم الثالث من أقسام الرّواية وهو بعنوان "الانتقام" جاء تاليا لنصّ "السلالة" وفيه حوار بين علي

---

[٥٥] واسيني لعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحرّ، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٣٥٩. وانظر مقالنا "تفاعل التاريخي والرّوائي في كتاب الأمير لواسيني لعرج"، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر) العدد الثاني، جويلية ٢٠١٠.

يوسف باشا ووالدته بخصوص أخيه محمّد الذي يكون جلوسه على العرس فأل سوء على السّلالة في تقدير الباشا لأنّه شاعر. لقد رام هذا الأخ إعلاء شأن الأشعار؛ لأنّه آمن إيمانا عميقا بالقران الحميم بين الشعر والبطولة، وبين الشعر والفروسية وعدَّ قولَ بيت شعر حقيقيّ تحدِّيا يعادل في جرأته قهرَ جيش وربّما قهرَ جيوش البشرية بأسرها.[٥٦]

لقد حلّل السّارد عمليّة توليد بيتِ الشّعر الحقيقي فعدّها مشروطة بقربان جسيم يلفظ فيه صاحب الشعر نصيبا سخيّا من روح، بل إنّه ذهب إلى تحميل السّفلة جريرة تدنيس معجم اللغة وتعطيل الإدراك لمعنى الرّوح وأظهر السّارد نفسُه –بضرب من التحالف مع هذه الشخصية– مفهومَ فحولة الشعر من خلال ما قام به محمد من تعسّف وبطش بقبائل الشرق.

هل تعيدنا هذه الأفكار والأفعال المبثوثة في هذا النصّ إلى سيرة الشعراء الصعاليك الذين يجمعون بين الإغارة والتغنّي بالغزو والبطش من جهة وتصوير "مناقبهم" في قصائدهم أم تذكّرنا بفروسية عنترة بن شدّاد وأبي الطيّب المتنبّي وهما من الشعراء الفرسان؟

لسنا ندرك على وجه الصّواب قراءة هذه الأفكار والأفعال التي قام بها ابنُ السُّلالة لردّ الاعتبار إلى نشاط الشعر وفاعليّة القصيدة، ولكنّنا نجد أن هذا التأمّل والتحرّك على هذا المدار وجها من وجوه التخفّف من صرامة المراجع ومن ضغط الإحالات لإكساب النصّ المطوّل والحافلِ بأسماء الأماكن والأعلام حيويّةَ الأب وحركيّة التّخييل.

---

[٥٦] الرواية، ص ٥٢٩.

ح- صلات الآباء بالأبناء في عالم أصحاب السّلطان

تثير هذه الصّلات قضيّة الصّراع بين الأجيال بسبب الإختلاف في النّشأة والتربية وتخرج الرّواية عن التوثيق والإحالات المرجعيّة لما يطرح السّارد هذه القضيّة في النصّ الموسوم بـ"الزّوال" وهو يُفتتح بذكر مجون الباشا وتعجّب مصطفى غيوركي صهر الباشا من هذا السّلوك المردود إلى الملل والتصابي لاستعادة الزمن الضائع.

ولمّا تواصل الحوار بين الشّخصيّتين يذكر الباشا أنّ السّلطان ليس سمّنا الوحيد ولكن هناك الأبناء ويقرّر هذا الحكم "أنّ أبناء أصحاب السّلطان ليسوا سمًّا مرّة واحدة ولكنّهم سمٌّ ألفُ مرّة.[٥٧]

لقد تبسّط السّارد على لسان هذه الشخصيّة في تناول تلك الصّلات فاستعاد ما كان من تقاتل بين أبنائه وعبّر عن خشيته من أن يرتكب محمّد بك أبشع الجرم بقتل الأب ويذكر كيف استغفله يوما فوجّه إليه طعنة من خِنجره كادت تصيبه لولا يقظة أحد الخدم وكيف أرسله واليا على شرق البلاد بدلَ الإقتصاص منه.

لقد استرسل الباشا في كلام مطوّل يفسِّر به لماذا يستطيع الابن أن يطعن الأب حتى الموت في حين لا يستطيع الأب أن يطعن الابن أو أن يخدشه مجرّد خدش[٥٨] وهو بذلك الكلام يستعيد أسطورة أوديب في الميثولوجيا الإغريقية : فبينما لم يخلق الابن في الدّنيا إلاّ لقطع دابر الأب

---

[٥٧] الرّواية، ص ٥٢٩.

[٥٨] نفسه، ص ٥٣٠.

ومحوه من الوجود، لم يُخلق الأب إلاّ ليخلِف الابن بوصفه غاية وجوده وضمان خلوده ومقاومة الفناء. وقد رأى الباشا أنّ ذلك وهمٌ بثّته الطبيعة في الآباء وأنّه خرافة رديئة يشترك في تصديقها والسعي بمقتضاها إلى الإنجاب جميعُ الآباء. وليست قوانينُ الوراثة في الأنظمة الملكية سوى انتصار لهذه الخرافة بحثا عن خلود الآباء وخلود العروش.

لكنّ مأساة الآباء والأبناء ملوكا تبدأ حين يريد الآباءُ الملوك أن يكون أبناؤهم الملوك امتدادا أبديا لأشخاصهم يتصرّفون بموجب أفكار الآباء وعقولهم وهويّتهم فيتقمّصون هوية الآباء، وحين يرفض الأبناء – الملوك هذه الشروط يعدونّها مكيدة لئيمة لمحوهم(٥٩) ينشب ما سمّاه الباشا صدام الحياة أو الموت ويعدّه أشدّ ضراوة بين أشرس عدوّين.

تبسّطنا في إيراد ما صارح به الباشا صهره من صراع بين الآباء والأبناء وما قدّمه أسبابا لهذا الصّراع بين الآباء والأبناء الملوك، وذلك لإبراز ألوان التأمّلات وحالات الذّوات البشرية. فحين تهدأ الحركة الدرامية في الرواية بعد أن تبلغ مداها الأقصى تنفتح الرّواية على الحركة النفسيّة التي تنفذ إلى أغوار الشخصيّات وبواطن النفسيّات فتصير أشبه بالصّحائف التي يطالع فيها القرّاء حقيقةَ ذواتها ويغوصُ في تلافيف أفكارها ورغباتها الدّفينة وهذا مسلك في التأليف تجانبه مصنّفات المؤرّخين وكتب الإخباريين يكتفون في ذكر هذا الصّراع داخل العائلات المالكة بالقول إن الملك فلان اعتلى العرش سنة كذا بعد أن ثار على حكم أبيه وانقلب عليه فلا يستطردون إلى

---

(٥٩) نفسه، ص ٥٣٣.

مثل هذه التأمّلات التي توقف سرد الأحداث ونقل الوقائع وتُصيّر الكتابة مرآة عاكسة للنفوس ودخائلها وللذّوات ونوازعها.

خ- عشق الوطن والتفنّن في هواه

ليس يخفى أنّ هذه الرواية تحرّكها أوجاع الاغتراب التي يعانيها مؤلّفها منذ أن اضطرّ إلى الإقامة خارج ليبيا قبل أن يستقرّ في سويسرا، فلا غرو أن يكون النظر في مسألة الوطن من أبرز الوقفات التأمّلية في هذا النصّ الذي استعاد فيه صاحبُه أوضاع الحصار البحري الذي ضربه الأسطول الأمريكي على سواحل بلاده بمشاركة "الجبل العائم" وهو الوصف الذي نعت به السارد في مفتتح الرواية البارجة الحربية "فيلادلفيا".[٦٠]

لقد تخيّر الكوني "الوطن" عنوانا لإحدى الشّذرات الأخيرة في الرواية والتي تتصدّرها إطلالة "للاّ عيشوشة" زوجة يوسف باشا على الإنزال البحري الذي أعدّه باشا طرابلس لترهيب العصاة واستغرابها من "جيش السّفن" وتدفّق الخلق من بطون تلك الجبال الخشبية واستنجادها بسيدي الشنقيطي[٦١]. إنّ نشوبَ الخلاف بين الشّقيقين هو القادح للتأمّل في مسألة الوطن وللمقارنة المعقودة بين حبّها الخالص له وتصارعِ الأخوين عليه. تبسّط السّارد -وهو ينقل خواطرها- في تقديم مفهومها للوطن وهو مفهوم منزّه عن المصالح والمنافع؛ لأنّها "أحبّته لا لشيء إلاّ لأنّه وطن"[٦٢] وقد عقدت هذه المتكلّمة

---

[٦٠] الرواية، ص ١٥.

[٦١] نفسه، ص ص ٥٩٥-٥٩٦.

[٦٢] نفسه، ص ٥٩٨.

الصّلة بين حبّ الإنسان لغيره وحبّه للوطن بل إنّ حبّ الإنسان للإنسان مشروط بحبّ الوطن وحبَّ الله مشروط أيضا بحبّ الوطن بل إنّ الإيمانَ بالله لا يكون متحقّقا إذا انعدم حبّ الوطن.

ولمّا كان الحيّز الجغرافي الذي تلتقي به هذه المرأة بالوطن هو البحر فإنّها تعبّر عن عشقها وولعها الشّديد ببحر ليبيا الذي رأته عجبا وبسماء هذا الوطن وهي شديدة الصّفاء. إنّ خواطرها وهي تتملّى جمالَ البحر تمنح لغة الرّواية أبعادًا شاعرية وتنشئ ما يشبه التّوازي بين العشق الصّوفي والعشق الشعري للمكان. لقد صار النّطق بعبارة "بحر ليبيا" شبيها بالتعويذة "التي كانت لها عزاء في سجنها الأبدي وراء الجدران"(٦٣)، وصار خطابُ السّارد المداخلِ لأغوار نفسها وعمق وعيها الوطني حافلا بالتصوير بمثل هذا المقطع المفعم تغنّيا وأنفاسا حرّى : "فهي لا تسمع كلمة ليبيا تجري على لسان إلاّ ويستجيب لها قلبها بخفقة تتوعّد بأن تذهب بروحها. ولكنّها لا تفزع بذهاب روحها إذا كانت الخفقة سبيلا إلى ذلك الوجد الذي يدعو دراويش القادرية أن يطعنوا صدورهم بالسكاكين كي يروا الله! هي أيضا تقفز مع قلبها، تقفز مع روحها ما أن تسقط كلمة (ليبيا) في أذنها فيستولي عليها مسّ الدّراويش، فتتمنّى أن تملك شجاعتهم فتستلّ النّصل لتغرسه في قلبها لترى ليبيا، لترى رُوح ليبيا، لترى الله الذي تخفيه ليبيا!".(٦٤)

---

(٦٣) الرواية، ص ٥٩٩.

(٦٤) الرواية ص ٥٩٩..

هكذا تَشِعّ لغة الرّواية وتصفو عبارتُها وتُشحن بطاقة من التصوير الذي يُضفي عليها الشاعريّة وتختفي الإشارات التاريخية والعلامات المرجعية وتغدو صلةُ الإنسان بالمكان صلة مجازيّة شبيهة بالصّلة الناشئة بين الخالق والمخلوق في التجربة الصوفية التي يحياها أتباع الفرقة القادرية.

ليس مرأى البحر وحده ما يشرع لغة السّرد على المشاعر الفيّاضة بعشق المكان، فالسّماء بزرقتها الأخّاذة تحرّك فعل التصوير في هذا النصّ تباعا فيلتقي المشهد بقرينه وتتآلف صورة البحر وصورة السّماء التي تغدو مطلقة الصّفاء : "ليس البحر وحده ما يوقظ الظّمأ إلى الوطن، إلى طرابلس، إلى ليبيا ولكنّ مرأى السّماء أيضا. سماء زرقاء، عميقة الزرقة، مجبولة بأي صفاء لم يوجد له تحت قبّة السّماوات مثيل، إنّه صفاء سماء ليبيا".[٦٥]

وعندما يشتدّ بالمرأة وجدُ الوطن وتعيش أحوال المواجد تنكر وجودَ صفاء مثل صفاء ليبيا ووجودَ سماء مثل سمائها ووطن في الدّنيا مثل ليبيا بل إنّ "تجديفها" يذهب بها إلى أبعد مدى لمّا تقول "لا وجود لربّ إلاّ ربّ ليبيا".

إنّ هذه الأناشيد المرفوعة لذات الوطن والتّهليلَ بذكره في ما يشبه التسابيح قد تخيّرها السّارد الناطق باسم المؤلّف في تلك الشّذرة الواردة في آخر الرّواية لتأكيد الوعي الوطني الحادّ الذي تكنّه هذه المرأة محبّة صافية لطبيعة ليبيا بحرًا وسماءً، وليس يخفى أنّ هذا القران بين البلاد والمرأة كثيرُ الدّوران في نصوص الشعر الوطني في مدوّنة الشّعر العربيّ المعاصر إذ بدا

---

[٦٥] نفسه، الصفحتان ٥٩٩-٦٠٠.

التماهي بين أنوثة المرأة وأنوثة البلاد وعُدّت المرأة حافظة لهويّتها وصائنة لحاضرها ومستقبلها.

٧- شاعريّة الكلام الرّوائي

ليست شاعريّة الكلام مقصورةً على الشّعر الذي تصفو فيه اللغة صفاءً وترقّ العبارة فتجري رقراقة. إنّ "حفيف اللغة" ممّا تشترك فيه أنماط من الكتابة منذ أن نازعت المقامة في أدبنا العربي القديم الشّعر ورامت أن "تُشعِّر" النّثر ليرتقي إلى مصاف الشّعر، وشاعريّة الكلام الرّوائيّ تعني أن يتخفّف النصّ القصصي من إيراد التواريخ وتفصيل الوقائع ومن الإحالة على مراجع الزمان والمكان وأن تحظى لغة الكتابة بالعناية والتجويد فتلتقي إنشائيّة النّثر بإنشائيّة الشعر.

تقصّينا المواضع التي نزع فيها المؤلّف إلى استصفاء لغة القصّ فوجدناها كثيرة، ولسنا ندّعي الضّبط الدّقيق لهذه المواضع وإنّما سيتعلّق مرامنا بما بدا لنا منها أبلغ دلالة على تشعير الكلام المنثور[٦٦]، وهذا ما أبان عنه الناقد الروسي ميخائيل باختين لمّا نظر في قضايا الإبداع الفنّي عند درستويفسكي وخلص إلى عدد من الأفكار التي تميّز كتابة هذا الرّوائيّ ومن أبرزها تعدّد الأصوات[٦٧]. وجدنا تشعير الكلام الرّوائي في الشّذرة

---

[٦٦] نستخدم هذا اللّفظ مقابلا للكلمة الفرنسية « Poétisation » وتوجد ترجمة أخرى لها هي "شعرنة" قياسا على "سردنة" « Narrativation » أي تحويل ما ليس سرديا سرديّا.

[٦٧] ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي، مراجعة الدكتورة حياة شرارة، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، بغداد، الدار البيضاء،

الخامسة الموسومة بـ"البحر"، ولا غرو أن تصفو لغة السّارد حين يرسل الكلام على لسان الربّان وهو على سطح البارجة "فيلا دلفيا" يتملّى مشهد بحر ليبيا "المدهش بعمق زرقته، الباعث على القلق بسكونه، المثير للأشجان في امتداده، الشاهد الأوّل على نكباته".[٦٨]

إنّ تقنية التوازي التي عدّها رومان جاكوبسن طريقة أداءٍ للكلام الشعري وخصّها بوافر عنايته في كثير من بحوثه الإنشائية[٦٩] تقنية عوّل عليها الكوني في الشاهد السابق وفي صياغة الكلام الرّوائيّ الذي يبدي فيه السّارد النّاقل لخطاب هذه الشخصية الأمريكية اِنبهاره بهذا البحر.

إنّ التولّه ببحر ليبيا تسوِّغه معاودة الكلام المنثور المحاكي لمنظوم الكلام في عيون النثر العربي القديم لدى التّوحيدي والمعرّي والنّفري وفي عدد من آيات القرآن الكريم. لقد تعاودت الجملةُ الإسمية المصدّرة بهذا المركّب الإضافي بضروب من المشاكلة والمقايسة يبرزها إخراج الكلام هذا المخرج :

- بحر ليبيا كان سرّا.
- بحر ليبيا كان سحرا.
- بحر ليبيا كان غموضا.

١٩٨٦، انظر الفصل الخامس الموسوم بـ"أنماط الكتابة النثرية، الكلمة عند دستويفسكي".

(٦٨) الرواية، ص ٥١.

(٦٩) انظر كتابنا "من الإنشائيّة إلى الدراسة الأجناسية" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، الطبعة الأولى أفريل ٢٠٠٧، ص ص ١٩٣-٢٠١.

- بحر ليبيا كان حنينا.

- بحر ليبيا كان عشقه الذي لم يحدث به أحدا.[٧٠]

ولـيس يخفـى أنّ هـذا الـنّمط مـن تـوازي البـدايات واحـتلال المسـمّى المعشوق صدارة كلّ جملة شبيهة بالسّطر الشعريّ قد حوّل الكلام المنثور مرسَلا في هيئة الشّعر ومشبَعا بالنفس الغنائي المتلاحق في مدّ متصاعد.

لا يكـاد التولّـه بـأرض ليبيـا يقتصـر علـى البحـر المولّـد للمشـاعر والخواطر. إنّ مشهد النخيل على اليابسة لا يقلّ إثارةً للعشق والهوى الخالص وهذا ما بدا في آخر الشّذرة الثامنة من خلال الحوار بين الربّان "بينبريدج" ومساعده "بورتو" وهما على سطح السفينة يواجهان الرّيح العاتية. لقد خُتِم ذلك الحوار بصوت السّارد يصوغ عبارة الشّخصية بأسلوب استعاريّ وشاعري : "أبصَر في هِبة القبس شريطا خفيّا مكلّل الجبين بحسان ترقص شعافها المكابِرة بهَوس كالوجد: تلك كانت نخيل تاجوراء تستجيب للعطية التي انتظرتها طويلا. ففرّ قلب المريد؛ لأنّ في قلب النقيب اِستيقظ الحنين إلى معشوقته الخالدة : اليابسة!".[٧١]

وعنايةُ الواصف في هذا النصّ بشجر النخيل لا تقلّ عن تولّعه بمشهد البحر : لقد حظيت هذه الشجرة باهتمام الكاتب يجري الكلام بصوت السّارد المداخل للشخصية ويتفنّن في إبداع الصّور تفنّنا لا يقِلّ عمّا يجوّد به الشعراء خطابَ القصيدة : يتبادل الربّان ومساعدُه النّظر في شأن الرّيح

---

[٧٠] الرواية، ص ٥١.

[٧١] الرواية، ص ٦٩، وانظر وصف السارد لانتظار النخيل غيث المفتتح، ص ٧٠.

وهبوبها ويُفسح السّارد مجال التأمّل لـ"بورتر" الذي تطلّع إلى الشاطئ المرصوص بصفوف النخيل فتقوم هذه الصورة التي تتشكّل بفعل الوعي والتخيّل "كانت الأشجار النّبيلة التي أنقذت الأجيال من الجوع تبدو من البحر، بقاماتها المكابِرة، كمردة الأساطير وقفت في طابور عمدا لردع العدوان القادم إلى الصّحراء دائما من البحر"(٧٢). هذه العبارات المصوّرة تقرب الكلام الرّوائي من الكلام الشعريّ وتؤكّد أنّ الرواية التي تسترفد التاريخ تلتفت بين الفينة والأخرى إلى طبيعتها كي تكون وفيّة لذاتها نمطا من الأنماط القصصيّة.

ومثلما يصطبغ وصف النّخيل بالجمال الأخّاذ وتوكل إليه مهمّة الدّفاع عن البلاد ضدّ كلّ تهديد تحظى "صخرة الخالوصة" التي تنتصب باستعلاء بالمكانة والمنزلة الرّفيعة فتحمي السّاحل من حملات السّفن المعادية.(٧٣)

وشاعريّة الخطاب الرّوائيّ تقوى حين تهدأ حركة الصّراع والمواجهة بين الأطراف المتحاربة فينفتح نصّ الرّواية على تصاوير الكلام وتجري العبارة مشبعة مجازا. اختار المؤلّف للشّذرة الحادية والثلاثين عنوان "الغبار" وأجرى الأحداث داخل بيت القنصل الطّريد "كاثكارت" فانعقد حوار لما تناول القبطان كتابا علاه الغبار وكان مدارُ الحوار الصراعَ بين الكلمة والفناء وهذه مسألة يقوم التخيّل ببناء مجالها وتُخلِّص النصّ القصصيّ من وطأة المرجع والإحالة وهذا بدليل قول القبطان الذي سرح في حلم: "الكتاب والغبار،

---

(٧٢) نفسه، ص ٧٢.

(٧٣) الرّواية، ص ٨٦.

حجاب الخلود ووعاء الموت، الزمن في ملحمة العراك مع الهباء، حُقّ للغبار أن يُقهر بيد الكلم، ولكنّ الهباء يكابر على الرغم من ذلك فيطارد الكتاب أينما حلّ...".(٧٤)

ثمّة مواضع كثيرة في هذه الرّواية تستحقّ أن يطلّ عليها القارئ ليستطلع ما حوته من نفيس التعابير وجديد الإستعارات. والغالبُ أنّ هذه الوقفات التعبيرية التي يصفو بها الخطاب الرّوائيّ ويزدهي تُحرِّكها مشاهدُ الطّبيعة في بحر ليبيا وفي سمائها وعلى أديم أرضها، لكنّ الرّواية تجاوز في أوصافها حدودَ هذه البلاد بمقتضى المنطق القصصيّ وبسبب التصارع الدّاخلي والخارجي عليها.

تحرّكت الأحداث من ليبيا إلى جارتها مصر في النصّ الموسوم بـ"الدرويش" وهو من النصوص التي بدا حجمها مطوّلا(٧٥) ولهذا تصدّره تأطيرها في مقرّ إقامة الجنرال "وليام إيتون" في القاهرة وقد جرى فيه حوار بين المسؤول العسكري الكبير و"يوجين ليتنسدورفر" تخلّله بناءُ لوحة لنهر النّيل لما خطا "سليل الديبلوماسية العنيد" نحو النافذة المطلّة عليه. يقول السارد مشكِّلا هذه اللوحة موغلا في أنسنة هذا النهر العظيم: "خطا نحو النافذة المطلّة على النهر الهاجع في الحضيض، المغلول في عزلته الموجعة بالسّكون، فيبدو في استسلامه بحيرة سَخيّة تفترش الأسافل لتغذّيَ جذور الجدران التي تطوّقها من الجانبين، لتكتب بهذه الروح الزّهدية (التي كانت

(٧٤) الرواية، ص ٢٠٢.

(٧٥) امتدّ هذا النصّ من ص ٢٠٧ إلى ص ٢٣٥.

دوما خصلة الماء) سيرة الهبة الأسطورية التي كان لها الفضل منذ الأزل في إبداع هذا المكان وإبداع أهل هذا المكان".[٧٦]

لسنا نجد في هذه الصّورة ما نلقاه في مصنّفات المؤرّخين والإخباريين وفي الكتب التي يقدّم فيها الجغرافيّون "صورة الأرض" من معلومات تحدّد مثل هذا المعلم الطّبيعي الجبّار وتضبط أوساعَه وطولَ مجراه وإنّما تلوّن عبارةُ المؤلّف في هذا المقطع مشهدَ النّيل بأصباغ من الفنّ وتمتصّ أقوال السّابقين الذين لهجوا بعظمته، ومنهم المؤرّخ الاغريقي هيرودوت الذي عدّ مصرَ هبةَ النّيل والقائد الروماني "يوليوس قيصر" (١٠١-٤٤ ق م) الذي فتنته كليوباترا فجاهر باستعداده للتضحية من أجل جمالها. إنّ صوت السّارد المصوّر لعظمة النّيل يلتقي بأصوات المنبهرين بهذه الأعجوبة الطبيعية وينهي نشيده المرفوع إلى هذا النّهر مبرّرا ما حظي به على مرّ العصور من رفيع المنزلة وعظيم المقام، "لأنّ نهرا يخترق أعظم صحاري الدّنيا وأشدّها قسوة وغموضا دون أن يبدّد فيوضه لجدير بالهويّة الرّبوبيّة التي ألصقها به كهنة العالم القديم".[٧٧]

هكذا تنازعُ الرّواية الشعرَ في مقاطع كثيرة داخل الرّواية فتستعير منه بعض أدوات التعبير وطرائق الأداء التي ظلّت حكرا عليه ومنسوبة دوما إليه وهذا من قبيل العبارة المصوّرة بالاستعارات الطّريفة والتشابيه غير المألوفة ومن قبيل أبنية التكرار والتوازي التي يتحقّق بها للكلام الرّوائيّ وقع الشعر

---

[٧٦] الرواية، ص ص ٢١٧-٢١٨.

[٧٧] الرواية، ص ٢١٨.

وأثر في النفوس. لقد تجلّى هذا الحرص على تشعير الخطاب في آخر الشّذرة الموسومة بـ"الميعاد" وفي سياق الحوار الذي تمّ بين "ديفيد بورتر" و"ميز لتوب" المعروفة بـ"أستير طرابلس" وذلك في بيتها داخل "الحارة الكبرى".

أراد "بورتر" الإِستفسار عن سبيل للبقاء في هذه الدّيار بسبب إحساسه بالغربة فأبدت "ميز لتوب" استغرابها من ذلك فما كان من هذا الأسير إلاّ التعبير عن عشقه لهذه الدّيار بضرب من مناجاة الذّات ومن البوح والإسرار فجرى الخطاب شفيفا بمعاودة التركيب وأسلوب التقديم والتأخير لمقصد بلاغيّ غير خفيّ "

- في قلبي ظمأ إلى أرض بلون الزعفران
- في قلبي ظمأ إلى الأرض التي تنطق بوصايا السّلف
- في قلبي ... في قلبي ظمأ إلى وطن يتحدّث بروح العهد![٧٨]

لقد لاحظنا أنّ المقاطع التي تصفو فيها لغة الرّواية تجيء لمّا تجري الأحداث وتنعقد الحوارات على سطح البحر أو قريبا من هذا المدى المائي الشاسع. ففي نصّ "البعث" المؤطّر بـ"بحر ليبيا ١٦ فبراير ١٨٠٤م" يبدي كاهن البحار "كاتلانو موقفه من الطّبيعة التي تواجه الشجاعة ويسرح السّارد في وصف البحر وتفاعل السّماء ناقلا هذا المشهد الذي صاغه التخيّل القصصي "كان القبطان يختلس نحوه (كاتلانو) نظرات اِرتياب طوال الوقت

---

[٧٨] الرواية، ص ١٩٩ وقد كتبنا الشاهد على تلك الهيئة لإظهار خصائص البناء الشعري فيه.

ليسرح بصره عبر المدى المسربل بزرقة داكنة، تكاد تتحوّل سوادا حقيقيّا، اعتاد البحر أن يستعيرها كلّما استباحته الأعاصير لأمد طويل : كأنّها علامة خفية على بكارة. كأنّها اِستعادة لبكارة مفقودة يأبى هذا المجهول الرهيب المسمّى بحرا إلاّ أن يلقي بها هبة لمريديه، مكافأة لهم على صمودهم، أو شهادة منه على إكبارهم. السّماء أيضا تستجيب لنداء القرين الأرضي فتكتسب صفاء يستنزل في زرقتها (بعد البلبلة) عمقا، يستنزل أيضا بكارة يهديها بالمجّان لكلّ مريد تطلّع إلى أعلى طلبا لعزاء، أو بحثا عن حقيقة!".(٧٩)

مثلُ هذا اللقاء الحميميّ بين الماء والسّماء والنفاذُ القصصيّ إلى ما يجمع بينهما من قويّ التّآلف وعميق التّوافق لا يكون إلاّ إذا برزت "صنعة الرّواية" تضاهي "صنعة الشّعر" وتُنافسها الجودة والاِقتدار على بناء "العوالم الممكنة". وكما توفّق الكوني إلى إشاعة الحركة والحيوية على عالم الصحراء بمكوّناتها من جبل وبئر وبيوت صحراوية وأضفى عليها أبعادا تتجاوز مسمّياتها المرجعية(٨٠) ها هو يمنح البحرَ بزرقته الخالدة والسماءَ بمداها الممتدّ إلى ما لا نهاية عددا من الأبعاد الموحية وينشئ بينهما صلات خفيّة لا تنكشف إلاّ لذوي البصائر الملهَمة والتخيّلات العميقة النافذة إلى أغوار الظاهرات.

---

(٧٩) الرواية، ص ٢٨٩.

(٨٠) انظر ما خصّت به زهرة سعدلاوي حرم كحولي عالم الصحراء في روايات الكوني من تحليل في الباب الثاني من كتابها لما تناولت "شعرية الفضاء الروائي"، ص ص ١١٥-١٣٧.

الخاتمة:

نظرنا في رواية إبراهيم الكوني "جنوب غرب طروادة، جنوب شرق قرطاجة" نستجلي من عالمها الممتدّ وجوها من التّعالق بين العلامات المرجعية التي يمكن التحقّق من وجودها العيني والعلامات التي أنشأها الرّوائي بملكة التخيّل التي توجد ألوانا من "العوالم الممكنة". لقد انطلقنا من تمييز جيرار جينيت بين السّرد المرجعي والسّرد التخيّلي وحرّكنا هذه الثنائية النقدية في السرديّات المعاصرة، واستعدنا تمييزَ محمّد القاضي بين طريقتين في كتابة التاريخ روائيا هما استدعاءُ الوقائع والشخصيات التاريخية وإيجادُ مناخ تاريخي بان لنا أنّ رواية الكوني هذه أوجدت مناخا تاريخيا مثّله حصار أسطول الولايات المتحدة الأمريكية لسواحل طرابلس للقضاء على قراصنة الشمال الإفريقي زمن "يوسف باشا القرمانلي" ولهذا المناخ حدّان هما سنة ١٨٠٣ ابتداءً وسنة ١٨٤٥ انتهاءً.

وممّا تأكّد به انتساب الرواية إلى التاريخ ما تخيّره المؤلّف عنوانا لعمله هذا، وقد استقاه من متن الرواية وتحديدا من الشذرة الثالثة والخمسين وعنوانُها "المهزلة" وفيها حوار بين القبطان "بريبل" والنقيب "ديكاتور" مداره على تسوية الساحل الليبي بالتراب واستعادة لما كان من حرب بين روما وقرطاجة قصدَ الهيمنة على سواحل البحر المتوسّط.

وإذا تجاوزنا عتبة العنوان ألفينا متنَ الرواية حافلا بإيراد التواريخ المحدَّدة بالسّنة واليوم وحتى بالفترة من اليوم تكون ظُهرا أو ليلا أو صباحا وذلك لمزيد الإيهام بالواقع بمصداقية التأريخ وحافلا أيضا بأسماء الأعلام والأمكنة داخل ليبيا وخارجها. مثلُ هذه القرائن والعلامات والإشارات يمكن التحقّق من

وجودها الفعلي إذا رام القارئ تأكيدا لصحة وجودها ولكنّها مسألة لا تعني قرّاء الرّواية الذين يتقبّلونها عملا قصصيا صرفا بما أنّ ما ذكره مجرّد علامات دالّة على ذلك المناخ التاريخي الذي تنزّلت فيه الأحداث ومجريات ذلك الحصار.

ولمّا بحثنا في الجدل بين التاريخ والرواية وجدنا هذا النصّ مشبعا بالقرائن الدالّة على تاريخ ليبيا في بداية القرن التاسع عشر وعلى مواضع جغرافية معروفة في هذا البلد. وقد أفضت العناية بتلك القرائن والإشارات إلى بناء مخصوص بهذه الرواية صارت به شبيهة بالشذرات النصية تقصر أو تطول وشبيهة أيضا بما نجده في مصنّفات الإخباريين الذين يُصدّرون أجزاء التأريخ للحادثات والوقائع بالسنوات والأيام سعيا منهم إلى الإحاطة بتفاصيل الواقعات.

والرّواية بالشّكل الذي نُشرت به تشبه أيضا اليوميات الحميمة التي يدوّن بها صاحبها سجلّ الأحداث التي ميّزت حياتَه، والمذكّرات التي يثبّت بها كاتبها عددا من أيّامه الخوالي. إنّ وفرة التواريخ والحيّزات وأسماء الأعلام الليبيّين والأجانب الذين تصارعوا وتحاربوا داخل ليبيا وبالقرب من سواحلها الممتدّة قد أوجدت ذلك المناخ التاريخي المخصوص بالمرحلة التي رصدت الرواية أحداثَها. ولكنّ ذلك الحشدَ من العلامات المرجعية لم يُفقد الرّواية روائيّتها ولم يحل دون وفائها لجنسها عملا قصصيّا تتخلّله ألوان من تحاليل المشاعر وإظهار الأفكار والخواطر التي تجعل الشخصيات لوحات مقروءة يستمتع القرّاء بالنفاذ إلى أغوارها واكتشاف بواطنها.

لقد توقّفنا مطوّلا عند هذا البعد القصصي الذي مكّن الرّوائيّ من استبعاد الحادثة وإرجاء القرائن التاريخية المرجعية فكانت وقفات كثيرة تأمّل فيها السّارد المتضمّن في القصّة والمُداخل للشخصيّات الذّاتَ البشرية في سائر أحوالها فعقد المقارنة بين نعيم الحرية وجحيم السجن في سياق تناوله لفرار البحار إلى سفن الغرباء وخصّص بعض الأفكار التي تحلّل طبيعة السلطان والطّغيان، وأظهر دعوة صريحة إلى التسامح وصيانة النفس البشرية. ومثلما تأمّل السّارد الذي أناط به المؤلّف مهمّة التعبير عن هذه القضايا شؤون الحياة وأحوال الذات، انفتح خطابه القصصي على مسائل الأدب والفنّ فوجدناه يُعلي من مكانة الشعر ومن قيمة الكلمة ويظهر عشقا للوطن وتفنّنا في محبّته.

لم تكن هذه التأمّلات والخواطر الدليل الوحيد الذي تخفّفت به الرواية من ضغط الإحالات المرجعية ذات الصلات الظاهرة بالتاريخ ووقائعه. ثمّة دليل آخر على وفاءِ الرّواية لجنسها وإخلاصها لهويّتها القصصيّة. إنّ تجويدَ الكلام الروائي بتوسّل الأوصاف المشبعة شاعريّة، والصياغات ذات الأبنية التشبيهية والاِستعارية والتعويل على ما عُدّ خصيصة لجنس الشعر الذي ينبني بأشكال التكرار والتوازي ويذهب أعلامه في التخيّل مذهبا بعيدا، كلُّ هذا من الأدلّة على "شعريّة الرواية" وعلى تحوّل النثر القصصيّ نثرا فنيا شبيها بما صاغه أعلام النثر العربي قديما من كتّاب ومن متصوّفة.

وإذا كانت هذه بعض المدارات الإنشائية التي تحرّكت عليها رواية الكوني فما هي المدارات الأخرى التي تتجاوز مقاصد الأدب والرّواية؟

إنّنا نسلّم بما أكّده "جورج لوكاش" بخصوص كاتب الرواية التاريخية الذي لا يلتفت إلى الماضي إلا من خلال قضايا حاضره، وبما ذهب إليه لما رأى "أنّ تصوير التاريخ أمر مستحيل على المرء ما لم يحدّد صلته بالحاضر" ونتساءل عن مقاصد الكوني من تحريك الأحداث والشخصيات في المناخ التاريخي الخاصّ بليبيا في بداية القرن التاسع عشر.

ليس الصراع على هذه البلاد الغنيّة بالنّفط سوى المحرّك الدّائم لما تواجهه من حصار وحرب وتهديد بالغزو، وليس التّنافسُ الشديد على حكمها غيرَ الدّافع إلى ما تشهده من رغبة في الإِستئثار بالعرش والسّلطان. إنّ الرّوائيّ الذي يعيش خارج ليبيا في منفاه الاختياريّ أو الاِضطراريّ يطلّ من بعيد على مجريات الأمور فيها ويقيم ما يشبه لعبة المرايا العاكسة لواقعات الماضي ومجريات الحاضر في ضرب من ترهين التاريخ وتحيين واقعاته الكبرى. وهو– إذ يستعيد الأحداث التاريخية– يقدّم ما يعتبر استشرافا لحاضر الوقت وللزّمان الآتي.

والرّوائي– بهذه اللعبة القصصيّة القائمة بالاسترجاع والإِستباق– لا يختلف كثيرا عن الغيطاني في "الزّيني بركات" وقد استعاد في هذه الرواية التاريخ المملوكي المدوّن في كتاب "ابن اِياس"، "بدائع الزهور في وقائع الدّهور" لتصوير تسلّط الأمس (الماضي) وتسلّط اليوم (الحاضر). ولا يختلف أيضا عن "إلياس خوري" في "باب الشّمس" وقد صوّر فيها إصابة المناضل الفلسطيني يونس بن إبراهيم الأسدي بالكوما (الغيبوبة الدائمة) وسعْي الدكتور خليل مداواته من هذه الحالة بالحكايات، وأطّر التاريخَ فيها بحدَّيْن هما سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٩٣.

والمتحصِّل إجمالا من هذا الإِسترفاد لوقائع التاريخ وجعلها محفّزا للصّراع الدرامي في الرواية أنّ الروائي العربي يجد في المادّة التاريخية فضاء للتخيّل ومناسبة سانحة لاستقراء هذه المادة تقصّيا وتزيّدا وإنطاقا للتاريخ بما صمت عنه وتكتّم عليه أو تناساه وهذا ما قام به إلياس خوري لما "اختلق" قصة "كهل الصفصاف" لتصوير معاناة المهجّرين عن أرض فلسطين، وما قام به "نبيل سليمان" في "مدارات الشرق" لمّا سرد قصة العساكر الذين عادوا من الحرب بعد هزيمة تركيا وجلائها عن سوريا وتلك قصة لم تُولِها كتب التاريخ قيمة أو أهمية لأنّها من قصص المنسيين في الحروب.

والقارئ لرواية الكوني التي ألّفها صاحبها ما بين أكتوبر ٢٠١٠ ومايو ٢٠١١ خلال إقامته بمنطقة الألب السويسري تثيره جملة من الأسئلة وهذا من قبيل : هل يشابه التاريخ القريب المستدعَى إلى الرواية تاريخَ الراهن والوقت الحاضر في ليبيا؟ وهل اِستشعر الروائي ما سيعطّل المسار الصحيح لثورة ١٧ فبراير بفعل القوى الجديدة المتصارعة على هذا البلد النفطي؟ وإلى أيّ مدى يمكن التسليم بأنّ مصيره محكوم بقرارات هذه القوى؟

المصادر:

١- إبراهيم الكوني، جنوب غرب طروادة، جنوب شرق قرطاجة، كتاب دبي الثقافية الإصدار ٥٣، سبتمبر ٢٠١١.

٢- إلياس خوري، باب الشمس، دار الآداب (بيروت) طبعة أولى ١٩٩٨.

٣- جمال الغيطاني، الزيني بركات، دار الجنوب للنشر (تونس) ١٩٩١.

٤- نبيل سليمان، مدارات الشرق، دار الحوار اللاذقية، ١٩٩٠.

٥- واسيني لعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

المراجع (الكتب)

٦- ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، دار الشمال للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس (لبنان) ١٩٨٨.

٧- أرسطوطاليس، فنّ الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقّق نصوصَه عبد الرحمان بدوي، دار الثقافة (د.ت).

٨- الجوة (أحمد)، من الإنشائية إلى الدراسة الأجناسية، قرطاج للنشر (تونس) الطبعة الأولى ٢٠٠٧.

٩- الزمرلي (فوزي)، شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها، مركز النشر الجامعي (تونس) كلية الآداب جامعة منوبة ٢٠٠٢.

١٠- سعدلاوي (زهرة)، أساطير الصحراء ونداء الحرية في الكتابة الروائية عند إبراهيم الكوني، مركز النشر الجامعي (تونس) ٢٠١٢.

١١- عيد (عبد الرزاق)، باروت (محمد جمال)، الرواية والتاريخ، دراسة في مدارات الشرق، دار الحوار للنشر والتوزيع (اللاذقية) الطبعة الأولى ١٩٩١.

١٢- القاضي (محمد) وآخرون، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلّين، الطبعة الأولى ٢٠١٠.

١٣- يوسف (محسن)، نحو ملحمة روائية عربية، دراسة في مدارات الشرق، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة الأولى ١٩٩١.

المقالات

١٤- الجوّة (أحمد)، تفاعل التاريخي والروائي في كتاب الأمير لواسيني لعرج، مجلة "قراءات" مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة (الجزائر) العدد الثاني، جويلية ٢٠١٠، العدد الثالث ٢٠١١.

١٥- الجوة (أحمد)، التاريخي والإنشائي في "باب الشمس" لإلياس خوري، مجلة فصول (القاهرة) العدد ٦٣ شتاء وربيع ٢٠٠٤.

المراجع باللغة الفرنسية

16- Dictionnaire des genres et notions littéraires, Encyclopaedia Universalis, Albin Michel, Paris, 1997/

17- Le Dictionnaire du Littéraire, Paul Aron et autres, PUF, 2002

18- Gérard Genette, Fiction et diction, Seuil, 1991/

الإشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر
دراسة في مفهوم المعنى

الأستاذ الدكتور سامي الماضي
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

كلمات مفتاحية

- استراتيجيات الخطاب
- التواصل اللغوي
- التوظيف الدلالي
- الاشاريات الشخصية
- العملية الخطابية

الملخص:

تُعدُّ الاشاريات الشخصية إحدى وسائل الاستراتيجية التضامنية ضمن استراتيجيات الخطاب وفقاً لآلياته التي تعتمد على طرفين أحدهما المخاطب، والآخر المتلقي معتمداً على علاقة تواصلية بينهما مفادها إبراز مجموعة من المعانٍ المتراكمة داخل النص فضلاً عن كونها ذات مقدرة على ربط النص بالواقعِ الخارجي متمثلاً بالسياق، إذ لا تستطيع الاشاريات التأثير وحدها من دون محددات السياق؛ لانَّ أساسَ أيِّ لغة هو التواصل بين مجموعة من الأفراد، للتعبير عن حاجاتهم وأغراضهم، وتكمن الاشاريات في إيضاح دلالة النص عن طريق فكِّ الغموض الذي قد يسعى إليه المتكلم بطريقة غير مباشرة؛ لذلك فقد أشارت بعض الدراسات الى أنَّها

يمكن أنْ تكون مجالاً مشتركاً بين علم الدلالة والتداولية وبعضها ترى أنّها أقرب إلى التداولية منها الى الدلالة .

ولعلّ ما يمثل تجليات الاشاريات في اللغة العربية هو الضمائر بشقيها المتصلة والمنفصلة، وأسلوب النداء بوصفهِ تركيباً جملياً قادراً على استيعاب معانٍ متعددة وذات دلالات إشارية فيه حرية التعبير عن تلك المعانِ بما يتحقق من المعرفة والنكرة فضلاً عن المضاف، أو شبه المضاف، وكذلك نجد ملامح الاشاريات في ظرفي الزمان والمكان، ويمكن القول إنَّ إلياذة الجزائر قد انمازت بهذه الاشاريات التي طغت عليها ولاسيما النداء الذي وظّفه مفدي زكريا توظيفاً رائعاً ليكون مرتكزاً للإلياذة في بيان الاستراتيجية التضامنية، إذ لا تخلو مقطوعة منه، فقد كانت محوراً للمعانِ التي يريد إيصالها للمتلقي، وكأنّ العلاقة التواصلية والتخاطبية قائمة بين الاسم المنادى داخل النص والطرف الذي ينادي ذلك الاسم وعليه تمكن الشاعر عن طريق الاشاريات الشخصية تكوين صورة حقيقية لما يريده من أبراز لتلك المعانِ الكامنة في نفس المخاطب، أو المتكلم.

من هذا التصور كان منطلق بحثنا الذي اعتمد على محورين ومقدمة، أوضحت فيها مفهوم الاستراتيجية التضامنية وآلياتها، ثم وقفت في المحور الاول عند الضمائر مبرزاً أثرها في إيصال المعنى، ثم وقفت في المحور الثاني عند اسلوب النداء وأثره في بيان المعانِ المتراكمة في نفس المخاطب، ثم ختمت البحث بأبرز النتائج التي تمخض البحث عنها، أقول

إنّ الاشاريات كان لها الاثر الأكبر في نظم معانٍ إلياذة الجزائر التي بقيت شامخة الى يومنا هذا.

المقدمة:

تُعدُّ الاشاريات الشخصية إحدى آليات الإستراتيجية التضامنية ضمن استراتيجيات الخطاب وفقاً لآلياته التي تعتمد على طرفين أحداهما المخاطب، والآخر المتلقي معتمداً على علاقة تواصلية بينهما مفادها ابراز مجموعة المعاني المتراكمة وراء النص فضلاً عن كونها ذات مقدرة على ربط النص بالواقع الخارجي معتمدة على إبراز السياق في ذلك، إذ لا تستطيع الاشاريات التأثير في النص من دون محددات السياق؛ لأنَّ أساسَ أيٍّ لغة هو التواصل بين مجموعة من الأفراد للتعبير عن حاجتهم وأغراضهم، وتكمن الاشاريات أيضاً في إيضاح دلالة النص عن طريق فك الغموض الذي قد يسعى إليه المتكلم بطريقة غير مباشرة، لذلك فقد أشارت قسم من الدراسات الى أنَّها يمكن أنْ تكون مجالاً مشتركاً بين علم الدلالة والتداولية وبعضها ترى أنها أقرب الى التداولية منها الى الدلالية، وقد تجلّت الاشاريات الشخصية في اللغة العربية بالضمائر، والنداء فضلاً عن ظرفي الزمان والمكان، فاللغة تتسم بأنَّها نتاج لغوي يعبر عن حاجة اجتماعية تواصلية بين طرفي الخطاب سواء أكانت على مستوى الأفراد أم الجماعة، فهي حوار بين المتكلم والمتلقي، للتعبير عن تلك الحاجات بمنظومة لغوية متكاملة من حيث الشكل والمضمون، وإلا فلا تستطيع أن تنتقل الأفكار والرؤى بين طرفي العملية الخطابية، وعليه يكون الاستعمال التداولي لها هو نهاية لتحقيق أغراض

معينة، وبطبيعة الحال، فإنَّ اللغة ترتبط بالنشاط الإنساني بوصفها تواصلاً مع الذات، وهي في صورها متأصلة في حقيقة ثقافية بذلك المجتمع وحياته وعاداته، ولا يمكن أنْ تتضح تلك الحقيقية الثقافية إلا بالرجوع المستمر الى المحيط الأوسع وأعني به سياق الموقف، أو الحال التي نطقت بها اللغة [١]. وعليه تتكون مجموعة من العلاقات بين الشكل والتراكيب الجملية وهي متشابكة نتيجة للمواقف التي يمارسها الأشخاص في ذلك المجتمع، فالتراكيب تكتسب معانيها عن طريق ملابسات الأحداث الاستعمالية التداولية وعن طريق السياق الذي يعتمد عليه التحليل اللغوي لتلك الظاهرة [٢].

وللسياق أهمية كبرى في فهم المعنى إذ العناصر الشكلية في التراكيب لا تؤدي معانيها بمعزل عن العناصر الدلالية وحينها لا يمكن نكران تأثير دلالة السياق اللغوي بشقيه في فهم معانٍ الجمل، والتراكيب إذ الكشف عن مفهوم المعنى في التراكيب لا يمكن أن يظهر بمعزل عن الاستعمال؛ لأنّه لا يكون معنى بالقصد ويكون مفهوماً بالتحصل[٣]، ويمكن القول: إنَّ الاشاريات الشخصية والمتمثلة صورها في إلياذة الجزائر ـ ومنها الضمائر وأسلوب النداء ـ هي من أبرز الموضوعات التي لها ارتباط وثيق بسياق حالها؛ لأنّها تمثل كتابات عبرت عن حقيقة في طرفي العملية الخطابية – المتكلم والمخاطب- وعليه فلا يمكن تحديد معناها من دون تحديد مرجعياتها في التحليل اللغوي وصولاً الى المعنى المنشود في ذهن المتكلم

---

[١] ينظر: لويس،١٩٥٤، ٤٨.

[٢] ينظر: بشر، ١٩٧١، ١٧٢/٢ .

[٣] ينظر: العوادي، ٢٠١١، ٢١٠ .

عن طريق اقترانها بأحوالها ومحيطها الكلامي، فهو مرتبط بالأثر الدلالي والمعنى الذي تنقلهُ هذه اللفظة الى ذهن المتلقي ثم أنَّ الاستغناء بالضمير عن المرجع في ظاهر النص هو نابع من طوعية اللغة التي يصوغها المتكلم بحسب ما يريد وتحقق له الإيجاز الذي يبتغيه ويطمئن أنّ المخاطب قادر على فهم حديثه[٤].

ويمكن القول إنَّ ما يعرف بالاشاريات الشخصية هي جزء من وسائل الاستراتيجيات التضامنية التي تساعد في الكشف عن المعاني؛ ولذلك يلجأ إليها المتكلم في نظامهِ اللغوي الذي يميل الى الإيجاز وعدم اللبس فضلاً عن الإخلال بالمعانٍ وهذه مزية تمتاز بها تلك الاشاريات ولاسيما الضمائر[٥]. وقد حدَّها علماء اللغة بكونها العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي وردت فيه، وهذا يعود الى طبيعة وضعها اللغوي كونها لا تمتلك معنى في ذاتها، ومن هنا سميت بالمتحولات؛ لأنّها تميل الى معنى معين؛ لأنَّ طرفي العملية الخطابية يشتركان في تلك المعاني قبل تحديد مرجعياتها، ولكن التحديد بمعنى معين من قبل المتكلم أعطى لها معنى محمود في ذهن المتلقي[٦]، ولعلّ الوظيفة المرجعية للإشاريات الشخصية تكمن في الارتباط بسياق الموقف، أو الحال الذي تقع فيه العملية التواصلية، وعن طريق هذه الاشاريات التي هي جزء من الإستراتيجية التضامنية التي يحاول المتكلم عن طريقها بناء علاقة وطيدة مع

---

[٤] ينظر: ابن يعيش، د ت، ٣/٢١ .

[٥] ينظر: الشهري،٢٠٠٤ ٧٩.

[٦] ينظر: الماضي، ٢٠١٥، ١٤.

المتلقي وأنْ يعبر عن مدى تضامنه معه؛ ولذلك يبقى الاستعمال التداولي للإشاريات مقروناً بقصدية المتكلم ومدى مراعاته لأحوال المخاطب من أجل إنجاح العملية التواصلية عبر تدفق المعاني المنسجمة في الاستعمال لتلك المقاصد الابلاغية[٧]؛ ولذا فإنَّ اللغة يمكن وصفها بأنَّها مجموعة من الأنظمة في التراكيب الجملية وجدت لأداء معنى وبذلك نلحظ أنَّ كلَّ وظيفةٍ من وظائفها- مع الفارق بين نظرة اللغويين لها- تؤدي معنى تتماسك فيه التراكيب مع السياق ليصل المتكلم الى مراده وهو الإفصاح عمّا يدور في ذهنه.

وإنّ مفدي زكريا اتسم شعره بمجموعة من الأنظمة اللغوية، ومنها الاشاريات الشخصية التي تمثلت بالضمائر والنداء وسمة التكرار لها كانت بارزة ومميزة عنده؛ لأنّ التكرار يمثل بنية لبناء الفكرة الرئيسة للقصيدة وشكلها في شعر مفدي زكريا فضلاً عن التأكيد على القضية المحورية في الإلياذة وهي(الجزائر) بمفهومها الواسع، ويتجلّى ذلك بوضوح عن طريق استغلال الشاعر لأساليب ظاهرة الأسلوبية واستثمارها في توهج النصوص بملامح التجربة الشعرية، إذ أفادت في توكيد المعنى الذي ألح الشاعر على إظهاره فضلاً عن الترصيع الموسيقى ضمن الأبيات والنصوص الشعرية [٨].

وخلاصة القول: إنَّ إلياذة الجزائر قد انمازت بهذه الاشاريات الشخصية سواءٌ من الضمائر أو أسلوب النداء الذي انماز هو الآخر بسمة التكرار

---

[٧] ينظر: الشهري،٢٠٠٤، ١٣-١٩ .

[٨] ينظر: زينة بحث على شبكة الانترنيت،١ .

فضلاً عن توظيفه الرائع من الشاعر في بيان الإستراتيجية التضامنية إذ لا تخلو مقطوعة من الإلياذة من دون تكرار الضمائر أو أسلوب النداء إلا ما ندر ويكاد يكون هو محور المعانِ التي يريد إيصالها مفدي زكريا الى المتلقي، وكأنَّ العلاقة التواصلية التخاطبية قائمة بين المرجع والمنادى داخل البنية العميقة للمعاني وعن طريق تلك الاشاريات الشخصية استطاع الشاعر أنْ يكوِّن صورة حقيقة لما يبرز تلك المعاني القائمة في نفس المخاطب.

المحور الأول: (الضمائر)

تُعدُّ الضمائر إحدى الاشاريات الشخصية في تحديد مفهوم المعنى داخل أيّ نص سواء أكان شعرياً أم نثرياً، وهي من وسائل الاستراتيجية التضامنية في العملية الخطابية التي يسعى المتكلم فيها الى ايصال فكرة ما أو معنى إلى ذهن المتلقي، والاشاريات ما هي إلا علامات لغوية لا يتحدد مرجعها بشكل مباشر إلا في سياق الخطاب التداولي، وهذا الأمر يعود الى كونها خالية من أيِّ معنى في ذاتها على الرغم من ارتباطها بمرجع إلا أنّه غير ثابت[٩] وعكس ذلك فإنَّها تؤدي دوراً وظيفياً في النص ليُنبِئ عن دلالة في نفس المتكلم الذي يحاول استثمار كلَّ أدواته من أجل انجاح العملية الخطابية التي تجري بينه وبين المتلقي، ويمكن القول: إنّ أثر الاشاريات في النص ضمن السياق اللغوي التداولي لا يقف عند الاشاريات الظاهرة فقط، بل يتجاوز الأمر إلى أبعد من ذلك، فيشمل الاشاريات العميقة عند التلفظ

---

[٩] ينظر: الشهري، ٢٠٠٤، ٨٠ .

به؛ لأنَّ التلفظ يحدث من ذات سمات محددة في زمان ومكان، هما مكان التلفظ ولحظته[١٠] .

ومن أبرز تلك الاشاريات هي الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب، ولأنّها تُعنى مباشرة بالعلاقة بين تركيب اللغة والسياق الذي تستعمل فيه، فإنَّها تمثلُ دلالة في البنية العميقة للمعاني التي يظهرها المتكلم عبر محددات السياق، ولأنَّ إنتاج أيّ خطاب في العملية التواصيلة لا يكون من دون قصد ما، أو هدف معين يحاول المتكلم جاهداً الى تحقيقه[١١]، فيكون عند المتكلم مجموعة من المعايير في ذهنه يسعى عن طريقها إلى إبراز تلك المعاني المتراكمة عنده ليبثها الى المتلقي ومن بين هذه المعايير: المعيار اللغوي، والمعيار الاجتماعي. والأولُ غالباً ما يكون ضمن استراتيجيات تضامنية مع المتلقي محاولاً تحقيق أهدافه، فاختيار هذه الاشاريات دون غيرها ليس اعتباطياً؛ وإنَّما يتعلق بالسياق في الاطار العام لمناسبة ذلك الخطاب وعليه يحاول المتكلم في العملية الخطابية استثمار السياق الخاص ليؤدي مزيته في ابلاغ المعاني، وهذا ما وجدناه عند مفدي زكريا إذ حاول في إلياذته استثمار مهرجان الاستقلال العاشر ليبلغ في خطابه المعاني العميقة بشكل مباشر وغير مباشر مستعملاً كلّ الإمكانات اللغوية في انجاز العملية الخطابية ليتضامن مع المناسبة وفقاً لسياق المقام، إذ وظيفة اللفظ في الكلام تعتمد على جانب كبير من السياق، وهذه الظاهرة

---

[١٠] ينظر: م . ن ٨٢ .

[١١] ينظر: الماضي، ٢٠١٥، ٩.

قــد أشــار إليهــا أغلــب اللغــويين القــدامى والمحــدثين[١٢] وكــذلك فإنّ : " الفاظاً معينة في كلٍّ لغة منها ما تركب من أكثر من هذا، ولكنها على العموم ألفاظ صغيرة البنية تستعيض بها اللغات عن تكرار الاسماء الظاهرة " [١٣] ولعلّ هذه الرؤية تمثل رؤية قسيم رابع للكلِّ في العربية إذ عدّها كذلك؛ لأنّها تؤدي وظيفة معينة مشتركة [١٤]. ومن الواضح أنّ الأمر يكمن في الوظيفة التي يمكن أنْ تؤديها تلك الضمائر كما هو معلوم فإنَّها تصلح لموقع الفاعلية، والابتداء، والخبر وغيرها مما يتناسب مع المعنى عن طريق سياق الحال أو المقام؛ لذلك فقد برزت الضمائر بوصفها من الاشاريات الشخصية التي تؤدي معنى تضامنياً في العملية الخطابية، وقد تجلّى ذلك في إلياذة الجزائر بشكل بارز، إذ استطاع مفدي زكريا من الإفادة من تلك الوظيفة للضمائر في أغلب أبعادها الوظيفية مع مراعاة انسجام معانٍ الكلمة وفقاً لرؤية النحويين بوصفها اشاريات شخصية لا بد من أنْ تسبق بمرجعيات لغوية ذات دلالة واضحة سواء أكانت بصيغة المفرد، أم المثنى، أم الجمع مذكرة كانت أم مؤنثة.

-الضمائر المنفصلة (أنتِ):

إنَّ المتكلم أو المخاطب يتلفظ بضمير المخاطب في عملية التواصل اللغوي رابطاً الضمير (المخاطب أو المخاطبة) بمرجعية سابقة يحاول الاشارة إليها، أو الى البعد الثقافي، أو الحقيقي لمعناها معتمداً على كفايتهِ اللغوية

---

[١٢] ينظر: كنوش،٢٠٠٧، ٢٥ .

[١٣] ينظر: أنيس ١٩٨٧، ٢٦٥ .

[١٤] ينظر: دنوقة، ٢٠١٠، ٣ .

في ربط المعاني؛ ولانّ ضمير المخاطب تفسره المشاهدة[١٥]، ومن جهة أخرى فإنَّ الضمائر تؤدي وظيفة نحوية بمعانٍ الكلمة وفقاً للسياق الذي تكمن فيه، وقد وظّف ذلك شاعرنا في مواطن كثيرة من إلياذته[١٦]، يقول مفدي زكريا [١٧]:

جزائرٌ أنتِ عَروسُ الدنــــا
ومنكِ استمدَ الصباح السنــآ

وأنتِ الجنانُ الذي وعــدوا
وإنْ شغلونــا بطيبِ المنـــى!

وأنتِ الحنانُ وأنتِ السمـــا
حُ وأنتِ الطِماح، وأنتِ الهنآ

وأنتِ السَّمو، وأنتِ الضمير
الصريحُ الذي لم يُخنْ عهدنا

نلحظ أنَّ الشاعر يحاول أنْ يعلن التضامن مع المرجع (جزائر) الذي دلَّ عليه ضمير المخاطبة عن طريق التعريف بالمرجع بمجموعة من الصفات التي يتصف بها ذلك المرجع (جزائر) بوصفها الدليل على العلاقة بين طرفي الخطاب، ولأنّ ضمير المخاطبة دلَّ على معاني التضامن؛ لأنَّه أصبح علامة دالة على العلاقة بين المتكلم والمخاطب من حيث الناحية

---

[١٥] ينظر: الاندلسي،١٩٨٧، ٤٨١/١.
[١٦] اخترنا نماذج معينة وذلك لضيق المقام .
[١٧] زكرياء، ١٩٨٧، ٢٢ .

النفسية والاجتماعية [١٨]. وإفادة الشاعر من جعل المرجع عنصراً اجتماعياً رابطاً بين المتكلم والمتلقي؛ لأنَّ المرجع يمثل الوطن الذي ينطوي تحت ظله جميع الناس والسبب يعود إلى أسبقية العلاقة التخاطبية بين المتكلم والمتلقي[١٩]؛ لأنّ المرجع محور الارتكاز بينهما. وعليه فالتضامن معه يكون عن طريق الوعي الكامل للمرجع من المتكلم، وهذا ما أدى الى انعكاسات الضمير في العملية الخطابية إذ غالباً ما يكون تمام المعنى بوجود ضمير آخر متصل يحيل إلى المرجع نفسه، وهو قول الشاعر:

(جزائر أنتِ عروس الدنا ومنك ...، وأنتِ الجنان، وأنتِ الحنان، وأنت السماح، وأنتِ الطماح، وأنت السمو، وأنت الضمير)، ثم ينعكس ضمير المخاطبة من الضمير المنفصل الى الضير المتصل، وهذه من مميزات الإلياذة .

يقول الشاعر[٢٠]:

وَمنكِ استمد البُناةُ البقاءَ

فكان الخلودُ أساسَ البناَ

وألهمتِ إنسانَ هذا الزمان

فكان بأخلاقنا مؤمنا

---

[١٨] ينظر: الشهري، ٢٠٠٤، ٢٥٧ .

[١٩] ينظر:عبد الرحمن،٢٠٠٠، ٥٢ .

[٢٠] زكرياء، ١٩٨٧، ٢٢ .

وَعلمـــــتِ آدمَ حـــــبَّ أخيـــه

عساه يسيرُ على هدينا !

صنعتِ البطولاتِ من صُلبِ شعبٍ

سخي الدماءِ فرعُتِ الـدنا

وعبَّـــدتِ دربَ النجـاح لشـــعبٍ

ذبيحٍ فلم ينصهرْ مثلنــا!

واعتقد بأنّ الشاعر قد نجح في استعمال انعكاسات الضمير المتصل للضمير المنفصل، وهي اشاريات تعبر عن تضامن استراتيجي بهما[٢١] ونرى أنَّ إحالة الضمير الى المرجع فيها بعدُ تداوليٌّ؛ لأنّ السياقَ هو من يحدد فلَزِمَ أنْ تكون الاشاريات في أنفسها خالية من المعاني ولكن بوجود المرجع في سياقٍ ما فإنَّه هو من يحدد معانيها فضلاً عن ذلك فإنَّ أثر الاشاريات لا يكمن في إلاحالة الظاهرية فقط؛ بل هي ذات معانٍ عميقة مستقرة في بنية النص، ومع وجود المرجع في الخطاب (جزائر) فقد ساعد على توظيف الاشاريات للمعانٍ المتراكمة في ذهن المتكلم التي يبغي طرحها على المتلقي، إذ سعى الشاعر – في أغلب الظن – الى الجانب القصدي في التبليغ من أجل تحقيق أهدافه في بيان مكانة المرجع بين المخاطبين وتحسين تلك الصورة بما توافر من إشاريات ظاهرها بسيط، ولكن معانيها عميقة وكبيرة، إذ تحقيق تلك المعاني هو ظاهر مبتغاة الشاعر .

---

[٢١] ينظر: نحلة، ١٩٩٠، ١١ .

ويتكرر هذا التضامن في استراتيجيات الخطاب في مكان آخر من إلياذته، وهنا المرجع جزء من المرجع الأم (الجزائر).

يقول الشاعر [٢٢]:

تلمسان أنتِ عروسُ الدنا

وَحلمُ الليالي وَسلوى المحب

بحُسنكِ هَام أبو مديـن

وفي معبدِ الحبِّ شـادَ القبب

وَأجرى بكِ الروم ساقيـة

بها أسكر الحُسنُ بنتَ العنبِ

وفي مشوارِ المجد اذن موسى

وخلـدَ زيّـانُ مجـدَ العـربِ

ونافحَ فردوسكِ ابن خميس

ويحيى ابن خلدون فيك التهب

فلو لاحظنا أنَّ المرجعَ الكل (الجزائر) قد وصفه الشاعر بـ (عروس الدنا) وعندما أريد أنْ يصف المرجع الجزء (تلمسان) أيضاً استعمل عبارة (عروس الدنا) وهذا يدل على أنَّ الاشاريات واحدة من حيث الشكل، ولكنها تحوي على معانٍ عميقة في نفس المتكلم باستعمال الضمير(أنتِ) للإشارة

---

[٢٢] ينظر: زكرياء،١٩٨٧، ٣٣ .

الى التضامن من المرجع الكل الذي أنتِ (تلمسان) جزء منه؛ لذلك ساغ لأبي مدين أنْ يعشقك؛ لأنّك من قبلُ قد هام فيك آخرون، ومنهم: أبو حمو موسى الثاني، وزيّان مؤسس دولة بن زيان فضلاً عن العلماء والشعراء ومنهم ابن خميس وابن خلدون، وهذه اشارة مميزة من لدن الشاعر، إذ يريد أنْ يقول إنّكِ لستِ وليدة لحظةٍ ما، ولكنك كأمكِ (الجزائر).

ولابد من القول إنّ إمكانات اللغة قد اتاحت للشاعر أنْ يتمكن من اختيار الاستراتيجية التضامنية بوساطة الاشاريات الشخصية وعلى الخصوص الضمير بأنْ تؤدي معنى، وتوجه العملية الخطابية إلى ذلك التضامن مع المرجع الكل(الجزائر) فضلاً عن المرجع الجزء (تلمسان).

والجدير بالذكر أنّ الشاعر أيضاً قد استعان بالضمائر المتصلة في العربية للدلالة على عمق مفهوم المعاني، إذ استعمل (أنتِ للمخاطبة) المنفصل بضمير المخاطبة المتصل أيضاً (أنتِ عروس الدُّنا، بحسنكِ، بكِ، فردوسكِ، فيك).

إذن استعمال انتقالات وانعكاسات الضمير جعل من الاستراتيجية التضامنية شاخصاً آخر في زيادة وربط المعاني المتوخاة من العملية الخطابية لما له دلالة في نفس المتكلم الذي أحال بالضمير المنفصل الى المرجع الكل (الجزائر) واستعان بالمنعكس وهو المتصل، وهذا ما يركز عليه المنهج التداولي؛ لأنّ الاشاريات تدخل في نسيج البنية العميقة للعملية الخطابية ككل.

ولذلك فقد حققت الضمائر بوصفها وحدات لسانية وظيفتها الدلالية متأخذة مرجعياتها موقفاً تواصلياً يحدده السياق؛ لأنّها وجدت لتعبر عن معنى

معين، فالشاعر عندما استعمل الضمير (أنتِ) وانعكاسه بـ (كِ) لم يكن اعتباطياً بل عن قصد، وتجلّى ذلك بالتوظيف التداولي متضمناً معنى التضامن والتعارف عن طريق رصف العملية الخطابية بمعانٍ عميقة عبر تلك الاشاريات الشخصية.

-الضمير (نحن):

لقد جاء في إلياذة الجزائر استعمالات كثيرة لهذا الضمير، وهو إحالة الضمير (نحن) على الذات المتكلمة، وتعدّ هذه من أبرز صور التضامن مع العملية الخطابية فضلاً عن الطرف الآخر المتمثل بالمتلقي. مع ملاحظة تحديد المرجع لهذا الضمير وفقاً للسياق الذي ورد فيه .

يقول مفدي زكريا [٢٣]:

ونحن الأمازيغَ نرعى الذمامَ

ولا نجحدُ الفضلَ والآصره!

ونكبرُ مصرَ واحرارَها

ومن آزروا حربَنا الظافره!

لعلّ من الواضح أنَّ كلَّ تعبير يعدُ اشارياً إذا لم يكن مرجعه محدداً إلا إزاء الهوية، أو إزاء وضع المتخاطبين في لحظة الخطاب[٢٤]؛ لأنَّ التعبير بالضمائر ولا سيما الضمير (نحن) الذي يمكن أنْ يخرج الى معنى

---

[٢٣] ينظر: زكرياء، ١٩٨٧، ٤٦ .

[٢٤] ينظر: ديكرو، د ت، ٢٢٣ .

المفـرد والجماعـة، وهـذا يحـدد وفقـاً للمرجـع اللغـوي المحـدد فـي التراكيـب النحويـة، والاسـتعمال هنـا فيـه دلالـة الجمـع بـين المـتكلم والمتلقـي دلالـة علـى التضـامن بـين الاثنـين فـي البنيـة العميقـة للخطـاب ومـن ذلـك قولـه: (نحن الأمازيع)، إذ الحوار كأنَّ الشاعر يريد المقارنة بين عهد جريان نهر النيل ونهر الدماء التي جرى في الجزائر بسبب الاستعمار الفرنسي، فضلاً عن البنية العميقة التي يشير إليه وفقاً للاشاريات الشخصية بين شعب مصر وشـعب الجزائـر: ومـا اسـتعمال الضـمير (هـو) إلا لتحديـد المرجـع الأول والضمير (نحن) لتحديد المرجع الثاني:

يقول مفدي زكريا [٢٥]:

هو النيل خلد عشر قرون

وباركنـــا السنة العاشـره

وَكم شابه النيلُ نهر دِمَا

نا تمور به المهج الفاتره ؟؟

وَكم ضارعت في الفدآ كليو

بترا جميلاتِ ثورتنا الهادره !

ونحن الامازيعَ نرعى الذما

م ولا نجحد الفضل والآصره !

اذن الاشـاريات الشخصـية المتمثلـة بالضـمير (نحـن) هـي موازنـة بـين الظلم الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائر تارةً ومن قبل في مصر من لـدن الفراعنـة وكلاهمـا قد نهـض من غبـار القرون والمرجع هنا (نحـن)

---

(٢٥) زكرياء، ١٩٨٧، ٤٦ .

إشارة واضحة الى ارادة الشعوب، وهذا واضح من السياق ولعل مبدأ التضامن أيضاً واضحٌ بين المرجعين، وهو ثورة الدم التي وصفها الشاعر بنهر النيل الذي يجري من أجل إعطاء الحياة للآخرين، ففي الجزائر نيل من الدماء وفيها بعد تداولي كبير إذا ما رجعنا إلى أساليب الاستعمار وظلمهم للشعب الجزائري بدم بارد، وهذه اشارة (المهج الفاتره) غير المبالاة في قتل الناس الابرياء، واعتقد أنّ البعد التداولي واضح جداً في المشاركة بين طرفي الخطاب فضلاً عن توطيد العلاقة بينهما .

ويقول مفدي زكريا في موطن آخر [٢٦]:

وخاضَ الأمازيغُ ساحَ الفدا

تباركهم صلوات الجدود

وقمنا نسوس البلاد بعدل

ونسدي الجميل ونرعى الحدود

ولم نكُ للترك بالتابعين

وإن عززوا سعينا بالجهود

ونحن أناسٌ نعدُ الجميلَ

ونرعى ذمامَ الصديقِ الودود

إذ يُصَوِّر لنا الشاعر خوض الأمازيغ للمعارك وأنَّ النصرَ كان ببركات الصلاة، ثم بعد ذلك الانتصار حكم البلاد بعدل وأنَّ الجميلَ لابد أنْ يرد الى أصحابه في اشارة الى الاتراك واستعمال الشاعر للضمير (نحن) فيه اشارة إلى ردِّ الجميل؛ لأنَّ الأتراك لم يدخلوا الجزائر محتلين، بل بناء على طلب

---

[٢٦] زكرياء، ١٩٨٧، ٥٢ .

مـن أهـل الجزائـر علـى اعتبـار الـروابط المشـتركة وفـي مقـدمتها الـدين الإسـلامي، ومـن أجـل ذلـك لبّـى الأتـراك هـذا الطلـب وسـاعدوا الجزائـر ضـد الاسـتعمار الفرنسـي، فـالمرجع للضـمير (هـو الشـعب الجزائـري) الـذي خـاض سـاحات الجهـاد، وعليـه فـإنَّ المعنـى يكـون دالاً علـى التضـامن بـين الأتـراك والجزائـريين علـى سـبيل الصـداقة التـي تربطهـا الأخـوة فـي الـدين فكانـت الاشاريات في الضمير تدلّ على التعاون؛ لكونه قد أدى وظيفة تعاونيـة أكبـر فالمرجع للضمير (هو الشعب كله) ولذلك فقد وضحت الابعاد التداولية مبدأ المشاركة بين طرفي الخطاب فضلاً عن طريقة التأدب والهدف في الحوار التي سادت العملية الخطابية ومنها الألفاظ التي استعملها وفقاً لسياق المقام.

واعتقد أنَّ استعمال الشاعر للضمير المتصل الذي يدل على الضمير المنفصل (نحن) كان له الأثر الأكبر في ابراز المعاني العميقة في بنية الخطاب إذ ورد ذلك في أربعة مواطن كان مرجعها دلالة الضمير (نحن) .

ويقول مفدي زكريا في موطن آخر [٢٧]:

وإنْ سلك العربُ في أمرِهم
سَـواء السَّبيل مَدَدنـا اليَـدا

وَقمنا بأروَاحِنا نفتديهـم
ونحـن الألـى أخلصـوا للفـدآ

ونحن الألى غسلوا العارَ
بالنارِ يسترهبون الردى بالردى!

---

[٢٧] زكرياء، ١٩٨٧، ٩٢ .

ويستبدلون بالشعارات الفعلَ

فاستوجبوا العز والسُّؤدَدَا

فالاشاريات الشخصية بالضمير (نحن) دلالة على المرجع (الكل) هو الجزائر ويريد هنا الشاعر شعبها الذي استطاع بالتوحد أنْ ينتصر على الاستعمار الفرنسي وأنَّهم قد أبدلوا الشعارات بالقول الى العمل بالفعل فضلاً عن ذلك فإنَّ الشاعر استعمل انعكاس الضمير المنفصل بالمتصل فزاد من الاستراتيجية التضامنية في استعماله أربع مرات في حين استعمل المنفصل مرتين، وهنا إشاريات شخصية عن طريق الضمير تشير الى التضامن مع العرب في حال سلكوا سواء السبيل؛ إذ نلحظ طريقة التأدب في معادلة الاستراتيجية التضامنية عن طريق توظيف استعمال الضمير المنفصل، ومن الممكن أن تجمع الدلالة في ضوء التضامن فيتحقق النصر والوحدة كما حصل في المغرب الأكبر كما يقول الشاعر[٢٨]:

هو المغربُ الأكبر المستمد

رسَالاته من رسولِ الهدى

وَوحدة مغربنا اليوم خصلو

الى وحدَةِ المسلمين غدا

بتوحيد بعض، نوحّدُ كُلا

وهل ينكرُ الخبرُ المبتدأ ؟

فربَّما كان مغربُنا

مثالاً قويماً به يقتدى!

[٢٨] م ن، ٩٢ .

وهذا الأمر لم يتحقق إلا بوحدة المسلمين – يعني النصر– فإذن نلحظ أنَّ الضمير (نحن) أدى التضامنية؛ لكونه أدى وظيفة أكبر من الأولى والمعنى يكون على التضامن الشمولي في كلِّ شيءٍ ولا سيما الروابط كثيرة، ومنها الدين الاسلامي الحنيف؛ لذلك فهو الذي وحد المغرب الأكبر ويمكن أن يوحد العرب أجمع ليكون المعنى على وفق الاستراتيجية التضامنية، ويكون الخطاب خطاباً يدعو الى الوحدة وبذلك ينتصر العرب على الاستعمار في كلِّ مكانٍ كما انتصر في المغرب، ولعلّه فيه تلميح أو إشارة الى القضية الفلسطينية وتوحيد الموقف العربي .

– الضمائر المتصلة:

تتمثل هذه الاشاريات الشخصية في العدول من الضمير الظاهر المنفصل الى المتصل أو كما يسميه بعضهم انعكاساً للضمير المنفصل[٢٩] وغالباً ما يحمل هذا العدول وظيفة الدلالة النحوية في التراكيب مشيراً الى زمن الفعل في الاستعمال التداولي[٣٠] وفي هذا المعنى نلمس قول مفدي زكريا في إلياذته[٣١] :

جزائـرُ يا لِحكاية حبـيِّ
وَ يا من حملتِ السلامَ لقلبي
وَيا من سكبتِ الجَمَالَ بروحي
وَيا من اشعتِ الضياءَ بدربي

---

[٢٩] ينظر: نحلة،١٩٩٠، ١١ .
[٣٠] ينظر: الماضي، ٢٠٠٩، ٢٣ .
[٣١] زكرياء، ١٩٨٧، ٢١ .

فلولا جمالُك مَا صَحَ ديني

وَ ما عَرفتُ الطريقَ لربي..!

ولولا العقيدةُ تغمرُ قلبــي

لما كنـت أومـنُ إلا بشعبي!

وإذا ذكرتُكِ شـعَّ كيانــي

وَلمَا سمعـتُ نـداكِ ألبـــي

وَمَهمَا بعدت ومهما قربت

غرامك فوق ظنونـي وَلبـي

إلى أن يصل الى البيت الآتي:

تنبَّأت فيها بإلياذتي

فآمن بي وبها المتنبي!!

لقد تكرر الضمير (الياء) أربع عشرة مرة في سبعة أبيات من أصل عشرة من مقطوعته ولأنّه من الاشاريات الشخصية فإنَّ المرجع (المتكلم) الذي جعل نفسه جزءاً من الكل (الجزائر) فشكل الضمير تضامناً نسقياً لدلالات المعاني مع المرجع الكل؛ ليكون بذلك نيابة عن الضمير (أنتِ) العائد على المرجع (الجزائر)، ولأنّ السياق تطلّب العدول من الضمير المنفصل الى الضمير المتصل مع كونه يحملُ دلالات المرجع من حيث الوظيفة الاسمية للضمير (الياء)؛ لأنَّه قد أضيف الى الاسم (حبيّ، لقلبي، بروحي، بدربي، ديني، لربي، قلبي، بشعبي، كياني، ظنوني، ألبي، لبي، بإلياذتي، بي) .

ولقد مثّل الضمير حضوراً قوياً؛ لأنَّ الخطاب هو محاولة لتصوير العلاقة القوية الثابتة بين المتكلم والجزائر من جهة وبين المتلقي من جهة أخرى، فضلاً عن التضامن بين المرجع (الجزائر، وبين الضمير الدال على الجزء من المرجع (الكل)، إذ أثار قضية القصد في المعاني العميقة في بنية النص الخطابي، وقد حاول الشاعر أن يجسد بها درجة علاقته بالمرجع بما يجعله واثقاً بأنّ المرجع (الكل) يميل إليه ميلاً طبيعياً خالياً من أي دوافع أو أغراض منفعية لذلك نراه يقرب بينه وبين المرجع المحدد (الجزائر) حتى تصبح العلاقة في نهاية الخطاب أفضل منها في بدايته فتؤثر في عدد العوامل الاجتماعية، وهنا تتحقق للتضامن سمته الغالبة(٣٢)، ولزم أنْ يكون الباعث عليه تحقيق مزيد من الانسانية للمتكلم، إذ لا انسانية من دون أن يزيد اعتبار المرجع المحدد على اعتبار الذات بحيث لا تصح نسبتها الى المتكلم حتى يزيد أنس المخاطب به (٣٣) .

وعليه يمكن أن يؤدي الضمير وظيفة الربط بين معاني الكلم وتكون الاشاريات الشخصية قد أدت وظيفتها في بنية النص؛ لأنَّها قد سدّت مسَّد الاسم سواء أكانت في الوظيفة أم في المعاني.

المحور الثاني: النداء

يُعدُّ اسلوب النداء أحد أبرز الاشاريات الشخصية في الاستراتيجية التضامنية؛ لكونه يمثل حوارية مباشرة في أغلبه مع المخاطب على اعتبار

(٣٢) ينظر: الشهري، ٢٠٠٤، ٢٥٨ .

(٣٣) ينظر: م . ن ٢٥٩ .

العلاقة بين المتكلم والمتلقي، وعليه يلتزم بوضوح الرؤية؛ لأنَّه يريد ايصال قضية تكمن في ذهنه مما يجعل المتلقي يصب اهتمامه عليه؛ ولذلك فإنَّ المتكلم يجب أنْ يتمتع بالقدرة على الانتقال من موقف الى آخر حتى يستطيع جلب اهتمام المتلقي، إذ تارةً يكون النداء للعاقل وأخرى لغير العاقل فضلاً عن العموم والخصوص في آلية المنادي اشعاراً بأهمية الاحكام والأصول العامة في حواره، إذ يحصر المتكلم النداء العام بتنوع الألفاظ تبعاً لتنوع المخاطب مع مراعاة السياق العام في حواريته مع الآخر؛ لكونه يحرص على إيقاظ المتلقي وتنبيههِ على أمرٍ ما بحجة كلما قويت كانت أكثر تأثيراً في المتلقي .

إنَّ الشاعر ـ مفدي زكريا ـ قد أبدع في توظيف اسلوب النداء وجعله حواراً مباشراً مع الجزائر التي أراد شاعرنا أنْ يبرز صفاتها ومواطن جمالها وسموها وخلودها أبد الدهر على الرغمِ مما فعلَ الاستعمار من فعلته الدنيئة في طمس وتدميره تراثها والقضاء على ماضيها فضلاً عن مستقبلها، لذلك نجد الشاعر، وكأنّه يتحدث معها بلسان حال الماضي والمستقبل مبرزاً تلك العلاقة بينه وبينها تارة المتمثلة بالشعب كلِّه، ثم يوظف النداء لدلالة الوجود والبقاء لها والرحيل لمستعمرها .

وهذا التوظيف استثمر فيه الشاعر دلالات الاخبار للمتلقي، إذ الكلام يطلب لمعناه؛ لأنّ ايَّ كلامٍ خالٍ من المعنى لا يكون له ديمومة الحياة، وهذا مصداق قول الجرجاني (ت ٤٧٦هـ) : الخبر أول معاني الكلام[٣٤] .

---

[٣٤] ينظر: الجرجاني، ١٩٩٢،٤٦١.

يقول مفدي زكريا [٣٥]:

جزائرُ يا مطلعَ المعجزات

ويا حجةَ اللهِ في الكائنـــات

ويا بسمةَ الربِّ في أرضهِ

ويا وجههُ الضاحك القسمات

ويا لوحةً في سجلِّ الخلو

دِ تموجُ بها الصور الحالمات

ويا قصَّةً بثت فيها الوجودُ

معانٍ السَّمو بروع الحيـــاة

ويا صفحةَ خط فيها البقآ

بنـــار ونورٍ جهـــاد الأبـــاة

ويا للبطولات تغزو الدنـا

وتلهمهـا القيـــم الخالـــدات

وأسطورة ردَدتها القـرون

فهاجت بأعماقنا الذكريـات

ويا تربة تاه فيها الجلال

فتاهت بها القممُ الشامخات

لقد كرر الشاعر اسلوب النداء تسع مرات بالأداة ومرتين من دون الاداة إذ حذفها؛ لأمرين: الأول بلاغة في المعنى، والثاني تناغماً مع الوزن، ولعل

---

[٣٥] زكرياء، ١٩٨٧، ١٩ .

مفاد تكرار الاسلوب هو ترسيخ معنى في ذهن المتلقي فضلاً عن اهتمام المتكلم به ويزيد ذلك الأمر تأكيداً لدلالة نفسية قيمة تدل على نقطة اهتمام الشاعر في مواطن حساسة من ابداعه الأدبي[٣٦]، وهذا يعني أنّ الأمر فيه دلالة قصدية لدى الشاعر، وفي ذلك يقول الجرجاني: "كيف يتصور وقوع قصدٍ منك الى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ... " [٣٧] ولعلك في تكرار الاسلوب لا تريد الاسلوب نفسه؛ وإنّما تريد التركيز على دلالة ذلك الاسلوب؛ لأنّ قصد الشاعر أنْ يعلم السامع أو المتلقي معاني عميقة تتمحور في مرتكز الاسلوب الخبري عبر اسلوب النداء، ولهذا لم يكن النداء وحده، وإنّما سياق المقام الذي تدور فيه القصيدة، إذ يبدأ الشاعر برسم لوحة فنية رائعة ذات معاني تربط التاريخ بالحاضر، والحوارية تسير باتجاه أخبار المخاطب عن عظمة الجزائر وصفاتها وبطولاتها لمن غُيبت عنه لأيِّ سببٍ ، ونلحظ أنَّ الاخبار من دون مؤكدات؛ لأنَّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه[٣٨]. مما أتاح الشاعر للمتلقي التأمل في ذلك الاسم المنادى وكأنَّه ينظر الى مشاهدة معاينة؛ لأنَّ الاستعمار حاول طمس كلَّ شيءٍ عن الجزائر بل حتى لغتها فضلاً عن عروبتها وحضارتها التي عبّر عنها الشاعر بمعانٍ ذات بُعد في النظر ومنها قوله:

---

[٣٦] ينظر: عبيد، ٢٠١٦، ٢٢٦ .

[٣٧] الجرجاني، ١٩٩٢، ٤١٢ .

[٣٨] ينظر : مطلوب، ١٩٨٦، ٤٦٥/٢ .

يا لوحةً في سجلِّ الخلود

تموج بها الصور الحالمات

فاللوحة يرسمها فنان وسر خلودها تصويرها لقضية تركت اثراً في نفوس المتلقين، ولعل استعماله لمفردة (تموج) وما فيها من دلالة حركية قد وظّفها الشاعر توظيفاً دلالياً واضحاً؛ لأنَّ الموج صفة لصيقة بحركة البحر، فكانت تلك اللوحة (الجزائر) كالبحر في صموده أمام حركة الموج الذي تحركه يميناً وشمالاً، والصور الحاكمات تموج في ذلك البحر.

وتلك المعاني التي استطاع الشاعر بثها في إلياذته بشكل كبير وجعل الاخبار كلَّه عن لوحة نفيسة وعريقة وأسطورة وبسمة في عيون كلِّ الناس، ويذكر الشاعر ما أصاب الجزائر بسبب طمع الآخر (المستعمر) بهذه الصفات لذلك يقول(٣٩) :

وألقى النهايةَ فيها الجَمال

فهمنا بأسرَارِها الفاتنات

وأهوى على قدَميها الزمان

فأهوَى على قدميها الطغاة

وأرى أن خطابه موجه للأجيال أكثر منه لجيل المجاهدين والسبب معلوم، ثم ليختم الاخبار بتمام الفائدة التي أراد ابرازها وهي:

---

(٣٩) زكرياء، ١٩٨٧، ١٩ .

شغلنا الورى وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

فقد بدأ الشاعر قصديته بلفظة (الجزائر) وهي المرجع في الاستراتيجية التضامنية، وأنهى القصيدة باللفظة نفسها، وهذا له دلالة كبرى في الخطاب، ولاسيما الاستراتيجية التضامنية التي استطاع أن يوظّفها الشاعر عن طريق الاخبار باسلوب النداء، وكأنَّ واضع الكلام مثلهُ كمثلِ من يأخذ قطعاً من الذهب ... فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة [٤٠] وتتضامن لتكون قطعة ذات جذب ودلالات تستوقف المتلقي، إذ أخذ الشاعر من النداء مرونته في الاستعمال بين الحقيقة والمجاز، وبين العاقل وغير العاقل فضلاً عن توظيفه لمعانٍ التضامن عبر الاستراتيجية التضامنية وكذلك قد أدخل العالم المرئي وما وراء الطبيعة[٤١]. إذ ورد ذلك في مقطوعته عن طريق الصور التي صوّرها لنا مفدي زكريا، فاستعمل صيغته المعروفة الظاهرة مع الاداة فضلاً عن حذف الأداة، وهذا ما يدل على تمكن الشاعر من أدواته في إيصال معانٍ الكلم الى المتلقين.

ونلحظ أنَّ أسلوب النداء في الالياذة قد خرج عن مقتضى الظاهر إذ بيّن شاعرنا التفسيرات المعنوية التي اتسمت بانسجام المعاني داخل النص عن طريق ارتباطها بالسياق، فقد ترك هو الآخر بصماته في جلِّ المقطوعات

---

[٤٠] ينظر: الجرجاني، ١٩٩٢، ٤١٣ .

[٤١] ينظر: فارس ١٩٨٩، ٦ .

الشعرية التي ورد فيها اسلوب النداء، وهدف الشاعر كان واضحاً إذ أراد لفت انتباه المخاطبين الى جملة المميزات التي تتماز بها الجزائر، وهذا يعود من احساس الشاعر أنَّ الاستعمار الفرنسي حاول طمس كلَّ معالمها، وقد نجح في بعضها بفعل القوة، ولكنه فشل في جلِّها بفعل إرادة أبنائها والخطاب موجه الى أبناء الجزائر لغرض ايضاح من لم يعش تلك المحنة لأيِّ سببٍ ما.

يقول مفدي زكريا [٤٢]:

جزائــر يا بدعــةَ الفاطــرِ
ويا روعةَ الصانع القادر

ويا بابلَ السحر من وحيهـــا
تلقبَ هاروت بالسَّاحــر

ويا جنة غــارَ منها الجنـــان
واشغله الغيب بالحاضر

ويا لجـــة يَستحِـم الجمَـــال
ويَسبَح في موجِهَا الكافر

ويا ومضةَ الحبِّ في خاطري
وإشراقة الوحي للشَّاعـر

ويا ثورة حار فيها الزمان
وفي شعبها الهادىء الثائر

---

(٤٢) زكرياء، ١٩٨٧، ٢٠ .

ويا وحدة صهرتها الخطو

بُ فقامت على دمها الفائر

ويا همة ساد فيها الحجى

فلم تـك تقنــع بالظاهــر

ويا مثلاً لصفاء الضمير

يجل عن المثل السَّائــر

ولما كانت اللغة بحد ذاتها تمثل نتاجاً اجتماعياً فقد وضع التواصل ليتحدد بالبعد الاجتماعي المستعمل بين طرفي الخطاب؛ لكونه يمثل حواراً بين المخاطب والمتلقي، ولذلك فقد وظّف الشاعر مقطوعته– ولاسيما أسلوب النداء– في عيد الاستقلال العاشر ليُذكر المتلقين بصفات الجزائر ومميزاتها من أخواتها من الدول العربية الاخرى، ليجد مساحة واسعة مستثمراً السياق ليكُون عنصراً من عناصر الابداع، إذ يبدأ بحذف أداة النداء في أول مطلع مقطوعته قائلا:(جزائر) ونحن نعلم أنَّ حذف الاداة ما يكون إلا لدلالة أو معنى في نفس المخاطب، وقد استغنى عن الاداة ليكون دليلاً على قرب المسافة، بل تجاوزها أحياناً بينه وبين الجزائر، إذ التقدير(ياجزائر)، ولكن تضامن معها فحذف أداة النداء فضلاً عن سمو العلاقة بينهما من أيِّ مساحة اجتماعية فهو قد ذاب في حبها وانصهر وأصبح كلاهما روماً واحدة .

ولعل ادراك الشاعر أنَّ المتلقين لهم أثرٌ في نتاجه فأخذ يصفها بكلِّ المحاسن، إذ بدأ من علاقتها بالخالق (يا بدعة الفاطر)، ثم يأتي الى ذكر مشاركتها بابل في الايحاء، وهي جنة غارت منها الجنان الاخرى، ثم يجعلها وحيه للشعر، وهو اسلوب يرقى الى مستوى التميز، وبعد أنْ جعلها وحياً؛ لاستلهام الشعر ذكر أنَّها (ثورة حار فيها الزمان)، إذ وظّف أداة الربط (الواو) ليربط صفات الثورة بالشعب عبر الاستراتيجية التضامنية من حيث شجاعته وبسالته، إذ ثورة البركان تبدأ بالهدوء وعندما تعصف لا تبقي للآخر (الاستعمار الفرنسي) من باقية.

ثم يأتي ليوثق لنا وحدة الجزائر شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً . وإنْ حاول الخطوب تدمير ذلك؛ فإنَّه قد عجزت فرنسا بفضل ابنائها؛ لذلك فإنَّ اسلوب النداء من العناصر الاشارية البارزة في عملية التخاطب إذ عن طريقه استطاع الشاعر توظيف المعاني المنسجمة وايصالها الى ذهن المتلقي لتكون دلالة على تضامنه عبر تلك الاستراتيجيات الخطابية على وفق عملية التخاطب التواصلية بين المتكلم والمخاطب[٤٣] .

ولدلالة اسلوب النداء في مطلع الكلام أهمية كبرى؛ لكونّه يوجه اذهان المتلقين الى الاهتمام بموضوع المنادى ولاسيما عندما تتضافر عناصر التواصل اللغوي مع السياق لتبرز ظاهرة أو صفة ما حينئذ يكون الاخبار بالنداء أبلغ فضلاً عن كونه يحمل تراكماً ولا سيما لمعانٍ جمة [٤٤]؛ ولأنَّه

---

[٤٣] ينظر: باديس، ٢٠٠٩، ٢٤٧ .

[٤٤] ينظر: الماضي، ٢٠٠٩، ٢٣ .

أغلب ما يستعمله الشاعر على سبيل المجاز الذي يخرج الى معاني الحقيقة ولا سيما في نداء غير العاقل لتنزيله منزلة العاقل(٤٥).

ويمكن القول إنَّ المعنى هو الاستعمال اللغوي لأيِّ عمليةٍ تواصلية سواء أكانت بين أفراد معينيين في مجتمع ما أم بين الانسان وذاته حينئذٍ يمكن أنْ تتعين اللغة لتؤدي وظيفة مفادها ذلك التواصل وهذا ما لفت انتباه علماء اللغة الأوائل ومنهم ابن جني(ت ٣٩٢ هـ) واصفاً اللغة بتعريف فتح الباب للنقاش والحوار ونقطة انطلاقة لعملية التواصل اللغوي بوصفها أصواتاً يعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم وحاجاتهم ورغباتهم(٤٦) وهذه الأصوات تبدأ في بنية الكلمة ودلالتها داخل التراكيب لتبدأ بتشكيل بنية النص عن طريق تضافر تلك الألفاظ من حيث الشكل فضلاً عن المضمون مع شيءٍ أساسي في تلك العملية التواصيلة الا وهو السياق، إذ يضفي جمالية على الأساليب النحوية فضلاً عن اعتماد تحليل معاني النص يتطلب تحليل السياقات والمواقف التي تمر فيها(٤٧) .

ومن أمثلة ذلك اسلوب النداء الذي يعتمد على سياق الحال في معرفة المعانِ الدقيقة، إذ يمكن ان يتغير معناه وفقاً لطبيعة نطقه ومن ذلك يقول مفدي زكريا(٤٨):

---

(٤٥) ينظر: أبو عبيدة، ١٩٥٤، ٣١٦/١، توفيق، ٢٠٠٨، ٢٤٤ .
(٤٦) ينظر: ابن جني، ٢٠١٣، ٣٣ .
(٤٧) ينظر: لحمادي، ٢٠٠٨، ٩ .
(٤٨) زكرياء، ١٩٨٧، ٢٠ .

جزائر يا لِحكاية حبيّ

ويا من حملت السلام لقلبي

نلحظ أنَّه يوظف النداء في مطلع هذه المقطوعة بثلاثة أشكال لتأدية معنى يكون بمثابة بوابة الدخول كما يراد أنْ يبثه من معانٍ متزاحمة في رصيده المعرفي، إذ بدأ بحذف أداة النداء لجلب عناية المتلقي فضلاً عن تضامنه معه عن طريق حذف أحد طرفي النداء في ندائه (جزائر)، وهذه سمة غالبة في استعمالات الشاعر لأسلوب النداء الذي استعمله عندما ينادي (الجزائر) وكأنّه يعمد الى حذفها ليُثير المتلقي إذ ما علمنا أنَّ حذفها يأتي لدلالة قرب المنادى من المنادي، وهو أسلوب قرآني، إذ ورد في الاستعمال القرآني في مواطن كثيرة، ومنها على سبيل التمثيل قوله عز وجل : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ ﴿ يوسف :٢٩ ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ ﴿ الحشر/١٠﴾، وغيرها .

اذن حذف الاداة يشير الى دلالة القرب في عملية التواصل اللغوي، وهذا يشير بدوره الى الإستراتيجية التضامنية بين المنادي والمنادى، ثم يستعمل مفدي زكريا صيغة اخرى من صيغ النداء إذ يخرج الى معنى التعجب (يالحكاية حبيّ)، ومعنى هذا الحب يشير الى الواقع غير المتوقف بدلالة زمن معين، وإنَّما تضامن الحب ليصبح حكاية تعجب منها المتكلم قبل المتلقي، وفيها عجب تضامني– كما اعتقد –، ثم ينتقل الى صيغة اخرى في نداء الاسم الموصول الذي يشتهر بصلته التلازمية معه (يا من حملت السلام لقلبي)، وكأنّ النداء طوع يده في حركية المعاني التي يريد أن يثبها للمتلقي.

يقول مفدي زكريا [٤٩]:

ويا من سكبت الجمال بروحي

ويا من اشعت الضياء بدربي

وهكذا يوظِّف شاعرنا اسلوب النداء ومعانيه توظيفاً تضامنياًعلى وفق بثه لمعانٍ متراكمة في ذهنه لينقلها الى المتلقي وهو يؤكد في مطلع مقطوعته على نداء لفظة (جزائر) بحذف طرفي النداء وهو الاداة . يقول [٥٠]:

جزائر انت عروس الدنا

ومنك استمد الصباح السنا

وقد نجح مفدي زكريا في استعمال الاشاريات الشخصية – ولا سيما النداء – في بيان المقاصد التي أراد ايصالها الى المتلقي وبيان مكانة الجزائر في نفوسهم وكون الاهتمام والعناية بتبليغ القصد والتعبير عنه: " وتفعيل التضامن في حياة الناس في ممارسة حياتهم بحرية من قضيتهم الاساسية وهي الجزائر بكل ما تحمل هذه الكلمة من دلالات ومعانٍ في ذهن المتكلم، ولذلك عُدت الاستراتيجية التضامنية شاهداً على كفاية المخاطب التداولية التي تستثمر الكفاية اللغوية في مستواها الدلالي[٥١].

ولعل تركيز مفدي زكريا على لفظة (جزائر) كونه منادياً محذوف أداته، له معانٍ عميقة في نفسه فضلاً عن المتلقي وحذفها لعلم المخاطب؛ لأنَّ

---

(٤٩) م ن، ٢١ .

(٥٠) م . ن ٢٢ .

(٥١) ينظر:الشهري، ٢٠٠٤، ٢٦١، ٢٨٢ .

مرجع الخطاب (جزائر) معلوم من طرفي العملية الخطابية وهي قضيتهم، ولا يمكن استعمالها على سبيل المجاز وهي حقيقة تجمع طرفي الخطاب .

ولعل استعمالات الشاعر للنداء لم تقف عند حدٍّ معين فهي مبثوثة في إلياذته[٥٢] بكثرة لكن اختصرنا ذلك لضيق المقام .

أبرز نتائج البحث وتوصياته

١ـ تُعدُّ الاشاريات الشخصية في إلياذة الجزائر مساهمة بشكل فعَّال في التماسك النصي الذي نجح الشاعر في رصف المعاني المتراكمة في ذهنه ليوصلها للمخاطب.

٢ـ أفاد الشاعر من تكرار الاشاريات الشخصية في رفد المخاطب بمعلومات جمة عن المرجع الاساس في نص الشاعر وهو الجزائر.

٣ـ وظّف الشاعر قضيته في بنية نصية كان بطلها المخاطب والمتلقي.

٤ـ أوصي الباحثين في مجال الدراسات العليا بضرورة دراسة النصوص التي تتسم بالوطنية فضلا عن تلك التي تبرز ثورات المظلومين على الطغيان المتمثل بالاستعمار الذي لا يهمه غير نهب ثروات الشعوب.

---

[٥٢] ينظر: زكرياء، ١٩٨٧، ٣٧، ٥٥، ٦٧، ٧٣، ٧٩، ١١٠، ١١١ .

المصادر والمراجع:

١ـ ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢ هـ) الخصائص/ تحقيق غبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١٣.

٢ـ ابن يعيش (موفق الدين ابن يعيش ت ٦٤٣ هـ) شرح المفصل/ تحقيق أحمد السيد، وإسماعيل عبد الجواد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت.

٣. ابو عبيدة (معمر بن المثنى ت ٢١٠ هـ) مجاز القران/ تحقيق الدكتور محمد فؤاد، مط السعادة، مصر، ط١، ١٩٥٤ .

٤ـ الاندلسي(أبو حيان الاندلسي ت ٧٤٥هـ) ارتشاف الضرب من لسان العرب/ تحقيق مصطفى أحمد النماس، مط المدني، القاهرة،ط١، ١٩٨٧.

٥ـ أنيس(إبراهيم أنيس) من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو، القاهرة،١٩٨٧ .

٦. باديس (نرجس باديس) المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي ٢٠٠٩ .

٧ـ بشر(الدكتور كمال بشر) دراسات في علم اللغة، مطابع دار المعارف، مصر،ط٢، ١٩٧١ .

٨. توفيق (الدكتور معن توفيق) النداء في القران الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨ .

٩ـ الجرجاني(عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٦هـ) دلائل الاعجاز/ قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢ .

١٠ـ دنوقة (الاستاذة فوزية دنوقة) ضمائر العربية المفهوم والوظيفة بحث منشور في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة الجزائر. ٢٠١٠ .

١١ـ ديكرو(آوزالد ديكرو ـ جان ماري سشايغر) القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان ترجمة الدكتور منذر عياش، المركز الثقافي العربي، بيروت، د ت.

١٢. زكرياء(مفدي زكرياء) إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٧ .

١٣ زينة (د صفية بن زينة) أسلوبية التكرار في شعر مفدي زكريا ـ ديوان اللهب المقدس نموذجاً، جامعة الشلف، الجزائر، بحث منشور في الانترنيت .

١٤. الشهري(الدكتور عبد الهادي بن ظافر)استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب العربي الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ .

١٥ ـ عبد الرحمن (الدكتور طه عبد الرحمن) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط١، ٢٠٠٠ .

١٦ـ عبيد(الدكتور عبد المنعم جبار عبيد) الاناشيد الوطنية العربية دراسة أسلوبية، دار الكفيل للطباعة، بحث منشور في مجلة العميد السنة الخامسة، المجلد الخامس، العدد السابع عشر، العراق، ٢٠١٦ .

١٧ـ العوادي (الدكتور أسعد خلف) سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١ .

١٨. فارس(الدكتور أحمد محمد فارس) النداء في اللغة والقران، دار الفكر اللباني، بيروت، ط١، ١٩٨٩ .

١٩. كنوش (الدكتور عواطف كنوش) الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط١، ٢٠٠٧ .

٢٠. لحمادي (الأستاذة فطومة لحمادي) السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي، بحث منشور في مجلة كلية الاداب واللغات العددان الثاني والثالث، جامعة محمد لخضر، بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٨ .

٢١. لويس(م.م لويس) اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، دار إحياء الكتب الوطنية، القاهرة، ,١٩٥٩

٢٢الماضي (الدكتور سامي الماضي) الدلالة النحوية في كتاب المقتضب للمبرد محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ٢٠٠٩.

٢٣ـ الماضي (الدكتور سامي الماضي) قصدية الخطاب في نهج البلاغة ـ دراسة في مفهوم المعنى بين المتكلم والمخاطب ـ بحث منشور في العدد الخاص لمؤتمر علوم نهج البلاغة جامعة الكوفة، العراق، ٢٠١٥ .

٢٤. مختار (دار قاوي مختار) من العلامة الى المعنى دراسة لسانية ودلالية لدى علماء الاصول اطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون جامعة وهران، الجزائر،٢٠١١ .

٢٥ـ مطلوب (الدكتور أحمد مطلوب) معجم المصطلحات البلاغية في اللغة العربية وتطورها، المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٩٨٦ .

٢٦. نحلة (الدكتور محمود أحمد نحلة) الضمائر المنعكسة في اللغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠ .

إدارة التعليم والمنصات (الافتراضية) نحو المستقبل (الجامعي) الرائد

الأُستاذة المساعدة الدكتورة

صفا رضا عبيد الشمري

مركز التعليم المستمر/ جامعة النهرين

الملخص:

أخذت معظم دول العالم تتجه نحو الأخذ بأسلوب التعلم الافتراضي لتلبية الحاجات التعليمية والتدريسية ومعالجة الكثير من المشكلات التي تعاني منها المؤسسات التعليمية مدركة اهمية تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وأثرها في الربط بين المنتج المعلوماتي والمستخدمين لهذا المنتج كما لعبت وسائط الاتصال دوراً مهماً بين اوساط المتعليمين مما سهل سرعة ومتانة وإتقان التعلم الافتراضي، لذا بين الحين والاخر متابعة التحديث لهذا الاسلوب التعليمي ووضع اسس متينة وبنية اساسية له وتسير ذلك للطالب والمدرس للارتقاء بخبرتيهما ومهاراتهم العليمية لتجاوز معظم العقبات التي قد تعترض النظام التعليمي القائم.

المقدمة

برزت الكثير من التوجهات الحديثة التي ظهرت في العملية التعليمية حاليًا، والتي من الضروري أن يدركها ويلاحظها التربويون ويستفيدوا منها بشكل كبير وهي: التعاون أو التعلم التعاوني، والأجهزة الرقمية الذكية؛ لزيادة

فاعلية طرائق البحث والاكتشاف والابتكار السريع في حل المشكلات التي من شأنها التغلب على التحديات الكبيرة التي تواجه التربويين والعملية التعليمية بكافة عناصرها، ومن ثَمَّ تمكين المدرسين من الارتقاء بمهارات طلابهم، حيث إنهم أكثر دراية بطلبتهم وبطريقة تعلمهم. ونظرًا للتطور السريع في المحتوى الدراسي يجب التأكيد على أن المدرسين هم من يقومون بتطبيق المحتوى واستخدامه بشكل يومي وتمكينهم بالخبرات التعليمية اللازمة التي تشجع على الإبداع وتنمية التفكير. حيث برزت الحاجة الملحة لمواكبة تقنيات ومتغيرات الحياة، التي يتفاعل معها الطلاب بشكل يومي، حيث توجب على التربويين البحث عن وسائل جديدة تواكب هذا المستوى المتطور ذهنيًا وتقنيًا، واستخدام تلك التقنيات في الجانب التربوي وفي الصف الدراسي بدلًا من قصرها على مجالات التي تعود بالنفع القليل على الطلاب، وبصفة أن التعليم هو مجموعة من الممارسات والإجراءات والعمليات التي تقوم بها هيئات تعليمية مقصودة أو غير مقصودة لإحداث التعلم لدى المتعلم، والتعلم ناتج عن تدريب وممارسة وخبرة، ويختلف بين شخص وآخر على وفق قدرات كل شخص واستعداداته ودوافعه؛ لذا كان من المهم على للمدرسين استخدام المنصات التعليمية لرفع مستوى المعرفة والإدراك لدى الطلبة عن طريق فتح حوارات علمية بينهم وبين طلبتهم، وإدخال أساليب جديدة تشجع على طرح الأفكار والإبداع، وتعزز روح التواصل بينهم مستفيدين مما المنصات المختلفة من خدمات تساعدهم على بناء تدريبات طرائق تدريس مختلفة تساعد الطالب على المذاكرة، أو إضافة المقررات والإعلانات والواجبات، وتكوين حلقات نقاش ومجموعات للدراسة على مدار الساعة فضلا عن فتح

المجال للبث المباشر للمحاضرات لمن لم يسعفه الحظ في الوصول إلى قاعة التدريس، فضلا عن إلى وضع ساعات مكتبية لنفسه يمكن من خلالها التواصل مع الطلبة وطرح الأسئلة وتلقى الإجابة بسرعة جيدة. كل ذلك من أجل تسهيل المعلومة للطالب وخلق بيئة تعليمية شفافة وتفاعلية يكون فيها الطالب مشاركًا بدلًا من أن يكون متلقيًا للمعلومات.

تُعدُّ المنصات التعليمية عبر الإنترنت من أحدث منتجات تقنية الاتصالات وأكثرها شعبية، ولقد أحدثت هذه المواقع تغيرًا كبيرًا في كيفية الاتصال والمشاركة بين الأشخاص والمجتمعات وتبادل المعلومات. وملأت الدنيا وشغلت الناس، وأصبحت عالمًا بلا حدود، متاحًا للطلاب للاستفادة من العلوم المختلفة في أي وقت بدون قيد أو شرط، وأزالت العوائق والصعوبات وصارت منبرا للتعلم النشط والتعلم المعكوس. حيث تتنافس الشركات المختلفة على إيجاد منظومة تكنولوجية لتفعيل التعلم عن بعد عبر المنصات التعليمية، وذلك بتوفير بيئة آمنة ومغلقة بين الطلاب والمعلمين لامكان فيها لأي مشوش أو منغص بعيد عن التربية والتعليم، فالمعلم لديه التحكُّم والإدارة الكاملة، وينضمُّ الطلاب للفصول من خلال دعوتهم من معلميهم فقط، وتسعى هذه المنصات، إلى ان تكون سهلة الاستخدام، وتسعى إلى تقديم واجهات سهلة ومألوفة للطلاب، ولخلق مجتمع عالمي لتبادل الخبرات والمعارف والتجارب بين مجموعات مغلقة من الطلبة والمعلمين، لنقل أسلوب التعلم والتدريس ليتوافق مع القرن الحادي والعشرين، الذي يعتمد على البيئة الرقمية و الأجهزة الذكية و التفاعل الافتراضي والتعلم الجماعي والتعلم الذاتي المستمر ومهارات التفكير وحل المشكلات.

ساهم إغلاق الجامعات والمدارس في معظم دول العالم بسبب الانتشار الواسع لوباء كورونا، بتفعيل الكثير من منصات التعلم عبر الإنترنت لتقديم العديد من الدورات التدريبية ضمن مستويات مختلفة للطلاب والجامعيين وحتى العاملين في مجالات الصحة أو الفنون الإبداعية.

مصطلحات البحث

المنصات التعليمية المفتوحة هي عبارة عن مواقع عبر الإنترنت تمكن المتعلمين من دراسة مقررات تعليمية على وفق خطة زمنية معينة بساعات محددة أسبوعيًا، حيث تتيح للمتعلمين الدراسة في أي وقت عبر محاضرات مرئية مسجلة، وتكون مترافقة مع نظام التعليقات والدردشة والأسئلة بين المحاضر والمتلقي، وتشمل الأنظمة اختبارات أسبوعية أو شهرية ونظام علامات، حيث تنتهي الدورة بشهادة حضور بعد النجاح في الاختبارات الافتراضية، ترسل عبر (إيميل) المشترك أو ترسل نسخ كرتونية برسوم عبر البريد في بعض الدورات (المرسال، ٢٠١٩).

التعلم عن بعد: تعليم رسمي قائم على المؤسسات حيث يتم فصل مجموعة التعلم جغرافيًا وحيث يتم استخدام أنظمة الاتصالات التفاعلية لتوصيل المتعلمين والموارد والمعلمين" سيمنسون، زفازك وسمالدينو (Simonson, Zvacek & Smaldino٧)

التعلم الافتراضي: نظام تعليمي يستخدم تقنيات المعلومات وشبكة الحاسوب في تدعيم نطاقات العملية التعليمية وتوسيعها من خلال مجموعة من الوسائط، الحاسوب، الإنترنت، البرامج الافتراضية (سالم، ٢٠١٧: ١)،

وينقسم التعلم عن بعد إلى نوعيين أساسيين هما: الاتصال المباشر (التزامني)، والاتصال غير المباشر (التعلم غير التزامني).

-**التَعلم التزامني:** وهو تَعلم شبيه بالفصول الدراسية الحقيقية، حيث يجري عبر الغرف التعليمية عبر الإنترنت، وينطوي على المشاركة الفعالة في الوقت نفسه بين كل من المُحاضر والمتعلمين، أو المتعلمين بعضهم مع بعض، فيجري التفاعل من خلال الدردشة والرسائل الفورية، أو اجتماعات الصوت والفيديو، ما يساعد على المُتابعة المُستمرة وإضفاء الطابع الشخصي على عملية التعَلّم. لا يتم إجراء هذه الأنواع من عروض الدورات التدريبية في الوقت الفعلي يتم تزويد الطلاب بالمحتوى والواجبات ويتم إعطاؤهم إطارًا زمنيًا؛ لإكمال عمل الدورة والامتحانات. عادة ما يتم التفاعل عبر لوحات المناقشة والمدونات ومواقع (الويكي) نتيجة لذلك، ليس هناك وقت اجتماع الفصل. تُعدُّ بيئات التعلم غير المتزامنة عبر الإنترنت فعالة للطلاب الذين لديهم قيود زمنية أو جداول زمنية مشغولة (Fordham University,2020).

-**التَعلم غير التزامني:** وهو التعَلّم الذي يسمح للمتعلمين باستكمال المساقات أو الدورات التدريبية بالوتيرة المناسبة لهم، وفى الوقت الذي يختارونه، لكنه لا يسمح للمتعلمين بالمشاركة والتفاعل الحيّ مع المُحاضر، على حين يوفر التواصل بين المحاضر والمتعلمين عبر لوحات الرسائل ومنتديات النقاش على عكس التعلم التزامني، فيستطيع المتعلم الولوج إلى المادة التعليمية كلما احتاج إليها في أي وقت وأي مكان. تتطلب هذه الأنواع من عروض الدورات التدريبية من المعلم

وجميع الطلاب المسجلين التفاعل عبر الإنترنت في وقت واحد. يتشابه المشاركون في الندوة عبر الإنترنت، حيث يتفاعل المشاركون عبر النص أو الفيديو أو الدردشة الصوتية. تمكن بيئات التعلم المتزامن الطلاب من المشاركة في دورة من مسافة في الوقت الحقيقي(Fordham University,2020).

دراسات سابقة

أجرى شريف والدولات (٢٠١٩) دراسة هدفت إلى تقصي أثر استخدام المنصات التعليمية في تعديل المفاهيم البيولوجية البديلة لدى طالبات الصف الثالث المتوسط، وتكونت عينة الدراسة من (٧٢) طالبةً من طالبات عدد من المدارس اسكان الجامعة الثانية الحكومية التابعة لمديريّة التربية والتعليم لواء الجامعة، توزعن في شعبتين بالتساوي، وتم تعيين الشعبتين عشوائيا، إذ شكلت إحدى الشعبتين المجموعة التجريبية، والأخرى المجموعة الضابطة. وتم تنفيذ الدراسة خلال الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨م. ولجمع بيانات الدراسة تم إعداد اختبار تشخيص المفاهيم البيولوجية البديلة، وبعد التحقق من صدقه وثباته تم تطبيق الاختبار على عينة الدارّسة. وخلصت الدراسة إلى وجود الكثير من المفاهيم البيولوجية البديلة، وشيوع بعضها بنسبة كبيرة، تصل في بعض المفاهيم البيولوجية الرئيسة مثل التنفس إلى (٩٦٪) والدوران (٩٣٪) والهضم (٧٠٪) والإخراج (٩٦٪). كما أظهرت نتائج الدّراسة وجود فرق دال إحصائيّاً لصالح المجموعة التجريبية في تعديل المفاهيم البيولوجية البديلة. وفي ضوء النتائج أوصت الدراسة بعدد من

التوصيات ومن أبرزها ضرورة الاستفادة من المنصات التعليمية في تدريس العلوم الحياتية لطلبة المرحلة الأساسية والمراحل كافة.

طبق حمودة (٢٠١٩) دراسة تجريبية لاستقصاء أثر تطبيق منصة التعليم الافتراضي (Moodle) في مستوى طلاب قسم المعلومات والمكتبات، حيث ويأتي البحث في مرحلتين؛ تم في المرحلة الاولى اجراء اختبار الافتراضي باستخدام منصة (Moodle) لعينة من طلبة قسم المعلومات والمكتبات في كلية الآداب- الجامعة المستنصرية. أما في المرحلة الثانية فقد تم انشاء استبيان يتضمن عددا من الفقرات التي تبين مدى تأثير الاختبارات الافتراضية باستخدام منصة (Moodle) على مستوى الطلاب، اثبتت نتائج البحث أن الطلاب في الغالب يؤيدون استخدام منصة (Moodle) كأداة فاعلة من أدوات التعليم الافتراضي، فضلا عن السهولة والسلاسة التي يتمتع بها هذا النظام. كما يقدم البحث عددا من الاهتمامات بتطبيق اليات التعليم الافتراضي وخصوصا منصة (Moodle)؛ لما لها من ميزات جيدة من شانها الارتقاء بالعملية التعليمية في المؤسسات التعليمية.

أجرى الزهراني (Al-Zahrani ، ٢٠١٥) دراسة هدفت إلى دراسة تأثير الفصول المعكوسة على تعزيز التفكير الإبداعي لدى الطلاب. تم تجنيد الطلاب من كلية التربية في جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية في الفصل الأول من عام ٢٠١٤. تم استخدام تصميم بحثي متعدد الأساليب لمعالجة أسئلة البحث. أولاً، تم تنفيذ تصميم شبه تجريبي من مجموعتين. استخدمت المجموعة الأولى الاستراتيجية القائمة على المحاضرة (ن = ٢٨)، وقد استخدمت المجموعة الثانية الفصل الدراسي المعكوس

(ن = ٢٧). ثانيًا، تم توزيع استبيان استقصائي لتقويم آراء الطلاب في الفصل الدراسي المعكوس وأثره في تعزيز الإبداع والصعوبات التي واجهها الطلاب في هذه الاستراتيجية. تشير النتائج إلى أن الفصول الدراسية المعكوسة قد تعزز إبداع الطلاب، ولا سيما فيما يتعلق بطلاقة ،المرونة والجدة. علاوة على ذلك، نظر الطلاب إلى الفصل الدراسي المعكوس بوصفهِ نهجًا قد يسهل إبداعهم بشكل كبير. ومع ذلك، ارتبطت الكثير من الصعوبات بالفصل الدراسي المعكوس، خاصةً الإعداد المحدود للطلاب لهذه الاستراتيجية. وبناءً على ذلك، يجب أن يكون الطلاب على استعداد لاستخدام الفصل الدراسي المعكوس وأن يتم تزويدهم بأدوات التعلم الافتراضي المناسبة. فضلا عن ذلك، من المهم مراعاة العبء الدراسي للطلاب وتوفير أنشطة هادفة داخل الفصل. يجب أن يكون الطلاب على استعداد لاستخدام الفصل الدراسي المعكوس وأن يتم تزويدهم بأدوات التعلم الافتراضي المناسبة.

فوائد المنصات التعليمية على الطالب

التعلم عبر المنصات التعليمية على توظيف مفهوم الصف المقلوب Flipped Classroom في التعليم، حيث يوفر بيئة متكاملة تستجيب لكل حاجيات الطلاب الدراسية وشروط التدريس وأدواته. فهو بذلك يساعد على رفع قدرات الطلبة و مستوى إدراكهم، و ينمي مهارة التعاون والتفاعل و المشاركة بالأفكار لحل المشكلات، وتطوير أدائهم و اطلاعهم على المستجدات في مجال دراستهم ورفع جاهزيتهم للتعلم بشكل أفضل.

كما يساهم التعلم عبر المنصات التعليمية في تعزيز معنى التعلم الاخضر Green Learning لما يرافقه من خفض استخدام الورق والأقراص الضوئية في التعليم ومخلفاتها، ويمكن الطلاب من استخدام أجهزتهم الشخصية، من دون حاجة إلى مزيد من التكاليف في تجهيز المدارس بأجهزة حواسيب وصيانتها وتحديثها وحمايتها، نعم لأننا اليوم نرى الأجهزة الذكية في أيدي طلابنا طوال الوقت، فلنجعل إذن استخدامها في خدمة تعليمهم (المرسال، ٢٠١٩).

ويساهم التعلم عبر المنصات التعليمية الوصول السريع والفوري للواجبات المنزلية وإشعارات المدرسة ومشاهدة الواجبات. ويزيد تفاعل الطلبة واتصالهم ببعض وتواصلهم لحل المشكلات، ويساعد الطلبة على إكمال واجباتهم وخصوصا الطلبة المتغيبين، حيث يكون الواجب على المنصة، وكذلك التقويم، مما يساعد في تنظيم الأفكار والمواعيد المهمة. يكون بوسع كل طالب الاتصال بمعلميه وبجميع الطلبة في الفصل الدراسي، يوفر التعلم عن بعد فرصة للطلاب الخجولين في المشاركة بآرائهم ونشرها. ويوسع مدارك الطلبة بالاطلاع على أحدث المستجدات في مجال دراستهم. للمنصات التعليمية أيضا الكثير من الإيجابيات حيث إنها تساهم في تحضير الطلبة للامتحانات الوطنية، وتمنحهم الفرصة في تعميق الفهم للمادة التعليمية بحسب الوقت الذي يناسبهم، فهي تهدف إلى تعليم الطلاب منهجية التعليم الذاتية بجانب أنها تيسر التعلم للفئات الخاصة والمتغيبين لظروف قاهرة، وتعطي الفرصة للتعليم للمقيمين في مناطق بعيدة ومعزولة وبخاصةِ الإناث، فهي تساعد الجميع على مراجعة ومتابعة الدروس، وتستفيد

المنصات التعليمية من خدمات الأساتذة المتقاعدين ذوي الكفاية وتشجع الطلبة والأساتذة على تبادل الدعم والمشورة بينهم، فهي تساعد على سهولة الوصول إلى المعلومات في أي وقت، توافر المادة العلمية والتعليمية في أي مكان وزمان، التشجيع على البحث الدائم.

أما فوائد المنصات للمعلمين فهي تمكنهم من تقييم أعمال الطالب أو الطلبة والاطلاع على واجباتهم ودرجاتهم، وتعمل على سهولة اتصال المدرس بأهالي الطلبة، وسهولة اطلاع الأهالي على مستوى أبنائهم، وتساعد المنصات على اتصال المدرس بزملائه المدرسين في نفس المدرسة أو من خارج المدرسة لتبادل المواد والأفكار، وتعمل على اختصار الوقت؛ وذلك بوضع موضوع معين على المنصة ثم مناقشته مع الطلبة، وزيادة فاعلية المعلمين لتعدد طرائق التعليم، وهذا يساعد الطالب في اختيار الطريقة التي تناسبه في تلقي الدروس، وهذا يساعد في اختصار الوقت والجهد وزيادة الكفايات في تحقيق الأهداف التعليمية. يساعد التعلم عبر المنصات التعليمية على تغيير المناهج والبرامج بسرعة كبيرة على الإنترنت، بما يتناسب مع متطلبات العصر والخطط التي تسير عليها الوزارة، كما وتشكل منصات التعلم عن بعد حلاً لمشاكل الاكتظاظ في الصفوف وضعف البنية التحتية للمدارس والتي يعاني منها الكثير من المدرسين.

أضرار المنصات التعليمية

قد يقلل الاتصال عبر الإنترنت من المواجهة المباشرة بين الطالب والمدرس، تزيد المنصات التعليمية من إمكان وقوع الغش في الاختبارات التي

يستخدمها الطالب عبر الإنترنت، وأن هناك إمكانية إساءة استخدام معلومات الطالب من أشخاص في حالة قرصنة الإنترنت، ومن ناحية أخرى فإنّ زيادة عدد السّاعات التي يقضيها الطّالب أمام جهاز الحاسوب قد تؤدي إلى بعض المشاكل النفسية أو الاجتماعية. قد يكون البرنامج عائقًا وبخاصةٍ للطلبة الذين لا يمتلكون حواسيب خاصة بهم، وقد يكون الاتصال بشبكة الإنترنت واحتمال انقطاعها عائقًا عن التواصل والتفاعل مع المدرس والطلبة. ويوجد عقبات أخرى للمنصات التعليمية مثل: غياب الدعم الحقيقي من المؤسسات الرسمية وقلة الكفايات التي تُعنى بتطوير التعليم الذاتي، وغياب ثقافة التطوع والمبادرة من أجل إنتاج مواد تعليمية مجانية، فقدان الجانب الاجتماعي للتعلم. خفض مستوى الإبداع والابتكار في إجابات الامتحانات، فيكون على الطالب أن يجيب بإجابة البرنامج نفسها وليس هناك مجال لمناقشة الإجابة أو فهمها بطريقة مختلفة، الحاجة إلى وجود متخصصين؛ لإدارة أنظمة التعليم الافتراضي؛ لأنه نظام غير بسيط ويحتاج إلى دراسة وذكاء في التنفيذ والتطبيق، ويحتاج إلى وجود كادر مؤهل وقادر على إدارة هذا النظام التقني، وجود عدد كبير من المعلمين الحالين غير القادرين على استخدام التقنية الرقمية بطريقة تمكنهم من التعامل معها، يحتاجون إلى عقد دورات مكثفة لمساعدتهم.

أمثلة على منصات تعليمية

أولا: المنصات الأجنبية

إدمودو edmodo

هو منصة اجتماعية مجانية توفر للمعلمين والطلاب بيئة آمنة للاتصال والتعاون، وتبادل المحتوى التعليمي وتطبيقاته الرقمية فضلا عن الواجبات المنزلية والدرجات والمناقشات. تجمع edmodo بين مزايا شبكة الفيس بوك و نظام بلاك بورد لإدارة التعلم LMS، وتستخدم فيها تقنية الويب ٢,٠ . يستخدم المنصة حاليا أكثر من ٤٧ مليون عضو من المعلمين والطلاب ومديري المدارس وأولياء الأمور. وهي بذلك تستحق لقب أول وأكبر شبكة تعلم اجتماعي بالعالم. جاءت فكرة برنامج الإدمودو من «جيف أوهارو ونيك برج». حيث كانوا يعملون في قسم المساندة الفنية في مدارس بمنطقة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية. نتيجة لانقطاع ذلك التواصل بين الطلبة بمجرد دخولهم المدرسة؛ لذا جاءت فكرة دمج تقنية التواصل الاجتماعي الفيس بوك مع البلاك بورد بحيث يدير المدرس العملية التعليمية من خارج الفصل الدراسي وخارجهِ بطريقة آمنة وسهلة، أي يستطيع الطلبة استخدام البرنامج في أي وقت وفي أي مكان (الناصر، ٢٠١٣).

كايا: عبارة عن منصة تعليمية عالمية مجانية أنشئت في أكاديمية القيادة الإنسانية، وهي منظمة غير حكومية غير ربحية، وجزء من منظمة إنقاذ الطفولة، وهي مؤسسة خيرية مسجلة في المملكة المتحدة، وهي مصممة خصيصًا لتقديم دورات للعاملين في القطاع الإنساني. توفر المنصة فرصًا للتعلم عبر الإنترنت والمباشر على حدٍّ سواء تتعلق بمجموعة واسعة

من الموضوعات، بدءًا من أساسيات العمل الإنساني وحتى المجالات التقنية والبرمجة، زيادة على أدوات التطوير الشخصي والمهني تتمثل مهمة جامعية القيادة في تدريب عمال الإغاثة للتحضير والاستجابة لمواجهة الأزمات في بلدانهم. مع انتشار فيروس كورونا الجديد. يسمح تطبيق الهاتف المحمول للمستخدمين بتنزيل الدورات التدريبية حتى يتمكنوا من متابعة التعلم بغياب الاتصال بالإنترنت، ثم تحميل تقدّمهم إلى ملف التعريف الخاص بهم بمجرد إعادة الاتصال بالإنترنت (الناصر، ٢٠١٣).

ثانيا: المنصات التعليمية العربية

إدراك: هي منصة تعليمية غير ربحية تقدم دورات مجانية عبر الإنترنت، أطلقت المنصة في عام ٢٠١٤ في الأردن، وعملت مع إدكس التابعة لمعهد ماساشوستس بجامعة هارفارد الذي يسعى إلى جعل التعليم عالي الجودة باللغة العربية في متناول أي شخص لديه اتصال بالإنترنت. تقدم إدراك دورات على منصتين: التعليم المستمر، للبالغين، والتعليم من الروضة حتى الصف الثاني عشر، مع موارد للمعلمين وأولياء الأمور والمتعلمين في سن المدرسة. تم تصميم الدورات التدريبية على منصة K-12 لتتماشى مع المناهج الدراسية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (إدراك، ٢٠٢٠).

رواق: هي منصة عربية للتعليم المفتوح، أنشئت في المملكة العربية السعودية، وذلك بهدف توفير مواد دراسية جامعية مجانية عالية الجودة باللغة العربية في مجموعة متنوعة من المجالات والتخصصات، مقدمة من جامعيين متميزين من جميع أنحاء العالم العربي. تستهدف رواق جميع أنواع

المتعلمين، بما في ذلك طلاب الجامعات الذين يسعون إلى تطوير معارفهم في مجال تخصصهم، والموظفين الحريصين على استكشاف مجال جديد، والأشخاص الذين يستمتعون ببساطة بالتعلم بمفرده، ومن مبادئ هذه المنصة الإيمان بقيمة الدورات المفتوحة عبر الأنترنت، وتعتقد أن العالم العربي يستحق امتلاك منصته التعليمية الخاصة به حيث يلتقي العرب من ذوي الكفايات العلمية والعملية العربية لمخاطبة جمهورهم بلغتهم العربية مباشرة من دون الحاجة إلى الترجمة(باكير، ٢٠٢٠).

مستقبل التعلم عبر المنصات التعليمية

أدت الجائحة العالمية الحالية المستقبل المتوقع للعالم. فأزمة كورونا تغير العالم وتعيد بناءه، الأمر الذي سلّط الضوء على التحديات التي تواجه نظم التعليم في ما يتعلق بضمان استمرارية تعلم التلاميذ والدروس المستفادة خلال أزمة كورونا، والى التعمق في الخطط والاستراتيجيات المقترحة وتحليلها لتحديد إطار لرؤية التعليم بعد جائحة كورونا خلقت الجائحة تحدي بالنسبة لجودة التعليم المقدم مما يفرض على الانظمة التعليمية وضع أطر جديدة لقياس جودة التعليم لديها ومعالجة الفجوة الرقمية الموجودة بين الطلبة والمعلمين، فقطاع التعليم بحاجة إلى وضع إطار عالمي للتنسيق والتعاون وبناء شراكات فاعلة بين المؤسسات العامة والخاصة؛ حتى يحصل كل الطلاب حول العالم على تعليم منصف و ذي جودة. من ناحية أخري يرى بعضهم أن هذه التغييرات التي فرضتها الجائحة سوف تستمر الايجابية منها بعد الجائحة ومن هنا فأنه من المهم على الأنظمة إيجاد طرائق مختلفة

لإعداد المعلم بطريقة خلّاقة تكسبه المهارات المطلوبة للتعامل مع هذا الواقع المتغير للعملية التعليمية. وكذلك فإن الأنظمة يجب عليها مراجعة مصفوفة المهارات التي تعطى للطلبة وتحديثها بشكل يجعل الطلبة أكثر استعداداً للمستقبل واليس (Wallace, 2013).

حيث إن الفرصة ما تزال سانحة لتحويل هذه المحنة إلى منحة إذا تم فعلا تدارك مجموعة من العناصر التالية: الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في العملية التعليمية، إعداد المعلمين إعدادا مهنيا حقيقيا، اعادة النظر في أساليب التقييم وقياس انجازات الدارسين بدءًا من امتحانات الفرصة الواحدة وصولا إلى التقييم المستمر لتقدّم الدّارس ومن الاختبارات الموحدة إلى تفريد أدوات القياس بحيث لا يعتمد على مقياس واحد لمدى حدوث التعلم من عدمه ناروت و دوسيت (Nawrot, I., & Doucet, 2014) . ومن الضروري التطور والتحديث الشامل لجميع المشاركين في المنظومة التعليمية، بما في ذلك راسمي السياسات ومتخذي القرار، فضلا عن التحول الرقمي في إدارة المنظومة التعليمية والإشراف التربوي.

ويتعين قياس مخرجات أي منظومة تعليمية على وفق أساسيات أهمها بناء إطار متابعة ورقابة متكامل لتقييم الأداء، وتوفير منظومة قياس ذكية، وقياس الأثر، فضلاً عن أهمية العمل في اتجاه آخر، وهو تحقيق شراكات من أجل التعليم، عبر التعليم التشاركي الذي يستند إلى تبادل الخبرات، والاستثمار في التعليم على مستوى الدول بنا-لويز (Peña–López, 2015).

التفوق في التعلم عن بعد

طلبت منظمة "إنسايت ديجيتال ليرنينج" من أربعة مؤلفين كتب عن التعليم عبر الإنترنت للحصول على مشورة الخبراء الخاصة بهم في الكيفية التي يمكن بها للمعلمين ومؤسساتهم أن يتفوقوا في تعليم الدورة الافتراضية. اتفق المؤلفون على أن الفصول الدراسية عبر الإنترنت مختلفة بما فيه الكفاية عن الفصول الدراسية التقليدية التي يحتاجها أعضاء هيئة التدريس والمساعدون، لإنشاء دورات للتسليم الرقمي تختلف اختلافًا جوهريًا عن تلك التي يدرسونها في الحرم الجامعي. وقالوا إن التدريس عبر الإنترنت يتطلب تركيزًا أكثر دقة على مشاركة الطلاب أكثر مما يتطلبه الأُنموذج وجهًا لوجه كينجوي وكيد (Keengwe & Kidd, 2010) ومع ذلك ، يجب على المؤسسات والأساتذة تشجيع الطلاب المقيمين على أخذ دروس عبر الإنترنت. من أهم نصائح المؤلفين لإنشاء تعليم جذّاب وناجح عبر الإنترنت بحسب ما أورده أومالي (O'Malley, 2017) :

-تفعيل التعلم التعاوني

-التركيز على التعلم "النشط"

-تنظيم الوقت وتقسيمه بشكل غير مرهق للطلاب

-إبقاء أحجام المجموعة صغيرة

-احتضان مهام الوسائط المتعددة رامبل (Rumble, 2019) .

الخاتمة:

إنّ التعلم بشتى أنواعه لا يكون فاعلا إلا إذا زود الطلاب بالمهارات اللازمة لحل المشكلات في أي ظروف سياسية او اقتصادية أو صحية، هو التعلم الذي يساعد الأفراد غلى مواكبة التغيرات، وعلى المضي قدما، هو التعليم الذي يركز على الطالب وعلى شخصيته، حيث إننا لا نستطيع أن نحكم على تعليم بالفشل أو النجاح ما لم ننظر إلى نتائجه، فالاختراعات والابتكارات والإنجازات وجدت منذ زمن طويل، فالنجاح لا يقتصر على نوع تعلم محدد، بل يتحدد بإحاطتنا بالاستراتيجيات الفضلى لتفعيل التعلم أيا كان نوعه، ومما يجدر الإشارة إليه، ضرورة تمتع قطاع التعليم بالمرونة؛ لمواجهة أي تغيرات قد تطرأ، فالأحداث لا تتوقف، والقادم لا نستطيع التنبؤ به، كل من نستطيع فعله هو العمل تحت مظلة نظريات التعلم الأصيلة من تعلم نشط وتعلم تعاوني وتعلم ذاتي وغيره، مع الإفادة من الإمكانات والموارد المتاحة.

المراجع العربية والأجنبية

أولا: المراجع العربية

أسماء بسام شريف &, عدنان سالم الدولات. (٢٠١٩). أثر استخدام المنصات التعليمية في تعديل المفاهيم البيولوجية البديلة لدى طالبات الصف التاسع الأساسي. **مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسي**.27(6)

أبو عبيدة محمد حمودة. (٢٠١٩). أثر استخدام منصة التعليم الافتراضي Moodle على مستوى طلاب قسم المعلومات والمكتبات دراسة تجريبية .***اجب غئ الك لزتمشفيب***.98-73 ,(87)43

ادراك.(٢٠٢٠). Retrieved on 4th July 2020 https://www.for9a.com/organization/

باكير، نور. (٢٠٢٠). قائمة بأهم المنصّات التعليمية العربية التي تساعدك في تعلُّم كلّ ما تريد. **https://www.arageek.com/edu/arabic-educational-platforms**. Retrieved on 4th july 2020

الزهراني، حنان سعيد أحمد. (٢٠١٨). أثر استخدام منصة تعليمية في تنمية بعض مهارات التواصل الرياضي لدى طالبات المرحلة الثانوية في مدينة الباحة. **International Journal of Educational and Psychological Sciences**, 450(5884), 1-29.

المرسال. (٢٠١٩). الايجابيات و سلبيات المنصات التعليمية. **https://www.almrsal.com/post/841963. Retrieved on ٥th july 2020**

سالم، نصيرة. (٢٠١٧). أنظمة ومنصات التعليم الافتراضي. Dafātir al-Makhbar, 458(5836), 1-18. **https://www.arageek.com/edu/arabic-educational-platforms** Retrieved on 5th July 2020.

العنيزي، يوسف عبد المجيد. (٢٠١٧). فعالية استخدام المنصات التعليمية Edmodo لطلبة تخصص الرياضيات والحاسوب بكلية التربية الأساسية بدولة الكويت. **Scientific Journal of the Faculty of Education-Assiut University**, 452(5430), 1-37.

الناصر، إلهام. (٢٠١٣). الادمودو تصور جديد للتعليم والتدريب. Retrieved on 4th july 2020 **http://altadreeb.net/articleDetails.php**.

ثانيا: المراجع الأجنبية

Al-Zahrani, A. M. (2015). From passive to active: The impact of the flipped classroom through social learning platforms on higher education students' creative thinking. ***British Journal of Educational Technology***, *46*(6), 1133-1148.

Benta, D., Bologa, G., & Dzitac, I. (2014, January). E-learning platforms in higher education. case study. **In ITQM** (pp. 1170-1176).

Fordham University. (2020). Types of online_learning. Fordham university. (2020). **https://www.fordham.edu/info/24884/online_learning/7897/types_of_online_learning**. Retrieved on 4th July 2020.

Keengwe, J., & Kidd, T. T. (2010). Towards best practices in online learning and teaching in higher education. **MERLOT Journal of Online Learning and Teaching**, 6(2), 533-541.

Nawrot, I., & Doucet, A. (2014, April). Building engagement for MOOC students: introducing support for time management on online learning platforms. **In Proceedings of the 23rd International Conference on world wide web** (pp. 1077-1082).

O'Malley, Sh. (2017). Effective Teaching Online. **https://www.insidehighered.com/digital-learning/article/2017/07/12/7-guidelines-effective-teaching-online**. Retrieved on 5th July 2020.

Peña-López, Ismael. "Rethinking Education. Towards a global common good?." (2015).

Rumble, G. (2019). **The planning and management of distance education**. Routledge.

Simonson, M., & Seepersaud, D. J. (2018). **Distance education: Definition and glossary of terms**. Iap.

Simonson, M., Zvacek, S. M., & Smaldino, S. (2019). **Teaching and Learning at a Distance: Foundations of Distance Education 7th Edition**. IAP.

Wallace, A. (2013, September). Social learning platforms and the flipped classroom. **In 2013 Second International Conference on E-Learning and E-Technologies in Education (ICEEE)** (pp. 198-200). IEEE.

تحليل أساليب البوليفونية (ما بعد الحداثة)
في رواية ربيع حار

الدكتورة معصومة شبستري

أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة طهران ، إيران

المدرس المساعد علي محمود حبيب الشمريّ

تدريسي في كلية السلام الجامعة ، لمادة اللغة العربية وآدابها

ميلاد حضرتي

طالب ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خوارزمي، إيران

ميثم كرمي عنايت

طالب ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، إيران

الملخص:

تعدّ سحر خليفة من الروائيات الفلسطينيات الملتزمات اللاتي حاولن تصوير الظروف الاجتماعيّة والسياسيَة ومشاكل شعبها وآلامهم عبر سلاح القلم، حيث تشير إلى أحداث الانتفاضة الثانية ومسألة اتفاق أوسلو بين ياسر عرفات وإسحاق رابين في رواية "ربيع حار". إنّ خليفة تُعيدُ شرح تاريخ احتلال فلسطين والظلم الذي تحمَّلَهُ الشعب الفلسطيني وتُبيّنُ الأحاسيس والدوافع المتقابلة للشخصيات وأعمال الحكّام والمعنيين بالأمر والمسؤولين وتنتقد كلّ هذا انتقاداً صادقاً وتُدافعُ عن المبادئ والقيّم الفكرية والثقافيّة للشعب الفلسطيني.

فـي الروايـات العربيّـة الحديثـة خاصـة الروايـات الفلسـطينيّة كثيـراً ما نشاهدُ ظاهرة البوليفونيّة الباختينيّة والسبب أنّ الأرضيّة لنقل الأفكار والأفعال المختلفة والمتباينة كالالتزام للوطن والخيانـة والعزم والهوان مهيّأة في إطارٍ مثل البوليفونيّة. لقد حاول الباحثون في هذه المقالة أن يثبتوا بوليفونيّة هذه الرواية باستخراج بعض معايير البوليفونيّة وذكر نماذج منها عبر المنهج النقدي التاريخي ذي الطابع التوثيقي.

النتائج التي توصل إليها الباحثون تشير إلى أنّ الكاتب وضّحَ الحقائق المرّة الموجودة في مجتمعه عبر أهمّ استخدامات البوليفونيّة في الرواية، منها اضطراب الهويّة والتكلّميّة والتناص والسّجال الخفي ومسألة الظلم ضد الشعب الفلسطيني وأذاق الناس طعم الوعي .

الكلمات المفتاحية: الرواية؛ البوليفونيّة؛ ميخائيل باختين؛ سحر خليفة؛ ربيع حار.

المقدمة:

الأدب مرآةٌ تعكسُ حياة الإنسان والمجتمع والطبيعة. قد يبدو الأدبُ أمراً داخليّاً وشخصياً لكنّهُ لاينحصرُ في ذات صاحبه. إنّ الأديبَ ليس بعيداً عن التّحرّكات الفكريّة والاجتماعيّة الموجودة في المجتمع، بل يتأثّر بالعالم الخارج دائما ويؤثّر على الآخرين.(شيخى، ١٣٨٧: ٢) سحر خليفة تُقبلُ على نوع خاص من الأدب لبيان آلام المجتمع الفلسطيني ومشاكله وهذا

الأدبُ أداةٌ تناسبُ بيان حقائق الشعبِ وعقائده وسحر خليفة نفسها جزء من هذا الشعب.

أما سبب استخدام خليفة للرواية هو أنّ الرواية الفلسطينية مرآة كاملة للرواية العربيّة؛ لأنّها تمتلك كلّ خصوصيات الرواية العربية في كيفيّة النشأة والنّمو والتّحوّل وفي القضايا الفنيّة، لكن هذه الرواية تمتلك صفات أخرى وهي تداعيات الاحتلال الصهيوني وهذا الموضوع نفسه تحوّلَ إلى موضوع رئيس تدور حوله شخصيات الرواية وأحداثها.(طاهرى نيا ومهديان طرقبه،١٣٩٢:١٢٢) (قد يمكن اعتبار آثار خليفة ضمن الأدب الملتزم؛ لأنّ هذا النوع من الأدب يعدّ أدباً مسؤولاً له هدف ومقصد معيّن وهذا الهدف عبارة عن كشف الحقيقه الموجودة والسعي لتغييرها أو تغيير ما لا يبدو صحيحا. (ابويسانى،(١٣٩٢:٢٤٧) يسعى هذا البحث إلى تصوير زوايا من مسألة الانتفاضة الفلسطينية عبر الاستفادة من حضور شخصيات مختلفة ومتعددة في الرواية وكل من هذه الشخصيّات رمزٌ الفئة من الشعب الفلسطيني يسعى كذلك لإيصال مظلوميّة هذا الشعب إلى العالم. حضور هذه الشخصيات مع استخدامات مختلفة يوحي موضوع البوليفونيّة في الأذهان. يرى باختين أنّ الروايات البوليفونيّة أفضل وأحدث أنواع الروايات لأنّها تمهّدُ الأرضيّة للآراء والأفكار.

بيان المسألة:

يحاول هذا البحث مناقشة وتحليل مسألة فلسطين والكيان الصهيوني وتضارب الأفكار والشخصيات المضادّة تحت غطاء البوليفونيّة الباختينيّة ويناقش أيضا مواصفاتها عبر تقديم النماذج والسبب أنّ الروايات البوليفونيّة

نموذج أكمل من الرواية والتي يمكن فيها إيضاح وإبراز الأصوات والاعتقادات المتنوّعة للشخصيّات. فلذلك إنّ المسألة الرئيسة في هذا البحث هو كيف يظهر فعاليّة الروايات البوليفونيّة مقارنة بالروايات أحاديّة الصوت في نصّ الرّواية؟ وكيف تظهر خصائص البوليفونية في هذه الرواية؟ وكيف يتمّ التطرّق إلى موقع الراوي في الرواية؟

ضرورة البحث وأهميّته:

إنّ حذاقة سحر خليفة في تصوير مسألة مظلوميّة فلسطين والمقاومة والصمود وتعدّي المتجاوز إلى الشعب عبر عناصر الرواية والأفكار المختلفة و الايجابية والسلبية منها عند الشخصيات بالنسبة لهذا الموضوع تهيّأ الأرضيّة لظهور البوليفونيّة الباختينيّة وسيتمّ تصوير نماذج منها في طيّات هذه المقالة.

أهداف البحث:

نظرا إلى أنّ الروايات البوليفونيّة تتمتّع بتنوّع أفكار الشخصيات مقارنة بالروايات أحاديّة الصوت من جهة وتؤدّي إلى إيضاح حقيقة مهمّة ورئيسة من جهة أخرى، فلذلك يهدف هذا البحث إلى أن يوصل القارئ إلى هذه الأفكار وتتّضح الحقيقة من خلال الأصوات المختلفة اتّضاحاً أفضل.

سابقيّة البحث:

إنّ البوليفونيّة واحدة من الموضوعات التي تمّت كتابة الأبحاث المتنوّعة عنها، حولها لكن بالنسبة لرواية ربيع حار لسحر خليفة فلا نجد إلا أبحاث قليلة جدا أهمّها:

١ – قد تناولت الطالبة سمانة آرام (١٣٨٨) ترجمة رواية ربيع حار وقامت بتعريف موجز لشخصيتها وموقع الرّاوي في رسالتها تحت عنوان "ترجمه وتحليل رمان ربيع حار".

٢ – وقد تطرقت السيدة نوشين قاروني (١٣٩٢) في رسالتها بالتفصيل إلى بعض عناصر هذه الرّواية مثل الشخصيّات والحبكة وغير ذلك وقدّمت نماذج. عنوان رسالتها هو "عناصر داستان در رمان ربيع حار".

٣ – و قد قام علي باقر طاهري نيا وروح الله مهديان في مقالة بعنوان "دوگانگی وتقابل در رمان های سحر خليفة " بمناقشة ظاهرة الازدواجيّة وجذورها في آثار سحر خليفة وذلك سنة ١٣٩٢ شمسيا.

٤ – وفي عام ١٣٩١ شمسيا بادر روح الله مهديان طرقبة بتحليل موضوع السيميوطيقا في نقل المضمون الأسلوب ومنهج الكاتب في روايات سحر خليفة وذلك في رسالة بعنوان " بررسی ويژگی های سبکی رمان های سحر خليفه ".

٥ – هناك مقالة باسم "سحر خليفة وربيع حار: رؤية ثاقبة وموقف واضح " وقد كتبها نبيه القاسم سنة ٢٠٠٧ للميلاد وقد تناول الباحث فيها موضوع مواجهة المرأة والرجل في المجتمع الفلسطيني التقليدي.

إن الذي يميّز هذا البحث من سائره هو نظرة الباحثين إلى هذه الرواية في تناول موضوع البوليفونيّة الباختينيّة واستخراج خصائصها من النص.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث إلى المنهج الوصفي – التحليلي يقترب الى منهج تحليل المحتوى ويعني ذلك أنّ المفاهيم اللسانيّة تتحوّل إلى كشف المعاني والأولويّات وأساليب الفهم والاستدلال ولذلك تسعى هذه المقالة إلى استخراج خصائص البوليفونيّة وتناقشها على وفق نظريّة باختين وذلك عبر قراءة الرواية.

حياة سحر خليفة:

ولدت سحر خليفة سنة ١٩٤١ ميلادي في مدينة نابلس وقد حصلت على بكالوريوس في فرع الأدب الإنجليزي بجامعة بيرزيت في الضفة الغربية. (طاهري نيا وهمكاران،١٣٩٢:١٢٣) وقد انتقل بعدها إلى جامعة كارولينا الشماليّة وهناك حصلت على الماجستير في الفرع نفسه. وقد أنهت الدكتوراه في جامعة آيوا في فرع دراسات النساء.

إنها استطاعت أن تخلق فصلا جديدا في الأدب الفلسطيني عبر تعبير جميل عن وقائع مرة. هي تتحدّث عن تيارَينِ في رواياتها: أولا التعبير عن المعركة التي خاضتها النساء ضد المجتمع التقليدي والنظام الأبوي وثانياً قضيّة فلسطين واحتلالها.

www.magiran.com)) قد تمّت ترجمة عديدة من روايات سحر خليفة إلى اللغة العبريّة والفرنسيّة والألمانيّة والهولنديّة والإيطاليّة والإسبانيّة والماليزيّة والإنجليزيّة. قد حصلت على جائزة "نجيب محفوظ" للأدب (عباسي وعبدي، ١٣٩١:١٠١). إنّ رواية ربيع حار هي الرواية الثامنة لسحر خليفة

وقد تمّ طبعها سنة ٢٠٠٤ للميلاد وكانت مرشحة لانتخاب أفضل رواية عربية بجانب روايتي إلياس خوري وهو بير حدّاد. وقد تُرجمت إلى لغات متعددة ولاقت اهتماما واستقبالا كبيرين. وموضوع الرواية يدور في الأحداث التي جرت سنة ٢٠٠٠ بعد نقض إسرائيل اتفاق أوسلو والانتفاضة الثانية والحصار والقصف وقتل الشعب الفلسطيني. تشير سحر خليفة في هذه الرواية – كرواياتها الأخرى– إلى الوقائع التي حدثت خلال مدة معيّنة في فلسطين وبعبارة أخرى إنها تنقل الوقائع التاريخية بلغة فنيّة وروائية. (آرام،١٣٨٨: ٩)

ملخص الرواية:

فضل قسّام صحفي ثوري محبّ الوطن وله ابنان بأسماء أحمد ومجيد. أحمد مراهقٌ وله موهبة في الرسم لكنه خجلان وخائف ومدلّل وسلوكه يشبه سلوك البنات وعنده لكنة في الكلام. إنّ أخاه مجيد يحبّ الأغنية والغناء ويأملُ أن يكونَ نجما في هذا المجال.

في يومٍ من الايام وعلى مرتفعات عين المرجان يتعرف أحمد على ميرا وهي بنت يهودية. إنها تسرق قطّة أحمد والتي لها عيون فيروزيّة. يذهب أحمد بصحبة صديقه عيسى إلى قرب مستوطنة كريات شيبع حتى يسترجع قطته ولكن هناك يعتقلونه بتهمة الإرهاب ويلقون به في السجن. مجيد يلتقي بجاسوس اسمه الوشمي ليطلب المساعدة ويسهّل طريقه إلى مهرجان الغناء. وهذا الوشمي يقتله الثوريّون لكن يتم مطاردة مجيد بتهمة قتل الوشمي. ثمّ يلتحق مجيد بالثوريين حتى يأمنَ من شرّ الصهاينة ويصاب بناحية المخ في إحدى العمليّات ويبقى في حالة الإغماء لمدة طويلة. ثم ينقله الثوّار إلى مقرّ

ياسر عرفات والذي كان في حصار قوّات الاحتلال. يهرب أحمد من الزنزانة وهو لم يعد ذلك الولد الخائف الذي يشبه البنات في التعاملات. ثم يلتحق بالهلال الأحمر كمسعف لكي يعالج جرحى الثوار في الانتفاضة الثانية وهجمات المحتلّين إلى نابلس. في نِهاية المطاف، يتغيّر من كونه ثائرا والسبب هو علاقته ببعض القُوّاد والمسؤولين عالي المستوى ثمّ يحتلّ منصبا ومقاما لنفسه لكن أحمد الذي كان من المقرّر أن يهدم الصهاينة بيته يستشهد بعدَما رأى أنّ الصّهاينة يضربون أباه ويهجم عليهم وهو راكب سيارة الإسعاف.

البوليفونيّة:

إنّ البوليفونيّة في القصّة والرواية تحدّث عنها باختين ثم ما بعد الحداثيّين في النصف الأول من القرن العشرين. تُعرَف البوليفونيّةُ في الرواية حاليّاً كنموذج من الروايات ما بعد الحداثيّة. إنّ البوليفونيّة (poly phon) واحدة من المواصفات التي نشاهدها في الآثار مابعدالحداثيّة. إنّ البوليفونيّة متشكّلة من كلمة (polus) اليونانيّة وتعني التعدّد ومن كلمة (phoneme) والتي تعني نغمة الصوت.في الواقع هذا المصطلح يُطلَق للمحادثة التي نسمع فيها عدة أصوات.(كهنمويي بور،١٣٨٣:٦)

والذي يحدث في البوليفونيّة هو أنّ شخصيات الرواية كلها رواة ولها مكانة متساوية مقارنة بالشخصيات الأخرى التي تمتلك ثقافة أخرى و رؤية أخرى للمسائل ولايُرفَضُ كلامه أو صوته في الرواية. وقد وضعها باختين بجانب اصطلاح المحادثة. باختين يرى من جهة أنّ البوليفونيّة نتيجة العلاقة والمتجاوبيّة بين النصوص ومن جهة أخرى يعتبر حضور الأصوات المختلفة

والمتباينة أحياناً – لكنها متساوية بحسب قيمتها في النص – من المصاديق المهمة للمحادثة.(سليمى كوچى وسكوت جهرمي،٧٨:١٣٩٢) يعتقد باختين أنّ الشخصيات تتحاور ضمنيا فيما بينها عبر تعاملاتها المختلفة ولذلك يصبح السردُ نتيجةَ أفكار الشخصيات المتحوّلة ويقود فكرة الرواية وحبكتها ولهذا السبب تخرج الرواية من حالة انزواء الراوي وتدخل البوليفونيّةَ التي عنصرها المهمّ والرئيس هو المحادثة بين الراوي والشخصيات. ستكون في مثل هذه الروايات فرصةٌ للراوي لكي يعبّرَ عن أفكاره بجانب مرور أحداث الرواية ويقوم بنوعية المجتمع والشعب.

خصائص البوليفونية في الرواية:

١ – الرؤية السردية: إنّ الروائيين الحداثيين(وما بعد الحداثيين) جاؤوا ببدعة أخرى بُغيَةَ تقويةِ الجانب الذهني في رواياتهم. إنّهم كانوا يستفيدون أحيانا من عدة الرؤية السرديّة في رواية واحدة.(أستاذ محمدي والآخرين،٦٣:١٣٩٦) أما في رواية ربيع حار فتستخدم الكاتبةُ الرؤيتين السرديّتين على النحو الآتي:

أ) فعّال ما يشاء: في مثل هذه الرواية، الراوي هو الكاتب ويعلم كل شيء وهو عالم بدون مكان وزمان. في مثل هذه الحالة، سيكون الفعلُ ماضياً ويستطيع الراوي أن يرى الأحداث والأشخاص من كل الجهات والمواقع. إنّه يشاهد كلّ شيء مشاهدة كليّة ويمكن أن يكتب كثيراً من الموضوعات المختلفة التي ليست لها علاقة بالرواية. هذا نوع فيه الكاتب يصفُ الوضعيّة بكاملها ويبيّن كل شيء بشكل غير مباشرة. (اخوت،١٠٤:١٣٧١)

ب) الرؤية السردية الداخليّة: هنا الراوي من الشخصيات الرئيسة أو الفرعيّة في الرواية ويروي القصة من موقع المتكلم الوحدة (أنا). هناك نقاط إيجابيّة في نقل الرواية عبر الشخصيات الرئيسة، منها:

- القصة الخارقة للعادة التي يصعب تصديقها للقارئ يمكن أن تصبح مقبولة عنده.
- القصة تتأثر أكثر والسبب نقل تجارب الراوي وأحاسيسه من صميم القلب.
- تسهيل العلاقة بين موضوعات الرواية والمساعدة للتنسيق واستحكام تلك الموضوعات.(ميرصادقي،١٣٩٤:٥٠٩)

أما في رواية ربيع حار فنوع الراوي هو الراوي الغائب في أغلب الأحيان لكن في الفصل الثاني فالراوي يتغير من الغائب إلى المتكلم – لكنه صدفة وبدون تعمّد – ونقرأ الرواية من موقع ضمير أنا. تُروي القصة في الفصل الثاني من لسان مجيد حيث يُعيد شرح ذكريات أيام الحصار في رام الله:

- قال عيسى إنّ اليهود يُحبون القطط لكنهم يجرون لهم العمليات. قط الجيران، جيران ميرا، خلعوا أظافره عند الدكتور وقصوا بيضاته ورموها وصار المسكين مثل النسوان. حملق احمد وعاد يتاتى: لكنّ عنبر قطة مش قط! كله واحد. قطة أو قط،كله واحد. (خليفة،٢٠٠٤:١١٩)
- وقفت سعاد في الساحة.ساحة المقاطعة ومقر الرئيس حيث الوفود تتوافد والسيارات والصحافيون والأجانب وشباب بسلاح والكاكي وحطام المباني والسيارات. (المصدر نفسه:٢٩٣)

هنا الراوي هو الكاتب الذي يشرف على كلّ الأحداث وكأنّه من أهالي عين المرجان.

- ها أنا أكتب في مفكرتي حتى لا أفقد ذاكرتي وتعود إليَّ الغيبوبة. (المصدر نفسه:٢٣١)
- بدأت أجمع الأقوال عن هذا الرجل إذ فاجأني وأعاد إليّ ارتجاج المخ.ماذا يأكل، ماذا يشرب، كيف يصلي و لماذا يعيش؟ (المصدر نفسه:٢٨٢)

في هذا الأَنموذج يصبح مجيد راوياً ويتحدث عن الأحداث والوقائع.

٢ – التّناص: إنّ أوّل من وضع هذا المصطلح هو جوليا كريستيفا وقد استلهمته من باختين. إنّ هدفها من وضع هذا المصطلح هو أنّ كل نصٍّ ترجمةٌ وعاريةٌ من نصٍّ آخر فيه شواهد متعددة من نصوص أخرى حتى ينخلقَ نصٌّ جديد.(زيتوني، ٢٠٠٢ : ٦٣) إنّ النّصَّ عمليّة مُنتجة وذلك يعني أنّ ارتباطه باللغة التي يُكتب بها ارتباطٌ يُعيدُ التوزيع ولذلك في أغلب الأحيان يمكن مناقشته في مجال المنطق ولا في مجال علم اللغة فقط. إنّ النّصّ حصيلةُ تحوّل عدّة نصوص. إنّ المحادثة واليوليفونيّة أدّت إلى نشأة أرضيّة التّناص عند جوليا كريستيفا حيث لم يكن يمكن التحدّث عن موضوعات التناص بدون التطرّق إلى موضوعات المحادثة. إنّ أقوال كثيرة من نصوص أخرى تلتقي ببعضها ببعض في أجواء النص وتُحبِط أثرَ بعضها.(نامور مطلق،١٣٩٦:١٠٦) إنّ التناص في وجهة نظر جوليا كريستيفا بمعنى

تغيير وتبديل النصوص والذي يؤدّي إلى نشاط النص وتعددّ معانيه (المصدر نفسه: ١١٣)

يمكن استخراج مؤشّرينِ للتناص من هذه الرواية بإمعان النظر فيها:

١ – التناص القرآني والروائي:نحن نرى في بعض صفحات هذه الرواية أنّ الكاتب يستفيد من الآيات والروايات لتحسين تأدية كلامه وهذا بنفسه نوع من التعامل الأدبي لهذا النص مع النصوص السابقة ولافرق أن يكون هذا التعامل عينياً وصريحاً أو يكون غير مباشراً ويستفيد المكتوبات القديمة في كتاباته بصورة ضمنيّة.نشير إلى بعض النماذج التناصيّة لاحقاً:

أ) من هو هذا الاقوى من بوش؟ قالوا: الايمان؛ وصل لله أن ينصرنا وأن يكسرهم. فلا غالب لهم إلا القوة ولا حول ولا قوة إلا بالله. إن ينصركم الله فلا غالبَ لكم. (خليفة:٢٠٠٤:١٤٣)

إنّ المفهوم الذي يُستخرَج من هذه العبارات يوحي إلى الذهن هذه الآيات الشريفة:

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ سورة بقره/٢٤٩

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصر والله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ سورة محمد/٧

ب) قال لها: يا ام سعاد، الموت حق ووعد مكتوب ما منه خلاص. (المصدر نفسه:٢٦٥)

﴿كل نفس ذائقة الموت و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ سورة آل عمران/١٨٥

ج) هذا الشهيد مازال هنا على قيد الحياة والناس معه. (المصدر نفسه: ٢٨١)

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ سورة آل عمران/١٦٩

د) حياة الجرذان و الخنازير أفضل منّا. لكن الصبر مفتاح الفرج. (المصدر نفسه:٢٣٥)

هذه الجملة تشير إلى أن الكاتب قد أفاد من الحديث القيّم لأمير المومنين علي(ع) من دون أىّ تغيير في ألفاظه وتمتّع بالتناص التضميني.

هـ) وكان الباب نصف مفتوح والجد تبسمل وتحوقل وتقول لها: الله معانا أوعي تخافي.(المصدر نفسه:١٧٩)

﴿إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾ سورة توبه/٤٠

و) ومسح وجهه ثلاث مرات وصلّى لله لأنا مع الحق ضد الباطل.(المصدر نفسه:١٩٣)

﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل.إن الباطل كان زهوقا﴾ سورة اسراء/٨١

٢ – التّناص التّاريخي : نظراً إلى أهميّة تاريخ فلسطين وقضايا الفشل والمصائب التي تَحمَّلَها الشعبُ الفلسطيني، يحاول الكاتبُ أن يعكسَ مسألة "عام النكبة" و "عام النكسة ليوصل ظلم المتعدّي ضد الفلسطينيين إلى آذان كل شعوب العالم:

أ) بعد النكسة، أي بعد احتلال باقي فلسطين، تطور جدا؛ لأنّ بلدة عين المرجان كَبُرت فجأة بسبب الهجرة، هجرة أخرى أكبر من تلك. (خليفة،٢٠٠٤:١٢)

ب) فهذا الهجوم لا شبيه له ولا يقدرون على وصفه. حتى نكبة٤٨ ما كانت مرعبة بهذا الشكل، و٦٧ كانت ألعن، إذ هزم العرب بدون قتال، و٧٣ كانت بعيدة فى الصحراء وسمعنا عنها فى الإذاعات وقرانات عنها فى الجرائد والمجلات. (المصدر نفسه:٢٥٠)

٣ – الجدل الخفي: نوع من الكلام الذي يمكن فيه شعورُ حضور الآخرين بمعنى الكلام الذي يتشكل في إجابةٍ لكلام الآخرين. (باختين، ١٣٨٧:١٢٣) في هذه الرواية يشير الكاتب إلى المشاحّات الذهنيّة والأفكار الداخليّة للشخصيات ويثبت أنّه لايهتمّ إلى حضور الشخصيات الجسدي فقط وعن طريق هذا المنهج يصوّر نوعاً من القرابة بينه وبين الشخصيات.

في هذه الرواية ، تتحدّث لورا – وهي إحدى شخصيات الرواية – إلى جدتها حول تعلّقها بمجيد. تسأل الجدّةُ لماذا إنّها اختارت إرهابيّاً

لتعشقه؟ هذا التساؤل يجعل لورا تفكّر في هذا الاختيار و تشاجر نفسها في ذهنها وتؤدّي إلى محادثة داخليّة في لورا:

ابتسمت لورا لأن جدتها تصر على خلط العربية بالإنكليزى، ولأن كلمة إرهابيّ بالنسبة لها مجرّد تعبير عن فعل خطير لا يعجبهم. لا يعجب من؟ لايعجب شارون؟ ومن هو شارون؟ من هو باراک؟ من هو شامير؟ من هم هولاء؟ أليسوا مثله؟ بل اسوأ منه. كما أنه إجمل منهم، قطعا أجمل، أطول وأجمل وصوته جميل ويعزف جيتار. كم قتل هو؟ خمسة/ عشرة؟ أما هولاء فقتلوا الآلاف. على كل حال، هو لم يقتل. هرّب أسلحة وذخيرة وفجر سيارة للعسكر. فهو ايضا ليس بقاتل، بل مغامر، مثل همنجواى ورواياته وسير ووليم سكوت. كما أن المسالة نسبية. بالنسبة للناس، فهو مناضل. وللناس هناک، فهو تروررست، يعني مخرّب .(خليفة،٢٠٠٤: ١٩٨)

في قسمٍ آخر من الرواية، حينما تتكلم الحاجيّة وسعاد ولورا حول العشق وتتحدث الحاجيّة عن ذكرياتها بصدد هذا الموضوع، تسبّب الازدواجيّة والمشاحّة الذهنيّة في لورا وهي تثابر نفسها:

فهمست سعاد بقلب مذعور "لأمش ممكن!" إذ ما هذا؟ هى و المدام فى الصف نفسه؟ هى والمدام ضد الحجة؟ هى والمدام ذات الأصباغ والأضافر وريش الطاووس وكلمة فرنساوى وإنكليزى ولدغة بالراء؟ هى والمدام أم الوشمى فى هذا القصر، فى هذا الوكر، فى هذا الفخ ضدّ امرأة أكلت معها وشربت معها وكانت رفيقة رحلتها عبر الوديان والبرارى والدبابات؟ هى وامرأة ذاقت معها مرارة الخوف وحضنتها حين

خافت وقرأت لها سورة ياسين وآية الكرسي وغنّت لها ولآبن ابنتها بصوت أجشّ، لكن حخنون وحكت لها فى رحلتها عن ماضيها وعن ابن البيک ويافا وحيفا وعبدالوهاب؟ لا لم تكذب، فعبد الوهاب كان حقيقة، وابن البيک كان حقيقة وسهر الليالى والالماس وعصى الأبنوس والبيارات، كلّه مضبوط، كان حقيقيا، لكن "ولا أجدع ام كلثوم!" ليس كذبا، بل هو أحلام. وهذا مسموح. أحرام أن نسبح بالأخلام؟ أما المدام أم أم الوشمى، فهى الأصبا؛ بكاملها، وهى التزييف بلا منازع. وهى الإنسان بلا هوية وبلا أعماق. (المصدر نفسه:٢١٧)

٤ – اضطراب الهوية: هذه من إحدى مواصفات الروايات البوليفونيّة والتي تمتلك الشخصيات فيها شخصيّةٌ تختلف عمّا يصوّر لها الكاتب ودائما نشاهدُ فيها التناقض والنزاع (عشري زايد، ٢٠٠٢ :١٩٥) إنّ الشخصيّة في حالةٍ ذهنيّة ومتجزّئة أو تصوّر لنفسها بُعداً عينياً وبُعداً ذهنيّاً ولذلك يخاطب نفسه العينية أحيانا ويخاطب نفسه الذهنيّة مرة أخرى ونفهم من هذا انفصال هاتين الشخصيّتين عن بعضهما أو ربّما يجعل الآخرين في ذهنه ويقوم بالحكم على الآخرين وتقويمهم من لسانه لكن من وجهة نظر الآخرين.(نوبخت،١٣٩١:٩٧)

قد تشكّلت هذه الرواية حول عدّة شخصيات أصليّة وأخرى فرعيّة. هناك شخصيتان رئيستان في هذه الرواية وهما تمتلكان شخصيّة مختلفة عن بعضهما:

أ) : مجيد، والذي يقوم بثلاثة أدوار مختلفة في الرواية:

- الأول: شخصٌ يحبّ الغناء والأغنيّة حبّا كثيرا ويبحث عن الاشتهار في هذا المجال:

هو يغني ويدبك ويعزف فى الأفراح والمطاعم والمهرجانات. زملاوه فى الفرقة من الطلبة. أحدهم على الأورج وآخر الى ناي وثالث على طبل إفرنجي وهو يغني على جيتاره. صوته جميل وطوله أجمل.(خليفة،٢٠٠٤:٢٧)

- الثاني: شخصيّة تتعرف على الوشمي – وهو جاسوس – حتى يبلغ هدفه وهو أن يكون نجما في الأغنية. لكن بعد مدة يُقتَل الوشمي قتلا عجيبا ولهذا تطارده القوات الأمنيّة والجاسوسيّة وفي نهاية المطاف يلجأ إلى الثوّار لكي ينقذ نفسه ويصبح ثائرا:

ثمانية أيام مرت على بدء الحصار ومازالت الوشة في راسي تروح وتجيء وتذكرني بارتجاج المخّ وارتطام الجدار. ذاك الجدار يبدو تسبب في إعطابي وما عدت أفهم ما يدور وكيف أدور وأتجاوب. أو يبدو أني من حمّ الضرب وتتابعه فقدت القدرة على التركيز. كان التفجير والتجريف والقصف والنسف قد طال جميع المباني وانحشرنا جميعا في رقعة صغيرة في جزء من بناية مضروبة، لكن فيها شريحة يتيمة مازالت تقف على رجليها.... (المصدر نفسه:٢٧٨)

- يتحوّل مجيد إلى شخصيّة تبتعد عن أجواء النضال بسبب مصاحبة المسؤولين الحكوميين والعسكريين ويطمح في الوصول إلى مناصب حكومية عالية:

قضيت أياما وأسابيع و أنا أفكر، ثم تخيلت عن التفكير لأنى ركزت على الخلوي والتلفزيون، وبدأت صعودا للقمة حين تدرجت فى المناصب وسباق الخيل وبت أحلم بوزارة لأن الوزراء ليبسوا أفضل.فأنا بدخول التلفزيون حققت إنجازا على كل صعيد. فشكلي مقبول، وقولي معقول، وعندي خبرة بفنون القتال أفادتني حين تدرجت، ولديّ أب يشرح ويفسر كل عسير، فلماذا لا أصلح لوزارة...؟ فمعالي الوزى؟ ولماذا لا أعلو وأتطاول وأنا معقول وشكلي مقبول وبمنطق؟ أهناک شک؟ (المصدر نفسه: ۲۹۰)

وأحمد أيضا له شخصيتان في أثناء الرواية:

- الأولى مراهق مدلَّل له لكنة في اللسان ويحبّ الرسم وتسّبب تعاملتُه قلقَ أبيه؛ لأنّ أباه يعتبرُ مثل هذه الأعمالِ أعمالًا تقوم بها البنات :

كان فنانا بالفطرة، فكل مشهد يستوقفه و يتخيله لوحة.(المصدر نفسه:۹)

- الثانية هي شخصيّة يتم شنقها كإرهابي إثرَ بعض الأحداث لكن يتغيّر سلوكه بعدما ينجو من سجن المعتدّين ويتحوّل إلى مناضل ثوري يستشهد في سبيل الدفاع عن الوطن.:

في غمرة الفوضى وذهوله وصفعات تنزل على راسه ووجهه وعينيه وسباب الجند وصراخ عيسى وعواء الكلاب والكشافات

والسـيارات وسـيارة جـيش وزامـور خطـر ونوافـذ تفـتح والصـفارات ورجـال ونسـاء أمـام بيـوت مدججـة بالمـدافع والرشاشـات ورجـال يقفـون بالبيجامـات وبأيـديهم أسـلحة تبـرق تحـت النـور والكشـافات رأى ميرا،لمح ميـرا تقـف مـذعورة بفسـتان نـوم صـغير قصـير لـه كشـكش، فبكـى حزنـا و همس: ميرا وانطلق صفير. (المصدر نفسه:١٣٢)

٥ – منطق المحادثة : إنّ المحادثة عنصر رئيسي في الرواية البوليفونيّة. في الخطوة الأولى تكون المحادثة بين الكاتب والشخصيات وفي الخطوة الثانية تكون بين الشخصيات نفسها. وبصورة خلاصة إنّ المناسبات بين كلام الرّاوي وكلام الشخصيّات هي النقطة الرئيسة لهذه الروايات. (احمدى،١٣٧٠:١٠٠) لكلّ كلامٍ قائلٌ ومؤلّف نسمع صوته كخالقه في الكلام نفسه. إنّ الإجابة المحادثيّة تعطي الشخصيّة للكلام الذي تمت الإجابة عنه. لكن هذا ليس بمعنى أنّ الكلام بيانٌ لفردية المؤلف التي لايمكن محاكاتها. إنّ الكلام يقدّم نظرةً تتفاوت عن سائرها والمحادثة تحدُثُ بين هاتين النظرتين. (باختين،١٣٨٧:١٠١) إنّ الرّاوي يقلّصُ من علمه واختياراته ويأذنُ للشخصيات الأخرى لكي تبرزَ أفكارها وهذا دليل على أنّ الرواية لم تكن أحاديّة ويمكن شعورُ حضور شخصيات أخرى مع أقوالها في القصّة.

تجري محادثة بين مجيد والوشمي في أثناء بعض المقاطع من الرواية حيث يدخل أحمد وعيسى بدون علمٍ مستوطنةَ كريات شييع لكي يزورا ميرا ويجدا عنبر وهناك يتم اعتقالهما عبر قوات الأمن. مجيد اطّلَعَ على هذا الحادث و زار الوشمي وطلب المساعدة منه لكي يُفرَجَ عنهما

والوشمي كان يُعدّ نفسه حاميا لفلسطين ولكن في الحقيقة كان خائنا وجاسوسا:

سأله وشمي بسرعة ومن دون إهتمام وهو يقشر حبات التين:

-قالوا إن أخوك زرع الألغام بكريات شيبع؟

هبّ مجيد وقال بحدة:

-لأ..مش صحيح. هذا كذب. هذا إفتراء.

حدجه الوشمي وابتسم ساخرا:

-طول بالك، خذ وأعط. كيف ممكن تعرف وتتاكد؟

فعاد يحلف وكل أعضائه ترتجف بغيظ:

-واالله العظيم! ورحمة أمي!

ابتسم الوشمي وقال مهدئا:

-خلي الأموات برحمتهم. المهم أخوك. كيف؟ مش عارف! لكن لو نعرف مين وكيف؟

همس بلخمة:

– كيف مين، وكيف؟

– كيف يعني كيف، ومين يعني مين، بدها شطارة؟

حاول أن يفتح فمه فرفع الوشمي يده، وقال"بس".

-إسمع يا مجيد، أخوك صغير وضحكوا عليه، لكن لو نعرف مين وكيف ممكن نقدر نواسط له.

صاح مجيد محتدا:

-إحمد مظلوم. أنا متأكد.

ابتسم الوشمي وحرك راسه يمينا وشمالا ثم لتحت عدة مرات، وهذا يعني ان التهمة قد لصقت به، لصقت بهِ لصقت بالعيلة بأكملها بمن فيهم هو. فما العمل وهذا الحيوان يترصد به ويحقق معه ويقول "مين وكيف؟" وتخيل أخاه يتعرض للمساءلة والتحقيق ثم للضرب والتعذيب، فانخلع قلبه وأحس بدموعه تكاد تسيل، فبلع ريقه وأخذ يتمتم "يا رب! يا رب!" (خليفة،٢٠٠٤:١٣٥)

في قسمٍ آخر من الرواية نرى أنّ هناك تناقضا فكريا بين فضل قسام الذي كان مراسلاً ملتزماً للوطن وبين مجيد الذي كان من شباب هذا العصر الحديث ويحبّ الغناء. قد شاهدنا هذا التناقض حينما رجع مجيد من الجامعة في يوم من الأيام ويعلن عن خبرٍ ويقول: إنّه سيشارك في مسابقة الغناء يوم الخميس، وعليه أن يشترىَ سلوار جينز وجاكيت الجلد وحذاء إيطالي. وقد خالفَهُ قسام فور سماع هذا الكلام ويقارن بين ظروف فترةِ شبابه التي كان يفكّر فيها بكسب الرزق والوطن.:

قالَ مجيد بحزم مغتاظ:

-وين ما تروح، رجله ع رجلك.

قال مجيد مساوما:

-طيّب والبوط؟

صاح الرجل بعلو الصوت:

-بلا بوط بلا زفت بلا حكي فاضى. خيليك رجال وبلا مياعة. إحنا ناقصنا؟!

قلنا الجيتار طب وفهمنا، وجاكيت الجلد وتحملّناه، وكمان البوط؟

ونظر إلى ابنه فرآه متجهما حزينا وكأنّ الدنيا قد انخسفت، فقال بسخرية واستهزاء:

-يعني الطرب كان ناقصه البوط؟!

استدار مجيد بوجهه لجهة أخرى فاستمرّ أبوه:

-ولجنة تحكيم تحكم على صوتک من بوطک؟ أما تحکيم! أما لجنة! وتغني بصوتک من بوطک؟ طب والحافی يغنّي من وين؟

فزّ مجيد عن الطاولة ورفس الكرسی فناداه أبوه:

-إرجع لهون، تعال إرجع.

لكنّ مجيد لم يرجع، بل دخل الغرفة وخبطَ الباب. (المصدر نفسه:٥٧)

نموذج آخر من مركزيّة المحادثة هو وجود اللهجات الدارجة في الرواية:

إنّ كثيرا من اللهجات الدارجة تفقد ماهية نظامها الاجتماعي واللغويات المعرفية في هذا الإطار بعد دخولها في الأدب والتناسق مع اللغة الأدبيّة ويتغير شكلها ولاتكون تلك اللهجة السابقة. ومن جانب آخر نرى أن هذه اللهجات تغيّر شكل هذه اللغة بعد دخولها في اللغة الأدبية والحفاظ على مرونة اللهجة المعرفيّة وأيضا استقلالها في لغات أخرى. إنّ اللغة الأدبيّة أيضا لم تعد نظاما اجتماعيا ولغويا مُغلقاً. هذه اللغة ظاهرة مهمّة جدا كاللغويات المعرفيّة للإنسان المهذّب الذي خلقها. إنّ التنوع الكلامي ذا الهدف في داخل اللغة (الذي يوجد بمثابة نظام مغلق في كل اللهجات الحيّة) يتبدّل إلى التنوع اللغوي وحصيلة هذه العمليّة بدلَ لغة واحدة هي محادثة بين اللغات.(باختين،١٣٨٧:٣٨٥)

إنّ حـوارات شخصـيات الروايـة نمـاذجٌ مـن اسـتخدام اللهجـات خـلال اللغـة الفصحى للرواية والتي نشير إليها لاحقا:

أ) الحوار بين أحمد وعيسى حينما يقتربان صدفةً من مستوطنة كريات شيبع ليجدا عنبر وميرا:

- وأنت إيش قلت؟

- ما قلت ولا شىء، إيش بدي أقول؟

- بس أنت سمعت.

- طبعا سمعت، وبسمع كثير، بس أنا ساكت.

- وما تقول ولا شىء؟

- إيش بدي أقول؟ قل لي شو أعمل؟

- طيب وعنبر؟

صاح بغضب،

- بلا عنبر بلا زفت بلا حكي فاضي! خليني بشغلي أترزق؟

وذهب لعمله...(خليفة،٢٠٠٤:١٢١)

ب) الحـوار بـين مجيـد وأبيـه الـذي حـدث حـول الحـالات النفسـية وتحـوّل الشخصية لأحمد:

- أنا مش أعمى. هذا الولد.. حرام عليك..

علق الصغير باقتضاب مريب وبدون تأتأة وارتباك:

- أنا مش ولد. أنا كبرت فى السجن.

ففكر بذهول: ربما السجن أو غيره و غيره و غيره ! لكنه رغم ذلك صاح مكابرا وبيأس شديد:

– لأ ولد ونص، لسه امبارح كنت تلبس شورت وتلعب بالقطة والألوان. كيف تغيرت؟ ليش تغيرت؟ (المصدر نفسه:١٤٨)

استخدام الكلمات والعبارات الدارجة في هذه الرواية يخطف الأنظار ويدلّ على هدف معيّن. إنّ الإفادة من هذه اللغة التي تخصّ أغلبيّة المجتمع في الحقيقة تخلق في الشخصِ نوعا من التعاطف وتُعتبَر قسما مهمّا من حياة المجتمع واللغة ولهجته.(شركت مقدم واحمدی،١٣٩٧:١١٥)

إنّ استخدام هذه العبارات هو إيضاح أسلوب كتابة الكاتب وإحياء ثقافة الشعب العريقة وتوفير ظروف كثرة الأفكار والإيدولوجيات المختلفة وفي نهاية المطاف يمنع نسيان اللهجة الدارجة.

الخاتمة:

إن رواية ربيع حار لسحر خليفة يمكن عدّها بوليفونيّةً التي توفّر مجال النيل للأهداف المقصودة للكاتب عبر وجود شخصيات مختلفة بجانب الرؤية الكونية والأفكار المتباينة.

إنّ تنوع موقع الراوي أسلوبٌ استخدامها خليفة حاذقةً لكي يتعرف القارئ على الأصوات المختلفة (الغائبة) المرتبطة بالموضوع ويرى أيدولوجيا الشخصيات ووجهات نظرها ولاينظر إلى الرواية من موقع واحد (ضمير أنا).

إن استخدام المحتوى والمفهوم للنصوص القديمة والروائية وكذلك القضايا المهمة المرتبطة بتاريخ فلسطين يثبت لنا سيطرة الكاتب وقيمة الأثر الأدبي

وكذلك جسرٌ بين النصوص والأحداث القديمة وبين الرواية وهذا خير دليل على وجود التناص والبوليفونيّة في هذه الرواية.

إنّ الحوار الداخلي لشخصيات الرواية (لورا وسعاد) يصوّر لنا وجود شخصيّة أخرى وهذا يدلّ على وجود الأصوات المختلفة وذلك في حالة نشاهد أنّ الازدواجيّة والنزاع الفكري حدثا لتلك الشخصية.

إنّ واحدا من تمهيدات البوليفونيّة أكثر تأثيرا في هذه الرواية هو استخدام الحوارات الثُنائيّة ووجود اللهجات والعبارات الدارجة حيث يستطيع القارئ استخراج معلومات كثيرة من وجهات نظر الشخصيات.

كلّ هذه الخصائص والمواصفات ليست من أجل أن يصل هدف الكاتب خلال فنّ البوليفونيّة ألّا وهو تقديم صورة مُرّة حول وقائع الرواية والتعدّي وظلم الظالم ضدّ المظلوم وأحداث الانتفاضة الثانية واتفاق أوسلو.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

١- آرام، سمانه(١٣٨٨)، ترجمه وتحليل رمان ربيع حار، دانشگاه تهران.

٢- ابويسانى، حسين(١٣٩٢)،سميح قاسم وشعر معاصر فلسطين، چاپ اول، تهران، انتشارات سروش.

٣- احمدى، بابک(١٣٧٠)،ساختار وتاويل، جلد يک، چاپ اول، تهران، نشر مركز.

٤- اخوت، احمد(١٣٧١)،دستور زبان داستان، چاپ اول، اصفهان، چاپخانه اصفهان.

٥- استاد محمدى، نوشين وفقيهى، حسين و هاجرى، حسين(١٣٩٦)، بررسى رمان بازى آخر بانو براساس نظريه چندصدايى باختين، نشريه ادب وزبان، دوره بيست، شماره ٤١، ص ٧٠-٥١.

٦-باختين، ميخائيل(١٣٨٧)، تخيل مكالمه اى جستارهايى درباره رمان، ترجمه رويا پورآذر، چاپ اول، تهران، نشر نى.

٧-تودورف، تزوتان(١٣٩٦)، منطق گفتگويى ميخائيل باختين، ترجمه داريوش كريمى، چاپ چهارم، تهران، نشر مركز.

٨-خليفة،سحر (٢٠٠٤)، ربيع حار، الطبعة الأولى، بيروت ، دار الآداب.

٩-زيتوني، لطيف(٢٠٠٢)، معجم مصطلحات نقد الرّواية، الطبعة الأولى، بيروت، دار النهار.

١٠-سليمی کوچی، ابراهیم وسکوت جهرمی، فاطمه(١٣٩١)،گفت وگو مداری وچند صدایی در رمان جزیره سرگردانی اثر سیمین دانشور، مجله پژوهش ادبیات معاصرجهان، دوره هفده، شماره دوم، ص ٩١-٧٧.

١١- شرکت مقدم، صدیقه واحمدی، معصومه(١٣٩٧)، تحلیل جامعه شناختی زبان عامیانهٔ نوشتار جلال آل احمد ولویی فردینان سلین، فصلنامهٔ پژوهش های ادبیات تطبیقی، دوره ششم، شمارهٔ یک، ص١٣١-١٠٨.

١٢- شیخی، علیرضا(١٣٨٧)، الأدب المقارن، چاپ اول، تهران، انتشارات دانشگاه پیام نور.

١٣- طاهری نیا، علی باقر ومهدیان طرقبه، روح الله(١٣٩٢)، دوگانگی وتقابل در رمان های سحر خلیفه، نشریه ادب پایداری، شماره هشتم، ص ١٥٢-١٢١.

١٤-عشری زاید، علی(٢٠٠٢)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، الطبعة الرابعة، القاهرة، مكتبة ابن سينا.

١٥-عباسی، نسرین وعبدی، صلاح الدین(١٣٩١)، بررسی رمان الصبار سحر خلیفه بر اساس الگوی تحلیل گفتمان فیرکلاف، مجله نقد ادبی معاصر عربی،سال دوم،شماره سوم، ص ١٢٢-١٠١.

١٦-کهنمویی پور، ژاله(١٣٨٣)، چند آوایی در متون داستانی، پژوهش زبان های خارجی،شماره١٦، ص١٦-٥.

١٧-میرصادقی، جمال(١٣٩٤)، عناصر داستان، چاپ نهم، تهران، نشر سخن.

١٨- نوبخت، محسن(١٣٩١)، چندصدایی و چند شخصیتی در رمان پسامدرن ایران با نگاهی به رمان اسفار کاتبان از ابوتراب خسروی، مجله زبانشناخت، پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، شماره دوم، صص ١٢٠-٨٥.

19-www.magiran.com

القرار الإداري المعيب

(مفهومه وأنواعه/ دراسة في القانون الإداري العراقي)

المهندس الحقوقي

طه كامل حمد

قسم الشؤون الهندسية/المجمع العلمي العراقي

الملخص :

تناولت هذه الدراسة موضوع (القرار الإداري المعيب في النظام القضائي)، وتكمن أهمية هذا الموضوع الذي عُولِج بطريقة تحليلية في أن القضَاء أوقف تنفيذ القرارات الإدارية المعيبة، لكنها بقيت غامضة وغير واضحة للباحثين والدارسين؛ إذ لا يمكن تحديد مفهوم يوضحها، قبل دراسة جوانب القرار الاداري وشروطه واركانه وعيوبه كافة، وبعد دراسة الموضوع من جوانبه المتعددة، خلص البحث الى النتيجة الآتية: تبين ان القرارات التي يشوبها عيب المشروعية تشكل مساسا صارخا بحقوق الأفراد الأساسية وحريتهم التي كفلها الدستور والقوانين النافذة،

وبهذا نجد أن القرارات الإدارية ما هي إلا وسيلة لتحقيق المصلحة عامة أو المنفعة عامة، والمخاطبين به ملزمون بتنفيذه طواعية أو إكراها، ومن حقهم الاعتراض على أي قرار إداري يضرّ بمركزهم القانوني، أو بمصالحهم المشروعة عن طريق اللجوء الى القضاء المختص.

المقدمة:

يمتاز القرار الإداري بأهمية كبرى في العمل الإداري، فهو جوهر العمل الإداري، ولا يمكن للإدارة ومرافقها العامة، بل السلطة التنفيذية أن تدير شؤونها المختلفة وتمارس وظيفتها من دون القرار الإداري. ويطلق أحيانا على القرار الاداري تسميات من قبيل تسميته بالمرسوم الجمهوري، أو الأمر الديواني، أو القرار الوزاري، وغيره كثير من التسميات المختلفة، لكنها جميعا يمكن تسميها قراراً إدارياً، تقّف عليه شؤون الدولة والمواطنين معا.

وبغية توضيح أهمية هذا الموضوع، فقد بيّن البحث تعريف القرار الإداري ومفهومه، وأهم المفردات والاليات التي تُؤلفه، وهو ما تطلّب بيان العناصر التي يتألف منها القرار الإداري وأركانه، والعيوب التي ترافق القرارات الادارية وتجعل منها إحدى اهم المشاكل التي تواجهها الادارة في مختلف المؤسسات الحكومية. غير أن هذه المشكلة التي يرصدها البحث لم تكن سيئة ومرتبكة في تاريخ الدولة العراقية الحديثة مثلما نراها في السنوات السابقة، وممّا فاقم هذه المشكلة أكثر هو صدور قانون التقاعد الجديد رقم (٢٦) لسنة ٢٠١٩، الذي أهدر الكثير من الخبرات الادارية المتمثلة في طبقة كفوءة وذات معرفة في الشؤون الادارية لسنوت طويلة؛ مما خلق فجوة تحتاج إلى سنوات متعددة للتعافي من آثارها، وفي ظل ضعف الادارة بغياب تلك الكفايات, تحدث الكثير من المشكلات في جوانب متعددة وبخاصةٍ موضوعة القرارات الادارية.

وتطرّق البحث الى القرار الاداري والعوامل المؤثرة فيه، وأثر ذلك في شرعيته والحكم بإلغائه والتعويض إن كان له مقتضى؛ للوصول الى الغاية

والهدف المشترك ألا وهو تحقيق العدل في المجتمع، فعن طريق التجربة والممارسة تبين أهمية هذا الموضوع؛ لذلك ارتأى بحثه من جوانب متعددة, دراسةً علمية وربطه بواقع مجتمعنا؛ لغرض وضع الاقتراحات البحثية المناسبة لمعالجة آثار سوء فهم طبيعة القرار الاداري وأهميته في بناء دولة المؤسسات.

المبحث الاول

التعريف بالقرار الاداري وشروطه

لقد عُرِف القرار الإداري بتعريفات متعددة، فقد عرّفه الفقهاء العراقيون بأنه (عمل قانوني صادر بالإرادة المنفردة الملزمة لإحدى الجهات الإدارية في الدولة في الأوضاع القانونية القائمة، اما بانشاء مركز قانوني جديد (عام أو فردي) أو تعديل لمركز قانوني قائم أو إلغاء له ابتغاء مصلحة عامة) [١]. عرّفه آخرون بأنه: (عمل قانوني تفصح فيه الإدارة عن إرادتها باحداث اثر قانوني في المراكز القانونية أو الاوضاع القانونية). كما عرّفه بعضهم بأنه (عمل قانوني تصدره جهة الادارة بإرادتها المنفردة بغية احداث تغيير في الوضع القانوني بانشاء مركز قانوني جديد أو تعديل أو الغاء مركز قانوني قائم)[٢], صحيح أن الفقه والقضاء الإداريين قد اختلفا في

---

[١] مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية العدد الاول/ السنة التاسعة ٢٠١٧ تعريف القرار الاداري وعناصره .

[٢] نقلا عن فارس عبد الرحيم _ حدود رقابة الادارة على القرارات التي لها قوة القانون (دراسة مقارنة) – رسالة ماجستير قدمت الى كلية القانون – جامعة بابل – ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م (ص ١٧) .

تعريف القرار الإداري، لكن هذا الاختلاف كان بالجزئيات لا بالجوهر، وأصبح شبه إجماع على تعريف القرار الإداري على أنه «إفصاح الإدارة عن إرادتها الملزمة للأفراد بناءً على سلطتها العامة بمقتضى القوانين واللوائح بغية إحداث أثر قانوني يكون جائزاً وممكناً قانوناً وبباعث من المصلحة العامة التي يبتغيها القانون»[٣] استناداً الى هذه التعريفات فإن القرار الإداري ينماز من سائر اعمال الإدارة بأنّه عمل أو تصرف قانوني بمعنى افصاح الإدارة عن إرادتها، اما بانشاء مركز قانوني أو تعديله أو الغائه. فضلا عن ذلك كونه صادراً من إحدى الجهات الإدارية في الدولة فلا تُعدُّ قرارات التي تصدر عن السلطات العامة الأخرى كالهيئات التشريعية والقضائية قرارات إدارية، وما يصدر عن أعمال خاصة عن الحكومة أي (أعمال السيادة) وكذلك ما يصدر عن الهيئات الخاصة من الأعمال القانونية كالمؤسسات ذات النفع العام, فضلا عن لصدوره من الإدارة بارادتها المنفردة وهذا ما يميزه من التصرفات القانونية الأخرى كالعقود التي تتم نتيجة اتفاق الجهة الإدارية مع طرف آخر سواء كان جهة إدارية اخرى أو هيئة أو جهة خاصة، ومن ثم تتجه ارادتها المنفردة الى إحداث آثار لكي يعد العمل الصادر قراراً ادارياً ويشترط في القرار الاداري سلامة أركانه الخمسة وهي ركن الاختصاص, وركن الشكل, وركن المحل, وركن السبب, وركن الغاية.

---

[٣] محمد يوسف الحسين الموسوعة القانونية المتخصصة – مجلة الكترونية

المطلب الاول

مفهوم القرار الاداري المعيب

يكون القرار الاداري معيب ومستحق الالغاء إذا ما أصاب أحد أركانه الخمسة عيب فيجعله غير مشروع ومن ثَمَّ الحكم بإلغائه (وقد اعتمد مجلس الدولة الفرنسي هذه العيوب تباعا وفقا لتطور نشاط الادارة من حيث الكم والنوع من جهة وزيادة الثقة بادائه القضائي من جهة اخرى. وكان اول ما ظهر من أوجه الالغاء هو عيب عدم الاختصاص, ثم ظهر الى جانب عيب عدم الاختصاص عيب الشكل في عام ١٨٠٧, ثم ظهر عيب انحراف السلطة, وفي عهد الامبراطورية الثانية ازدهرت دعوى الالغاء لاسباب سياسية فظهر عيب مخالفة القانون عام ١٩٠٦, ومن ثم بدأ مجلس الدولة الفرنسي في قبول وجه الالغاء الا وهو عيب السبب الذي يقوم عليه القرار الاداري سواء من ناحية الوقائع المادية أم ناحية التكييف القانوني).[٤]

وهكذا يتضح ان عيوب القرار الاداري هي: عيب الاختصاص, وعيب الشكل, وعيب الانحراف بالسلطة, وعيب مخالفة القانون (عيب المحل), وعيب السبب .

ونعرض فيما يلي عيوب القرار الإداري الخمسة بالتفصيل:

اولاً: عيب الأختصاص:

المقصود بالاختصاص تحديد مجموعة التصرفات والأعمال التي يكون لسلطة الإدارة ان تمارسها قانوناً وعلى وجه يعتد به شرعاً، فالاختصاص هو

---

[٤] الدكتور نجيب خلف احمد الجبوري, القضاء الاداري, ص ١٩٣.

الصلاحية التي تتمتع بها سلطة ادارية لاتخاذ اجراء ما، أو للقيام بعمل قانوني، أي اتخاذها قراراً ادارياً دون غيرها من السلطات. فاذا ما قامت السلطة الإدارية باتخاذ قرار اداري من دون مراعاة لقاعدة الأختصاص، كأن يصدر قرار إزالة التجاوز الواقع على وزارة (ما) من وزير آخر، فان هذا القرار يُعدُّ باطلاً لا أثر له لصدوره من جهة لم يمنحها القانون مثل هذا الاختصاص ويوجد شبه اجماع فقهي على تحديد مفهوم عيب عدم الاختصاص واستنادا الى هذا يعرف هذا العيب بأنه: ((عدم قدرة سلطة إدارية معينة على ممارسة عمل قانوني او مادي محدد جعله المشرع من اختصاص سلطة أُخرى))

ولركن الاختصاص اربعة عناصر جوهرية لا ينبغي الخروج عنها والا عُدَّ القرار معيباً بعيب الاختصاص بأحد العناصر المبينة في أدناه:.

١.**العنصر الشخصي**: اي يحدد الاشخاص الذين يحق لهم مباشرة الاعمال الادارية دون غيرهم فلا يحق التفويض في الاختصاص أو الحلول فيه الا وفقا للقانون .

٢.**العنصر الموضوعي**: وذلك بتحديد أنواع التصرفات أو القرارات التي يجب أو يجوز اتخاذها من العضو الاداري؛ وذلك ما يدخل في ضمن الموضوعات المحددة له .

٣.**العنصر الزماني**: قد يحدد القانون مدة زمنية لجهة إدارية اتخاذ قرار معين فلا بد ان يتخذ القرار ضمن الوقت وان يكون مستندا الى قاعدة قانونية وقت نفاذها والاّ عدهُ معيبا بعيب الاختصاص الزماني.

٤.**العنصـر المكـاني:** ان القـانون قـد يحـدد لـبعض الجهـات الاداريـة أو الاعضـاء الاداريين دائـرة مكانيـة لا يحـق لهـم ان يتجاوزوهـا فـي ممارسـة اختصاصـاتهم والا عُـدّت تصـرفاتهم أو قـرارتهم معيبـة بعيـب الاختصـاص المكانـي.[٥]

إن عيب عـدم الاختصـاص يمكـن ان يكـون فـي صـورتين أو شـكليين هما:

- عدم الاختصاص الايجابي
- وعدم الاختصاص السلبي

حيـث يتمثـل عـدم الاختصـاص الايجـابي عنـدما تصـدر سـلطة إداريـة عملا اداريا يدخل في اختصاص سلطة أخرى. أما عدم الاختصاص السلبي فهو يقع فـي حالـة رفض سلطة اداريـة مـا اصدار قرار اداري معين اعتقادا منها انه لا يدخل في اختصاصها في حين انها مختصة به قانونا ان الواقع العملـي يثبـت ان عـدم الاختصـاص الايجـابي هـو اكثـر وقوعـا فـي الحيـاة العملية الادارية واكثر شيوعا من عدم الاختصاص السلبي .

اما من حيث اثرهما فإن كليهما ينتجه الاثر نفسه المترتب على عدم الاختصـاص الـذي يشـكل عيبـا يمكـن الاسـتناد اليـه فـي الطعـن بإلغـاء القـرار الاداري, ان الاحكام العامة لهذا العيب تقر بربط قواعد الاختصاص بالنظام العـام؛ لـذلك فـإن القـرار الـذي يصـاب بهـذا العيـب يُعدُّ بمثابـة إخـلال بقواعـد النظـام العـام الامـر الـذي يرتـب عليـه عـدة نتـائج قانونيـة مـن أهمهـا, وبالقـدر

---

[٥] الأستاذ المساعد الدكتور رياض عبد عيسى الزهيري عيب الاختصاص في القرار الادري – ص٢١٦

الذي يتعلق بموضوعنا, ان قاضي الالغاء يستطيع من تلقاء نفسه ان يتدخل؛ لاثارة هذا العيب في أي مرحلة تكون عليها حتى لو لم تؤسس عليه هذه الدعوى، ومن ثم له السلطة في الحكم بالغاء القرار نتيجة هذا العيب, ومن النتائج الاخرى هي ان قواعد الاستعجال لاتسمح للإدارة ان تخالف قواعد الاختصاص ما عدا حالات الظروف الاستثنائية, ولا يجوز للادارة التي اصدرت القرار الذي يلحقه عيب الاختصاص ان تحتج بقواعد الاستعجال لتسويغ اصدار قرار اداري لاتملك سلطة اصداره.

وعلى الرغم من أن القواعد العامة تشير الى ارتباط قواعد الاختصاص بالنظام العام الا ان بعض الفقه تساءل عن مدى جواز تصحيح عيب عدم الاختصاص باجراء لاحق على صدور القرار الاداري, فاذا صدر هذا القرار من جهة غير مختصة به قانونا غير انه تم تصحيحه عن طريق اعتماده أو اجازة اصداره من صاحب الاختصاص, فهل ينقلب القرار غير المشروع الى قرار مشروع ؟.

الاجابة عن هذا التساؤل اختلفت لدى الفقه الاداري كما ان التطبيقات القضائية في هذا المجال مرتبكة ومتناقضة, حيث يذهب بعض الفقهاء وهذه التطبيقات الى ان القرار الذي لحقه عيب عدم الاختصاص يصبح باطلا بطلانا مطلقا لتعلق الامر بالنظام العام, غير ان آراء أُخرى لبعض الفقهاء تسندهم بعض تطبيقات القضاء الاداري ترى بأن القرار الإداري المعيب بهذا

العيب يجوز تصحيحه واعتماده من صاحب الاختصاص ثم تزول عنه مَثلبة عدم المشروعية ويصبح قرارا صحيحاً.[٦]

ومن وجهة نظرنا نجد أن آلاراء الفقهية والتطبيقات القضائية الأُولى اكثر انسجاما مع طبيعة قواعد الاختصاص التي تُعدُّ من قبيل النظام العام؛ لذلك لايجوز تصحيح القرار المصاب بعيب الاختصاص سواء عن طريق اجازته اللاحقة أو اعتماده من صاحب الاختصاص. ان ما ينسجم مع طبيعة قواعد الاختصاص ليس اجازة أو تصحيحاً للقرار الاداري الباطل مطلقا بسبب هذا العيب بل هو اصدار قرار جديد من صاحب الاختصاص لسحب هذا القرار الباطل وكذلك الامر في الحالات التي يصدر فيها تشريع جديد لاحق يجعل العضو غير المختص باصدار القرار مختصا به بعد صدوره فإن مثل هذا التعديل لايزيل البطلان عن القرار الذي سبق هذا التعديل الا اذا نصّ فيه على سريان هذا التعديل بأثر رجعي.[٧]

ثانيا : عيب الشكل

يقصد بالشكل بوصفهِ ركناً من أركان القرار الإداري هو المظهر الخارجي الذي يتخذه القرار للإفصاح عن ارادة الإدارة، ومن ثم فإنّها غير مقيّدة بشكل معين تفصح فيه عن إرادتها ما لم يقضِ القانون صدوره بشكل خاص بالنسبة لقرارات معينة.

---

[٦] الدكتور سامي جمال الدين الوسيط في دعوى الغاء القرارات الادارية. ط١. منشاة المعارف – الاسكندرية ٢٠٠٤ ص٣٩٩.

[٧] ذكرى عباس علي ناصر الدايني, تعريف القرار الاداري واركانه, صحيفة الكترونية.

إذ يصح صدور القرار الإداري مكتوبا أو شفويا، صريحا أو ضمنياً، ولكن يلاحظ ما لكتابة القرار من أهمية حيث تكفل له الدقة والإثبات وسهولة تفسيره ومعرفة تاريخه وتحديد مضمونه؛ لذا فإن الأغلب الأعم هو صدور القرارات الإدارية مكتوبة.

ثالثاً: عيب السبب

سبب القرار الإداري يعني الحالة التي تسبق صدور القرار الإداري وتأخذ شكل حالة قانونية، أو مادية، تدفع الإدارة الى اتخاذ القرار أو تلزمها باصداره؛ لذلك فالسبب يشكل شرطاً لإصدار القرار ويقصد بالحالة القانونية، الأسباب القانونية للقرار وهي القواعد القانونية والأعمال القانونية والتي تعدُّ الشرط الأساس في ممارسة الإدارة لنشاطها، فالأسباب القانونية تشكل الأساس القانوني للقرار الإداري، التي تتمثل بكل قاعدة قانونية مهما كان مصدرها. أما الأسباب المادية التي قد تكون على شكل عمل معين، أو تتخذ حالة معينة، أو شكل صفة معينة في شيء من الأشياء أو فرد من الأفراد فيلاحظ ان ركن السبب هو المحرك لكل نشاط اداري، ومن ثم فانه طبقا لمبادئ القانون العام لا يكون القرار صحيحاً إلا اذا كان له سبب يقرّه القانون.

رابعاً: عيب المحل

ان محل القرار الإداري هو الأثر القانوني الذي يترتب عليه حالاً ومباشرةً، أي هو مادة وموضوع القرار. ويمكن القول ان محل القرار الإداري هو الأثر الذي يدخله هذا القرار على التنظيم القانوني، اما بانشاء مركز

قانوني جديد، أو بتعديل مركز قانوني قائم، أو بانهائه والذي ينماز من محل العمل المادي الذي يكون دائما نتيجة اعمال مادية واقعية فالإدارة عندما تتجه إرادتها الى إحداث اثر قانوني من خلال ما تصدره من قرارات، يتوجب عليها الآلتزام بجانب القواعد القانونية التي تستند اليها منذ اصدار قراراتها، أي لا تخالف القانون في ذلك وإلا عُدّ قرارها معيباً بعيب مخالفة القانون أي عدم شرعية المحل في القرار الإداري مثال ذلك القرار الصادر من الإدارة بنزع ملكية عقار معين من دون تعويض لمالك العقار يعدّ قراراً باطلاً لعدم مشروعية المحل؛ ذلك لأن الدستور العراقي لعام ١٩٧٠ الملغي قد نصّ على ألا تنزع الملكية الخاصة إلا على وفق تعويض عادل يحدده القانون.

خامساً: عيب الغاية

تعني الغاية بوصفها ركناً من أركان القرار الإداري الهدف الذي تسعى الإدارة الى تحقيقه من اصدار القرار، حيث إنه كأي عمل قانوني آخر – ليس غاية في ذاته – بل هو وسيلة لتحقيق غرض معين . والأصل ان تكون المصلحة العامة هي الغاية التي يسعى رجل الإدارة الى تحقيقها. ورُبّما لا يكفي ان يكون الهدف من القرار الإداري تحقيق مصلحة عامة غير محددة، وقد يحدد المشرع في بعض الحالات نوع المصلحة العامة المراد تحقيقها، فاذا خالفت الإدارة هذا الهدف المحدد حتى اذا استهدفت تحقيق مصلحة عامة من نوع خاص غير المصلحة التي حددها المشرع يكون قرارها معيباً بعيب الانحراف باستعمال السلطة.

المطلب الثاني

دعوى الغاء القرار الاداري المعيب

دعوى الإلغاء وشروط الغاء القرار الاداري المعيب ..

دعوى الإلغاء هي الدعوى التي يباشرها القضاء الاداري عن طريق الطعن في قرار اداري معين وطلب إلغائِهِ بسبب عدم مشروعيته وتوجه الخصومه في دعوى الإلغاء إلى قرار لائحي عام أو قرار اداري فردي حيث تنحصر سلطة القاضي في التحقق من مشروعيته، فإذا ثبت له مخالفة القرار للقواعد القانونية النافذة حكم بإلغائه من دون امتداد سلطته الى اكثر من ذلك.

ولقبول دعوى الالغاء لابد من توافر شروط معينه، ويقصد بشروط قبول دعوى الالغاء تلك الشروط التي يلزم توافرها في الدعوى لكي تكون مقبوله شكلا أمام المحكمه المختصه, فإذا لم تتوافر هذا الشروط حكمت المحكمة بردِّ الدعوى من دون التعرض لموضوعها وهناك ثلاثه شروط رئيسه لقبول دعوى الغاء القرار الاداري وهي على النحو الآتي:

اولا - شروط متعلقه بالقرار الاداري

ثانيا - شرط وجود المصلحه

ثالثا - شرط ميعاد رفع الدعوى

أولا– القرار الاداري

((هو عمل قانوني نهائي يصدر من سلطة اداريه وطنيه بإرادتها المنفرده وتترتب عليه آثار قانونيه معينهَ)[٨]

ومن هذا التعريف يمكن استخلاص شروط القرار الاداري المطعون فيه، وهي ان يتعلق الطعن بقرار اداري وان يكون هذا القرار نهائيا، وان يصدر من سلطه ادارية وطنية بإرادة الادارة المنفردة وانه تترتب عليه آثار قانونية...

شروط القرار الاداري المطعون فيه بالالغاء وهي أربعة شروط:

أ) أن يتعلق الطعن "بقرار إداري":

فيجب أن يكون موضوع الطعن قراراً إدارياً وإلا حكم القاضي بعدم قبول الدعوى.

وعلى هذا يختلف القرار الإداري عن العمل المادي في الأمور الآتية:

١ . عدم جواز الطعن بالإلغاء على الأعمال المادية.

٢ـ عدم جواز الطعن بالإلغاء في الأعمال التمهيدية التي تسبق صدور القرار.

٣. عدم جواز الطعن بالإلغاء في الأعمال اللاحقة لصدور القرار من أجل تنفيذه أو تفسيره.

---

[٨] الدكتور عصمت عبد المجيد بكر– مشكلات التشريع (دراسة نظرية وتطبيقية مباشرة) ص٣١٩.

ب) أن يكون القرار الإداري نهائياً:

ويقصد بذلك أن يكون القرار الإداري صدر من السلطة الإدارية المختصة التي تملك حق إصداره من دون حاجة إلى تصديق من سلطة إدارية أعلى.

ج) ان يكون صادرا من سلطة ادارية وطنيه بإرادة منفردة:

فلا يقبل الطعن بالالغاء في القرارات الصادره من اي سلطة ادارية غير وطنية اي تابعة دولة اجنبية كما لايجوز الطعن بالالغاء في قرارات المنظمات والهيئات الدولية.

والقرار الاداري هو عمل قانوني انفردت الإدارة بهِ خلافاً للعقد الإداري الذي ينماز بأنه يشتمل على التزامات متبادلة بين الطرفين وعليه "فلا يجوز الطعن بالإلغاء على العقد الإداري"

د) احداث اثر قانوني:

يتحقق هذا الشرط في نظر الفقه بتوافر عنصرين اساسيين يتمثل العنصر الأول في وجوب تولد آثار قانونية عن القرار الاداري والثاني يوجب ان يكون القرار الاداري أحدث ضررا بنفسه وبناءً على هذا تم اخراج عدة اعمال ادارية من نطاق دعوى الالغاء.

ثانياً: شرط المصلحة في رفع الدعوى:

يشترط لقبول دعوى الإلغاء أن يكون لرافع الدعوى مصلحة شخصية في رفعها وإلا حكم القاضي بعدم قبولها، لانها دعوى مرفوعة من غير ذي مصلحة.

– ومعنى المصلحة في دعوى الإلغاء في القضاء الاداري ومعناها في القضاء الاعتيادي:

في القضاء الاعتيادي تعني المصلحة أن يكون هناك ضرورة حتمية لرفع الدعوى للشخص الذي أعُتِديَ على حقه ومثال ذلك (حق الملكية أو الحق الشخصي ومثال آخر دعوى المستأجر ضد المؤجر وغيرها).

أما المصلحة في دعوى الإلغاء في القضاء الإداري فتكون أكثر اتساعاً وشمولاً من القضاء الاعتيادي فلا يشترط لتحقق شرط المصلحة في رافع دعوى الإلغاء أن يكون هناك حقاً قد مسّه القرار المطعون فيه، بل يكفي أن يكون الطاعن في مركز خاص، أو حالة قانونية خاصة بالنسبة للقرار المطعون فيه من شأنها أن تجعل القرار مؤثراً في مصلحة ذاتية للطالب تأثيراً مباشراً.

وحكمة التوسع في مفهوم شرط المصلحة في دعوى الإلغاء: هي ان دعوى الإلغاء دعوى موضوعية تخاصم القرار الإداري غير المشروع والهدف الحقيقي منها هو كفالة وضمان احترام سيادة القانون.

خصائص المصلحة في دعوى الإلغاء:

يجب أن تكون المصلحة شخصية ومباشرة بمعنى أن يكون لرافعها مصلحة شخصية أي يكون أن الطاعن في القرار في حالة قانونية خاصة يؤثر فيها القرار تأثيراً مباشراً .

ولا يشترط أن تكون المصلحة محققة أو حالّة وقائمة، بل يكفي أن تكون مصلحة محتملة في المستقبل.

ويجوز أن تكون مصلحة الطاعن مجرد مصلحة أدبية، فلا يشترط أن تكون مصلحة الطاعن في دعوى الإلغاء مادية فقط، بل يمكن أن تكون المصلحة أدبية.

ثالثاً: شرط ميعاد رفع الدعوى:

حدد المشرِّعُ ميعادا لرفع دعوى الالغاء هو ستون يوما من تاريخ نشر القرار الاداري أو إعلان صاحب الشأن به فإذا لم ترفع الدعوى في هذا الميعاد سقط الحق في اقامتها وأصبح القرار الاداري محصن ضد الطعن بالالغاء وقد أوجب المشرع التظلم للجهة الاداريه التي اصدرت القرار الاداري وترفع الدعوى بعد انقضاء مدة التظلم وهي(٣٠) يوما

المبحث الثاني

ضمانات حق الطعن بالقرارات الإدارية المعيبة

يُعدّ حق التقاضي من الحقوق الاساسية التي نصت عليها دساتير الدول المختلفة ومنها الدستور العراقي الذي عّده من الحقوق المصونة والمكفولة للجميع، وذلك لما يمثله هذا الحق من ضمانة أصيلة للافراد تمكنهم من استحصال حقوقهم عبر المنظومة القضائية والاحكام الصادرة عنها في رفع المنازعات وقطع الخصومات وهذا مانص عليه الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ في المادة ١٠٠ على ان (يحظر النص في القوانين على تحصين اي عمل أو قرار اداري من الطعن) وعلى ذلك فإن جميع النصوص القانونية الموجودة في النظام القانوني العراقي التي تحصن اعمال وقرارات الادارة من الطعن

القضائي ستكون باطلة مستوجبة الالغاء؛ لتعارضها مع نصوص الدستور، فإن لم تلغَ توجب على القاضي الامتناع عن تطبيقها وفقا لقاعدة تدرج النصوص القانونية التي توجب التطبيق النص القانوني الاقوى عند حصول تعارض بين النصوص ودليلنا على ذلك نص المادة (١٣/ ثانيا) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥ التي قضت بأن (لايجوز سّن قانون يتعارض مع هذا الدستور ويعد باطلا كل نص يرد في دساتير الأقاليم أو أي نص قانوني آخر يتعارض معه).

وتحرص الكثير من الدول على ان يكون ذلك الحق متاحا بأيسر السبل وأقلها تكلفة غير ان نجاح الدول في ترسيخ هذا الحق يعتمد على مدى نجاحها في توفير البنى التحتية اللازمة لتطبيقه, وأعني بذلك قدرتها على تحقيق فكرة الشمول القضائي. من خلال انشاء العدد الكافي من المحاكم ومنها المحاكم الادارية التي تنتشر أُفقيا في أرجاء الدولة ومحاولة الوصول إلى أبعدِ نقطة فيها وما يستلزمه ذلك من ضرورة توفير العدد الكافي من القضاة والموظفين القادرين على النهوض بمهمة تنفيذ القانون فضلا عن ذلك لا يمكن لحق التقاضي ان يكون حاضرا في ظلِّ غياب ثقافة الاحتكام الى القانون في بعض المجتمعات، اذ يرتبط هذا المبدأ بعلاقة عكسية مع القيم السائدة في مجتمع ما, ضاقت دائرة حق التقاضي وتراجعت وكلما تضاءلت قدرة الدولة في ضبط الامن وتطبيق القانون, فضل الافراد اللجوء الى تكوينات مجتمعية أُخرى غير الدولة (العشيرة والحزب والمجاميع المسلحة)؛ للحصول على ما يعتقدون بأنه حق لهم، وذلك يؤدي في النهاية الى سيادة شريعة الغاب ومنطق القوة.

واذا ماسلمنا ان الدولة استطاعت ان توفر كل المستلزمات تطبيق حق التقاضي المنّوه عن بعضه آنفا فإن ذلك الحق لن يكون مطلقا ومنفلتا عن كل قيد، بل ان القانون رسم له طريقا محددا بغية منع الافراد من التعسف في استعماله، إذ أوجب صيانة القضاء من العبث والاساءة وألزم المتخاصمين بمبدأ حسن النية في تقديم الأدلة كما هو منصوص عليه في قانون الاثبات، وإذا خالف المتقاضين تلك المبادئ جعلوا من أنفسهم عرضة للعقاب، وقد أورد النص في قانون العقوبات على مجموعة من الجرائم التي يمكن ان يرتكبها الأفراد عند ممارستهم حق التقاضي فعاقب على الاخبار الكاذبة ويمكن للطرف الذي تضرر من عدم التزام خصمه بمبدأ حسن النية في تقديم الأدلة أو التي طالته الدعاوي الكيدية ان يطالب بالتعويض أمام محاكم البداءة ولا يمكن الاحتجاج على ذلك بالقول: إنّ الطرف الآخر استعمل الجواز الشرعي عندما لجأ الى المحاكم، وان الجواز الشرعي ينافي الضمان حيث ورد نص في القانون المدني على ان من استعمل حقه استعمالا غير جائز وجب عليه الضمان وفقا للتفاصيل المذكورة في محلها ويلاحظ المتتبع لشؤون المحاكم والتقاضي في العراق ان تلك المحاكم تعجُّ بمئات الدعاوى الكيدية في شقها المدني والجزائي التي لا يهدف من يقيمها سوى جعل الطرف الاخر رهينة بين يديه يبتزه كيف يشاء، ويمكن إيراد امثلة متعددة لاساءة استعمال حق التقاضي, منها دعوى بدين سبق ان انقضى أو تم الصلح بشأنه او إقامة شكوى أمام محكمة التحقيق عن واقعة غير صحيحة كل ذلك يهدف الى إرهاق الخصم نفسيا، وجعله رهن اروقة المحاكم ينفق وقته وماله في سبيل الخلاص من حق موهوم يدعيه خصمه في سبيل

الحفاظ على سمعته من الاساءة والتشهير, ومن أجل قطع الطريق أمام من يتاجر بمصائر الناس ويسيءُ استعمال حق التقاضي ,ينبغي للمحاكم ان تشدد في فرض العقوبات على أصحاب الدعاوى الكيدية، وإلزامهم بالتعويض على ان يتم الاستدلال على اساءة استعمال حق التقاضي بشكل سائغ منعا من إفراغ هذا الحق من محتواه واحجام الافراد عن اللجوء الى المحاكم .

المطلب الاول

إجراءات الطعن أمام محكمة القضاء الاداري

لم يتضمن قانون مجلس الدولة رقم ١٠٦ لسنة ١٩٨٩ قواعد اجرائية خاصة بالمنازعات الادارية على نحوما عليه الحال في دول القضاء المزدوج، وكل ما في الأمر أن المشرِّع قد اكتفى ببعض النصوص لبيان ثمة اجراءات يجب اتباعها قبل وفي اثناء نظر المنازعة الادارية على حين جعل قانون المرافعات المدنية المكمل لما لم يرد به نص في القانون المذكور، وهذا يعدُّ نقصا في التشريع, مما يوجب إصدار قانون خاص بالاجراءت نظر المنازعات الإدارية أُسوة بالدول الأُخرى كفرنسا ومصر .

ويشترط قبل تقديم الطعن الى محكمة القضاء الاداري ان يتم التظلم من القرار لدى الجهة الادارية المختصة خلال (٣٠) يوما من تاريخ تبلغه بالأمر أو القرار الاداري المطعون فيه أو عدّه مبلغا وعلى الجهة الادارية ان تثبت بالتظلم خلال (٣٠) يوما من تاريخ تسجيل التظلم لديها.

ان مضي مدة ستين يوما تعني تحصن القرار الإداري من الطعن به حتى لو كان غير مشروع، ولكن يبقى للمعني بالقرار الحق في مراجعة المحاكم الاعتيادية للمطالبة بحقوقه للتعويض عن الأضرار الناشئة عن المخالف أو الخرق بالقوانين.

صلاحية المحكمة:

تبت محكمة القضاء الاداري بالطعن المقدم اليها ولها ان تقرر ما يأتي:

١. رد الطعن : يجوز للمحكمة ردّ الطعن اذا كان الطعن لم يستوفِ الشروط الواجب توافرها في إقامة الدعوى كمرور مدة الطعن في القرار الإداري، أو غياب المصلحة لدى الطاعن
٢. الغاء الامر أو القرار يكون للمحكمة الغاء القرار اذا ثبت امامها ان القرار معيب في احد عيوب المشروعية كأن يكون القرار معيبا بعيب عدم الاختصاص أو عيب الشكل أو عيب المحل أو عيب الغاية أو عيب السبب , وقد ياتي الإلغاء على كامل القرار إلاداري أو جزء منه ومن النتائج التي تترتب على الالغاء هو ان يكون له اثر عام ولا يقتصر على أطراف الدعوى ويزيل القرار الاداري بأثر رجعي .
٣. تعديل الأمر أو القرار للمحكمة الحق في تعديل القرار المطعون فيه، ويراد بذلك الغاء جزء من القرار ويظهر التعديل أكثر وضوحا عندما تستخدم الادارة سلطتها التقديرية في اصدر القرار وتظهر حالة عدم التناسب بين السبب ومحل القرار الاداري وهذا يعني رقابة عنصر الملاءمة في القرار الاداري .

٤. الحكم بالتعويض فقد منح المشرِّع المحكمة صلاحية الحكم بالتعويض إن كان له مقتضى بناءً على طلب المدعي، وفي ذلك اشترط المشرِّع ألاّ يكون هناك حكما بالتعوض الا اذا أثبت صاحب الشأن ان هناك ضررا حقيقيا أصابه بسبب القرار غير المشروع الصادر عن الادارة وهذا يعني ان دعوى التعويض لاترد الا نتيجة لقرار غير مشروع من دون الاعمال المادية للادارة مما تجدر الإشارة إليه ان محكمة القضاء الاداري غير مختصة بالنظر في المنازعات الناشئة عن تنفيذ العقود الادارية التي عادة ماتبرم في تحقيق اغراض المرفق العام ومتطلبات المصلحة العامة، وهذا على خلاف ماهو قائم في فرنسا ومصر حيث يختص القضاء الاداري في الفصل في منازعات العقود الادارية وهذا في تقديرنا يعد نقصا تشريعيا يجب تلافيه .

المطلب الثاني

تمييز حكم الالغاء لدى محكمة القضاء الاداري

تمييز حكم الالغاء :

بعد صدور الحكم من محكمة القضاء الاداري سواء كان يقضي بالغاء القرار أو رد الدعوى فان حكمها يكون قابلاً للطعن به تمييزا لدى المحكمة الادارية العليا خلال مدة ٣٠ يوما من اليوم التالي لتبليغ الحكم أو عدّه مبلغا، ويكون قرار المحكمة غير المطعون فيه، وقرار المحكمة الادارية العليا الصادر نتيجة الطعن باتا وملزما.

أسباب الطعن تمييزا لدى المحكمة الإدارية العليا

إن أسباب التمييز محددة على سبيل الحصر وهي:

١. اذا كان الحكم الصادر من محكمة القضاء الاداري قد بُنِيَ على مخالفة القانون أو خطأ في تطبيقه أو عيب في تأويله .

٢. اذا كان الحكم قد صدر على خلاف قواعد الاختصاص، وعليه فانه متى مانظرت محكمة القضاء الاداري قضية مخالفة بذلك قواعد اختصاصها كان حكمها قابلاً للطعن به أمام المحكمة الادارية العليا .

٣. اذا وقع في الاجراءات الاصولية التي اتبعت عند رؤية الدعوى خطأ مؤثرا في صحة الحكم.

٤. اذا صدر حكم يناقض حكما سابقا صدر في الدعوى نفسها بين الخصوم أنفسهم، أو من قام مقامهم وحاز درجة البتات .

٥. اذا وقع في الحكم خطأ جوهري ويُعدّ الخطأ جوهريا إذا أخطأ الحكم في فهم الوقائع أو أغفل الفصل في جهة من جهات الدعوة أو الفصل في شيء لم يدعي به الخصوم أو قضى بأكثر مما طلبوه أو قضى على خلاف ما هو ثابت في محضر الدعوى أو على خلاف دلالة الاوراق والسندات المقدمة من الخصوم أو كان منطوق الحكم مناقضا بعضه لبعض أو كان الحكم غير جامع لشروطه القانونية .[٩]

---

[٩] ده شتي صديق محمد- القضاء الاداري وتنازع اختصاصاته مع القضاء الاداري (دراسة تحليلية مقارنة) الطبعة الاولى ٢٠١.

ان الطعن التمييزي امام المحكمة الادارية العليا في الحكم الصادر من محكمة قضاء الموظفين في هذا الشان ينبغي ان يقدم خلال(٣٠) يوما من تاريخ التبلغ به أو اعدّه مبلغًا وفي حالة عدم الطعن به يصبح باتًا وملزماً وحكم المحكمة الادارية الصادر بنتيجة الطعن التمييزي يكون هو الآخر باتا، وملزما، وتتبع كل من محكمة قضاء الموظفين عند نظر الطعن بالعقوبة الانضباطية والمحكمة الادارية العليا عند نظر الطعن التمييزي في حكم محكمة قضاء الموظفين في هذا الشأن الاجراءات المتبعة في قانون أُصول المحاكمات الجزائية رقم(٢٣) لسنة (١٩٧١)، في حين ان المحكمتين تتبعان الاجراءات المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية عندما يكون الامر متعلقا بحقوق الخدمة المدنية.[١٠]

الخاتمة:

وقفت هذه الدراسة على موضوع (القرار الإداري المعيب في النظام القضائي)، وتكمن أهمية هذا الموضوع الذي عولج بطريقة تحليلية في ان القضاء أوقف تنفيذ القرارات الإدارية المعيبة، لكنها بقيت غامضة وغير واضحة للباحثين والدارسين؛ إذ لا يمكن تحديد مفهوم يوضحها، قبل دراسة جوانب القرار الاداري وشروطه وأركانه وعيوبه كافة، وبعد دراسة الموضوع من جوانبه المتعددة، خلص البحث الى النتائج الآتية:

---

[١٠] الدكتور مهدي حمدي مهدي الزهيري– الطعن تمييزا امام الامحكمة الادارية العليا في العراق– ص ٤٠٣

أولا: اتضح عند تحديدنا لمفهوم القرار الاداري أو الاوامر الفردية والتنظيمية أنها عمل قانوني صادر بالإرادة المنفردة الملزمة لإحدى الجهات الإدارية في الدولة في الأوضاع القانونية القائمة، اما بانشاء مركز قانوني جديد عام أو فردي أو تعديل لمركز قانوني قائم أو الغاء له ابتغاء مصلحة عامة, وبهذا نجد أن القرارات الإدارية ما هي إلا وسيلة لتحقيق المصلحة عامة أو المنفعة عامة، والمخاطبين به ملزمون بتنفيذه طواعية أو إكراها، ومن حقهم الاعتراض على أي قرار إداري يضّر بمركزهم القانوني، أو بمصالحهم المشروعة عن طريق اللجوء الى القضاء المختص.

ثانياً: عند عرض العوامل المؤثرة في القرار الإداري وتحليل الأسباب التي أدت الى انحراف القرار وجعلت منه عرضة للطعن بالإلغاء أمام الجهات القضائية، تبين ان القرارات التي يشوبها عيب المشروعية تشكل مساسا صارخا بحقوق الأفراد الأساسية وحريتهم التي كفلها الدستور والقوانين النافذة، يتضح ذلك في المطلب الثاني المتعلق بدعوى الغاء القرار الاداري المعيب وتحديد سلطة القاضي الاداري في قبول الدعوى والنظر فيها والآثار القانونية المترتبة على ذلك متى ما كانت الدعوى في ضمن الأطر القانونية التي رسمها المشرع .

ثالثا: لا يكون حق الطعن بالقرارات الادارية المعيبة حقاً مطلقاً، أو منفلتا عن كل قيد، فالقانون رسم له طريقا محددا؛ بغية منع الأفراد من التعسف في استعماله، إذ أوجب صيانة القضاء من العبث والاساءة، وألزم المتخاصمين بمبدأ حسن النية في تقديم الأدلة كما هو منصوص في قانون الاثبات, وهناك شروط عامة تشترك فيها جهة القضاء في وقف تنفيذ القرارات

الادارية بأمر صادر عن الجهة القضائية الفاصلة في دعوى الالغاء، وهي شرط الضرر الذي يتعذر إصلاحه وتداركه، عدم المساس بأصل الحق، وشرط ألا يمس بأوجه النزاع المتعلقة بالنظام العام.

وقد خرج البحث بالتوصيات الآتية:

١- ينبغي ادخال إصلاحات كبيرة في الكثير القطاعات الوزارية المركزية وهيئاتها اللامركزية؛ من أجل الارتقاء بالاجهزة الادارية المختصة في المؤسسات الحكومية كافة، فضلا عن أجهزة الضبط الاداري ومنها: حفظ الامن والنظام العام.

٢- التوجه نحو توظيف التطور التكنولوجي واعتماد العصرنة في اتخاذ القرارات ورسم السياسات المستقبلية، والابتعاد عن السلوك غير المسؤول والانفعالي والنفعي ذي الطابع السياسي في صناعة القرار.

٣- دعم وبناء وتطوير الجهاز الاداري والتنظيمي في بنية الوظيفة الحكومية، ورسم سياسات واضحة وهادفة لتطوير الكوادر الوظيفية، وزيادة اشراك الموظف الحقوقي في صنع القرارات الادارية ووضع اليات منظمة لتبادل الخبرات المتعلقة بالمهارات الادارية فيما بين المؤسسات الحكومية فضلا عن اجراء دراسات مستقبلية لبحث وتطوير المهارات الادارية للكوادر المتقدمة في مؤسسات الدولة، والاطلاع على التجارب العالمية الناجحة للوصول الى الاهداف المرجوة يُعدّ ضرورة ملحة في رفع تلك الكفايات وتطويرها .

المصــادر:

اولا الكتب

١. ده شـتي صـديق محمـد- القضـاء الاداري وتنـازع اختصاصـاته مـع القضـاء العـادي (دراسـة تحليليـة مقارنة) الطبعة الاولى ٢٠١٦

٢. سـامي جمـال الـدين – الوسـيط فـي دعـوى الغـاء القـرارات الاداريـة . الطبعـة الاولـى. منشـاة المعـارف السلسلة- الاسكندرية ٢٠٠٤

٣. عصمت عبد المجيد بكر _مشكلات التشريع – دار الكتب العلمية – طبعة الاولى ٢٠١٤

٤. فارس عبد الرحيم _ حدود رقابة الادارة على القرارات التي لها قوة القانون (دراسة مقارنة) – جامعة بابل – كلية القانون ٢٠٠٣

٥. نجيب خلف احمد الجبوري _ القضاء الاداري – دار النشر الكردية ٢٠١٨

ثانيا المجلات والرسائل والبحوث

١. ريـاض عبـد عيسـى الزهيـري عيـب الاختصـاص فـي القـرار الادري مقالـة فـي مجلـة العلـوم القانونيـة سنة ٢٠١٣

٢. محمـد يوسـف الحسـين – القضـاء الاداري – الموسـوعة العربيـة – الموسـوعة القانونيـة المتخصصـة – مجلة الكترونية

٣. مجلـة المحقـق الحلـي للعلـوم القانونيـة والسياسـية العـدد الاول/ السـنة التاسـعة ٢٠١٧ تعريـف القـرار الاداري وعناصره .

٤. رشا عبد الرزاق جاسم الشمري – الصفة النهائية في القرار الاداري – رسالة ماجستير – جامعة بابل – ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

٥. مهدي حمدي مهدي الزهيري – الطعن تمييزا امام المحكمة الادارية العليا في العراق – بحث مقدم الى جامعة بغداد ٢٠١٩

٦. ذكرى عباس علي ناصر الدايني – تعريف القرار الاداري واركانه – صحيفة الكترونية

The Defective Administrative Decision
(Its Concept and Types)
A Study in The Iraqi Administrative Law

Juridical Engineer
Taha Kamil Hamad
Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

This study dealt with the topic (The Flawed Administrative Decision in The Judicial System). The importance of this topic, which was dealt with in an analytical way, lies in the fact that the judiciary stopped implementing flawed administrative decisions, but it remained vague and unclear to researchers and scholars, since it is not possible to define a concept that clarifies it, before studying all aspects of the administrative decision: its conditions, pillars and all its flaws, and after studying the subject from all its aspects, the research concluded that decisions that are tainted by the defect of legality constitute a flagrant violation of the basic rights and freedom of individuals guaranteed by the Constitution and the implementing laws.

Thus, we find that administrative decisions are nothing but a means to achieve the public interest or the public benefit, and those addressing it are obligated to implement it voluntarily or coercively, and they have the right to object to any administrative decision that harms their legal status or their legitimate interests by resorting to the competent judiciary.

(An Analysis of The Polyphonic Styles in The Novel “Hot Spring”)

Dr. Masouma Shabestari
Associate Professor in the Department of Arabic Language and Literature / University of Tehran, Iran

Ali Mahmoud Habib Al–Shammari

A Teacher at the University College of Peace for Arabic Language and Literature - lraq

Milad Hadarti

Department of Arabic Language and Literature at Khwarizmi University, Iran.

Maytham Karami Inayat

Department of Arabic Language and Literature at the University of Tehran, Iran

Abstract:

Sahar Khalifah is one of the committed Palestinian novelists who tried to portray the social and political conditions and the problems of its people and their pain through the weapon of the pen, as she refers to the events of the second intifada and the issue of the Oslo agreement between Yasser Arafat and Yitzhak Rabin in the novel "Hot Spring." The Khalifah re-

explains the history of the occupation of Palestine and the injustice endured by the Palestinian people, and demonstrates the corresponding feelings and motives of the personalities and the actions of the rulers, those concerned with the matter and the officials, and all of this sincerely criticizes and defends the intellectual and cultural principles and values of Palestine. In modern Arabic novels, especially the Palestinian ones, we often see the Bakhtinian Polyphony phenomenon, and the reason is that the ground for transmitting different and disparate ideas and actions such as commitment to the homeland, betrayal, determination and dishonor is prepared in a framework like the polyphony. In this article, the researchers tried to prove the polyphony of this novel by extracting some polyphony standards and mentioning examples of them through the descriptive-analytical method. The findings of the researchers indicate that the writer clarified the bitter facts present in his society through the most important uses of polyphony in the novel, including identity disorder, verbalism, intertextuality, hidden controversy, the issue of injustice against the Palestinian people, and people tasted consciousness.

Management of Education and Virtual Platforms Towards A Pioneering University Future

Assist. Prof. Dr. Safa Alshammry
Al-Nahrain University – Continuing Education Center

Abstract

There have been many modern trends that have emerged in the present educational process that it is necessary for educators to realize, notice and benefit from them greatly, which are: cooperation or cooperative learning, and smart digital devices, to increase the effectiveness of methods of research, discovery and rapid innovation in solving problems that will overcome the challenges that face the educators and the educational process with all its elements, thus enabling teachers to upgrade the skills of their students, as they are more familiar with their students and their learning method. In view of the rapid development in academic content, it must be emphasized that teachers are the ones who apply the content and use it on a daily

basis and empower them with the necessary educational experiences that encourage creativity and the development of thinking, where the urgent need arose to keep pace with the technologies and life variables, with which students interact on a daily basis, as educators had to search for new methods that keep pace with this advanced level mentally and technically, and to use these technologies in the educational aspect and in the classroom instead of restricting them to areas that are of little benefit to students, and as education is a set of practices, procedures and processes carried out by educational bodies intended or unintended to bring about learning to the learner, and learning is the result of training, practice and experience, and it differs from one person to another according to the abilities, aptitudes and motives of each person. Therefore, it was important for teachers to use educational platforms to raise the level of knowledge and awareness of students by opening scientific dialogues between them and their students, and introducing new methods that encourage ideas and creativity, and enhance the spirit of communication between them, benefiting from the

different platforms of services that help them build different training and teaching methods. It helps the student to study, or add courses, announcements and assignments, and form discussion sessions and groups to study around the clock. As well as opening the way to live broadcasting of lectures for those who are not fortunate enough to reach the teaching hall, in addition to setting office hours for himself through which he can communicate with students, ask questions and receive a good answer quickly. All this in order to facilitate information for the student, and to create a transparent and interactive learning environment in which the student is a participant rather than a recipient of information.

Personal Semantics References in Elyatht Al-Jazaar
- A Study of Conceptual Meaning-

Prof. Sami Al-Mady
College of Arts / Al-Mustansiriyah University

Abstract:

The personal semantics references are one of the means of the cooperative strategy within the speech strategies and according to its mechanisms which depend on two aspects one of which is speech, the other is the receiver, depending on a connection between both which can be summarized in a set of accumulative meanings in the text, furthermore, it is capable of connecting the text with the external reality by the context. So the personal semantic references cannot, alone, be effective without context constrains; because the basis of any language is the connection between a group of people to express their needs and purposes. The semantic references are included in the clearness of text semantics by clearing the ambiguity which the addresser uses in an indirect way. Some studies have

referred that there can be a common field between semantics and pragmatics, and some say that it is closer to pragmatics than semantics .

The best example of the references in Arabic are the pronouns, with its two types, connected and separated, and the vocative case since it is considered a sentential structure capable of including various meanings with semantic references, and has a freedom of expressing those meanings which would achieve the definiteness and indefiniteness and the phrasal structure. Also we can find the features of the references in the manner of time and place. It can be said that Elyatht Al-Jazaar is distinct with these references which was overcome the poem, especially the vocative case which the poet, Mofdy Zakariya, had employed to be a center for the Elyatha in showing the cooperative strategy, which every stanza has it, which is the center for the meanings that the speaker wants to convey to the receiver, as if the connection and speech relationships are based between the addressee in the text and the addresser. Thus the emotions are conveyed by the personal references and the creation of real image for

what the poet wants to show the hidden meaning of the addresser and the addressee.

This imagination was the starter of this paper which depended on two aspects and a prologue, in which the cooperative strategy and its mechanisms were expressed, then the researcher clarified, in the first aspect, the pronouns showing their effect on the meaning's delivery, then he explained, in the second aspect, the vocative case and its effect on expressing the accumulative meanings of the addressee. The paper concluded by the most prominent results which it contained.

The Dialectics of History and The Novel in “Southwest Troy and Southeast of Carthage”

Dr. Ahmed Al-Jaoua
Prof. of Higher Education in University of Sfax-Tunisia and University of King Abdulaziz - Jeddah

Abstract:

In this article, the researcher addresses the interconnections of dialectics between novel and history, which is a structural issue related to the fictional writings launched by Jirgi Zaidan in a number of his novels and further explored by a number of other Arab novelists like (Naguib Mahfouz, Jamal Al-Gheitani, Radwa Ashour and Mohammed Al-Bardi).

He devotes a lot of space to the novel of Ibrahim Al-kony, a Libyan novelist best known for bringing the desert world to the world of the novel, and who has authored many novels. Ibrahim Al-Kony has explored the history of the *Touaregs* in the Libyan Sahara and has mentioned a large number of names of flags, places

and plants, and created a narrative fictional world full of conflicts.

The overall design was clarifying the dialectics or interconnections between the historical and the fictional in this seminal work – a work structured around homeland love, the values of tolerance and the love of poetry. He stopped at the novel’s performance level – a level where the narrative speech, saturated with a flowing poetic language that gave the text its great literary value.

The Interpreters' Positions from Adding The Synonyms Between Al-Basriyeen and Al-Koffiyeen

Prof. Dr. Latifa Abd Al- Rasul
College of Arts / University of Almustansiriyah

Prof. Dr. Adnan Amin Mohammad Ali
University of Imam Ja'afar Al-Sadiq

Abstract:

The research deals with the issue of adding something to itself between Al-Basriyeen and Al-Koffiyeen through interpretation of the Holy Qur'an , as Al- Basriyeen do not allow it unless interpreted and Al-Koffiyeen team allowed it without interpretation and this dispute found its way with the interpreters , some of them agreed with Basriyeen , and some agreed with the Koffiyeen, and this research highlighted the terms of acceptance and response with this team or the other, and also pointed to what the pioneer investigators have missed of issues and affairs emerged during the course of the research.

Prof. Dr. Mahmoud Al-Bustani

A Reading in His Theoretical and Practical Critical Achievement

Prof. Dr. Ali Kadhim Asad
College of Education for Humanities (Ibn Rushd) / University of Baghdad

Abstract

This research presents a reading of Prof. Dr. Mahmoud Al-Bustani in his Theoretical and Practical Critical Achievement, as the first Arab critic who presented a critical theory as well as an Islamic vision in the study of literature and art, and devised a special method to study the structure of Qur'an. He is one of the Arab academic critics who studied literary and Quranic texts with advanced methods away from traditional concepts of criticism.

Incomplete Extrapolation in Sibawayhi’s Book

Dr. Mohammed Gomaa
Lexical Researcher and a Member of The Egyptian Writers Union

Abstract:

Sibawayhi’s book has received a lot of prestige, attention and care, both in the past and the present other than other books in its stature. This research attempts to shed light on the rulings based in Sibawayhi's book on an incomplete extrapolation of Arabic texts. It concentrated on one form, which is the past use of the verb (leave) where the printed texts of Sibawayhi’s book stated that the past is not used! It proved that the past, the infinitive, the subject's noun and the participle noun of the verb (leave) is used in texts of poetry, the hadith and Quranic qara'ats.

The research raises many problems, such as: Terms in Sibawayhi’s book, the narrations of Sibawayhi which were not mentioned in his book, quoting Sibawayhi in the meaning, an indirect transcription of Sibawayhi’s book and the need for a new editing of Sibawayhi’s book.

It was not devoid of references that serve the printed Arabic heritage, such as: the shortcomings in the dictionary of Quranic qara'ats, breaching of Alwasit- the most famous dictionaries of the Egyptian Language Academy- with some well-known linguistic uses, the spelling errors in some ancient dictionaries, and the documentation of multiple, narrative and unknown poetry.

The research is divided into an introduction and two points: the first point is the opinion of Sibawayhi's book on the verb (wadaa), and the second point is the problematic of the quoting from Sibawayhi’s book, then it ended with the sources and references.

Editorial Board:

Prof. Dr. Mohammed Hussein Al Yaseen (Iraqi Academy of Sciences' President) - Chairman

Prof. Dr. Sabeeh Hamoud Al-Timimi –Iraqi Academy of Sciences' Member- Managing Editor

Members:

Prof. Dr. Abdul Majeed H. Al-Nassir - Iraqi Academy of Sciences' Member

Prof. Dr. Jawad M. R. Almosawi – University of Baghdad – College of Arts

Prof. Nabilah Abdulmunem Dawood- University of Baghdad -Center of Arabic Scientific Heritage Revival

Prof. Dr. Sahab Mohammed Al-Asadi – University of Baghdad -College of Arts

Prof. Dr. Talib Mahdi Alsoodani – University of Baghdad -College of Arts

Prof. Dr. Latifa Abd Al-Rasul –Al-Mustansiriyah University- College of Arts

Prof. Dr. Abdulla Hasan H. Al- Hadeethi- Al-Iraqi University – College of Arts

Prof. Dr. Mohammed H. Ali Zayin- College of Education for Human Sciences / University of Kerbala

Assist. Prof. Dr. Ali Hasan Taresh- University of Information Technology and Communications

Prof. Dr. Mohammed Ibrahim Abdel Hadi Howar- Arabic Language Academy's Member -Jordan

Prof. Dr. Mamoon Abdelhalim Mohammed Wagih- Arabic Language Academy's Member - Egypt

Prof. Dr. Nael Hannon- Sultanate of Oman

Prof. Dr. Fadel Mehdi Bayyat- Republic of Turkey

Editing: Ikhlas Mohey Rasheed

English Proofreader: Ghada Sami Abdul Wahhab

Arabic Proofreader: Dr. Nadia Ghadban Mohammed

Email: iraqacademy@yahoo.com , journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription: In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100) Dollars



IRAQI ACADEMY OF SCIENCES' JOURNAL

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.2 **Vol. 68**

1442H - 2021